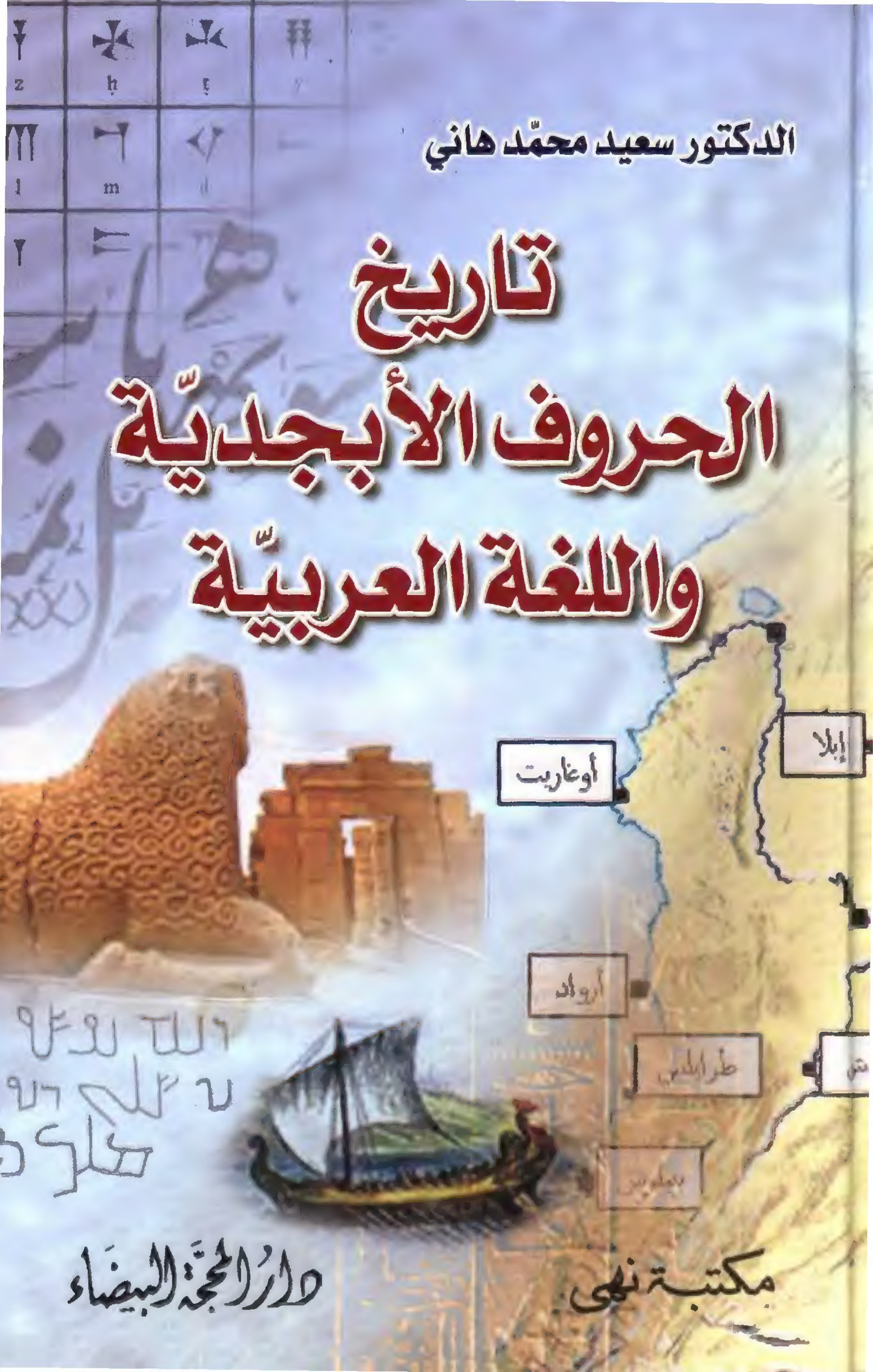

الدكتور سعيد محمّد هاني
تاريخ
الحروف الأبجديّة
واللغة العربيّة
أوغاريت
إبلا
أرواد
دار المحجة البيضاء
مكتبة نهى

الدكتور سعيد محمّد هاني

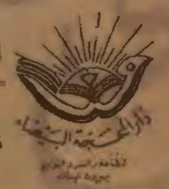
تاريخ الحروف الأبجديّة واللغة ال

ضاء

الدكتور سعيد محمّد هاني

تاريخ الحروف الأبجديّة واللغة العربيّة

مكتبة نه



ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠٩/٥٥٢٨٤٧ - E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com



تاريخ الحروف الأبجديّة
واللغة العربيّة

تاريخ الحروف الأبجديّة واللغة العربيّة

الدكتور
سعيد محمّد هاني

دار المحجّة البيضاء
مكتبة نهى

الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م

ISBN: 978-614-426-481-2



حمانا - مقابل اتحاد بلديات المتن
تلفاكس: ٠٥/٥٣١٤٦٣ - ٠٣/٩٤٩٥٣٢ - ٠٣/٤٩٩٧١٠
٠٣/١٧٢٢٣٧ - ٠٣/٩٥٥١٢٨ - ٧٦/٤٥٥٥٤٣
Email: librarynouha@gmail.com



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال
ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

الإهداء

إلى روح والدي

المرحوم محمّد قاسم سلمان هاني

وأولادي نَيْسَم (روح النسيم)، نِيمَه (النعمة)

ورَمايا (صوت وقع المطر)

وإلى كلّ من أحبّ المعرفة وعرف المحبّة

مقدّمة المؤلّف

عندما كنت في التاسعة من عمري كان والدي يزور لبنان ليمضي بعض الصيف معنا. في إحدى الأيام ذهبنا إلى الحقل لجمع التين والعنب. بعد فترة من الجمع جلس والدي على إحدى الصخور وقال لي: «هات عنقودين من العنب وتعال إجلس بجانبي إذ أنني سأريك بعض أسرار اللغة العربية». في أقل من دقيقة كنت بجانبه والعناقيد تتأرجح من يدي.

كان والدي مولعاً بالأدب العربي خاصة الشعر الفصيح؛ وكان له مؤلّفات شعريّة كثيرة، كان معظمها غزليّات... في عام ١٩٤٥ فاز والدي بالجائزة الأولى في المبارات التي أقامتها هيئة الإذاعة البريطانيّة للشعراء العرب المغتربين في أفريقيا بقصيدة «جبل طارق».

أخذ والدي عنقوداً من العنب وقال لي بأننا سنتبارى في أكل العناقيد بطريقة أدبية! شرح والدي ذلك بأن كل منا يقول حرف من الألفباء ويأخذ حبة عنب عن كل نقطة موجودة على ذلك الحرف... مثلا: أبي أ، أنا ب ـ حبّة لي، ت ـ حبّتين لوالدي، ث ـ ثلاث حبّات لي وهلمّ جرّ. طلب مني والدي بأن أختار البدء بأول أو ثاني حرف؛ وطبعا إخترت الباء إذ أن الباء والثاء تكونان من حصّتي... ولكن...

عندما إنتهينا من الحروف الأبجديّة تبيّن لي بأنني خسرت بمراحل... نتيجة هذه المبارات كانت كالآتي: والدي ـ أ ت ج خ ذ ز ش ض ظ غ ق ل ن و ـ مجموع النقاط ١٥ وأحرفي كانت ـ ب ث ح د ر س ص ط ع ف ك م ه ي ـ مجموع ٧!!!

بعد أن ضحكنا طويلا قال لي والدي بأن للأبجديّة تاريخ مديد يعود للألاف من السنين وأن أول من قام بها هم الفينيقيون أجدادنا في التاريخ... تساءلت عندها عن من رتّب الأحرف ووضع النقاط... قلت عندها لوالدي بأنني، سأبحث يوماً ما، عن هذا التاريخ وأتحقّق منه.

والآن وبعد ستبن عاماً أقدّم البحث في هذا الكتاب الذي أشعر فيه بالفخر كما أنني وفيت فيه وعدي لوالدي...

مقدّمة الكتاب

الإختراعات مثل الحروف الأبجديّة هي نادرة حيث أنّها أداة فكريّة ذات تقنيّة مستقلّة وتأثير متفجّر...

الكتابة نفسها ربما تتساوى مع إختراع نظام الترقيم العربي، خاصّة الصفر الذي شكّل أساس الرياضيّات الحديثة.

لعلّ الأفكار الكبرى مثل التوحيد والتطوّر لهما تأثير متقارن، ولكن هذه الأفكار تتشكّل في مظاهر عديدة في أوقات وأماكن متعددة قبل أن يتم تقبّلها.

نظام الترقيم العشري ظهر أربع مرّات بشكل مستقل: في بابل والصين والهند وأمريكا الوسطى.

التوحيد نشأ بشكل مستقل في العهد القديم والعهد الجديد وفي مواطن متنوعة. الحروف الأبجديّة، على الرغم من أشكالها المتنوّعة، كانت فكرة فريدة نشأت مرّة واحدة وإنتشرت عبر الحضارات خلال القرون.

جميع الذين بدأوا إستعمال النظام الأبجدي بدؤا من نظام سابق أو ورثوا وطوّروا الألفباء؛ أو سمعوا بالفكرة وقاموا بتطويرها وتكوين نظامهم على هذا الأساس.

الحروف الأبجديّة هي وسيلة فريدة وفعّالة لتسجيل الكلام. لذلك بعد إختراعها لم تكن هناك حاجة إلى إعادة إختراعها!

مع إختراع الطباعة على الورق في الصين في القرن الثامن، بإستعمال كتلة الخشب، بدأت محو الأمّية تنتشر وتسارع ذلك مع إختراع الطباعة بواسطة الحرف المتنقّل في القرن الحادي عشر في الصين والقرن الخامس عشر في أوروبا.

نقل المعلومات خلال الألفيّة الأولى أخذت عقوداً، ولكن مع نمو الصناعة في القرن التاسع عشر تقلّصت العقود إلى سنوات ومن ثم ومع تطوّر النقل الجوّي تقلّصت إلى أسابيع. والآن، بعد التطوّر الثقافي والإلكتروني، المعلومات تتدفّق في ثواني في جميع أنحاء العالم.

في عام ١٥٠٠ م كانت أوروبا تصدر حوالي ٢٠٠,٠٠٠ كتاباً سنويّاً، بينما كانت الصين تصدر حوالي ٨٠٠,٠٠٠ كتاباً سنويّاً منذ قرون... ولكن منذ إبتداء القرن العشرين أصبح العالم يصدر عشرة بلايين كتاباً سنويّاً ـ أي ما يوازي ٥٠ مليون طن من الورق وذلك للكتب فقط. أضف إلى ذلك ملايين الصحف اليوميّة والمجلّات الأسبوعيّة والشهريّة والمنشورات المتعددة.

العالم ينتج حوالي ١٣٠ طن من الورق سنوياً ـ يوازي ٢٠ كيلوجرام لكل شخص! خلال الخمسمائة سنة الماضية إرتفع عدد سكّان الأرض ١٣ مرّة وعدد القرّاء ألف مرّة وعدد مواد القراءة ٢٥٠,٠٠٠ مرّة... يلاحظ أن معظم هذه الزيادات حدثت في القرن العشرين.

أكثر من ٦٠ بالمائة من إجمالي الإستهلاك العالمي هو من المواد

المكتوبة من الحروف الأبجديّة من نوع أو آخر.

ذلك الكتاب هو عن أعظم الأفكار البشريّة، فكرة الأبجديّة، وعن إنتشارها. هنالك ثلاث مميّزات لهذه الفكرة: التفرّد والبساطة والتكيّف.

منذ أول ظهورها منذ ٤٠٠٠ سنة عكست هذه الحروف الأبجديّة بساطتها الكامنة. على الرغم أنّها لا تناسب اللغة إلى حدّ الكمال فإنّها، ومع بعض التعديلات، يمكن تكييفها إلى جميع اللغات. الحروف الأبجديّة هي كالإنسان الذي لا يقدر أن يجاري الكائنات الأخرى في الجري أو السباحة أو الطيران؛ ولكنّه يتفوّق عليها بفكره.

ولكن من أين نبعت فكرة الأبجديّة؟ كيف وأين إنتشرت؟ وكيف إكتشفنا أجوبة هذه الأسئلة؟...

حتّى يومنا هذا لا تزال جذور الأبجديّة تظهر وتنكشف، ويبدو أن هذا المفهوم ظهر أولاً في مصر حوالي ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد. ستظل الإكتشافات الحاليّة مثيرة للجدل حتى يتم العثور على المزيد من الأدلّة.

التاريخ الكامل للحروف الأبجديّة يحتاج إلى مكتبة ضخمة مع أقسام متخصّصة في عشرات من الأنظمة الأبجديّة وثقافاتها وتأثيرها عبر العصور.

الكتابة والكتاب

مراحل الكتابة

- الكتابة الرمزيّة
- الكتابة الصوتيّة
- الكتابةالصوريّة
- الكتابة المقطعيّة
- الكتابة الأبجديّة

الكتابة

- مواد الكتابة
- ألواح الطين
- أوراق البردي
- الرق
- أدوات الكتابة

نظم الكتابة

- المسماريّة
  - الأكاديّة
  - إيبلا
- الكتابات المصريّة
  - الهيروغليفيّة
  - الهيراتيكيّة
  - الديموتيكيّة
  - المرويّة
- رسائل تل العمارنة
- حجر رشيد

مراحل الكتابة

الكتابة الصُّوَريّة (التصويريّة)	**(Iconography)**
الكتابة الرمزيّة	**(Ideography)**
الكتابة الإنتقاليّة	(Transitional)
الكتابة الصوتيّة	**(Phonetic)**
ـ المقطعيّة	**(Syllabic)**
ـ الأبجديّة	**(Alphabetic)**

الكتابة الصوريّة

تعتمد الكتابة الصورية، أو التصويريّة، على تصوير الأشياء كما هي في حالتها الطبيعية. فالصورة ليست الغاية بل الشيء الذي تمثّله الصورة نفسها.

حسب رأي العلماء إن هذه الطريقة من الكتابة، هي التي فتحت الباب الواسع أمام الكتابة الحقيقية. وقد عثر في تل براك، في سورية، على ألواح من الطين غير المشوي، تحتوي على كتابات تصويرية.

هي كتابة تصوّر الأشياء التي يُراد كتابتها تصويراً. الكتابة التصويرية تعني تصوير الأشياء كما هي في حالتها الطبيعية وكما يراها الإنسان، فكانوا يرسمون صورة الإنسان أو الحيوان أو النبات والِأشياء الأخرى كاملة، أو يكتفون برسم جزء مهم من تلك الأشياء التي يريدون التعبير عنها، كرسم رأس الإنسان للتعبير عن الإنسان أو الرجل، أو رأس ثور ويقصدون به الثور، أو السنبلة ويرون بصورتها التعبير عن كلمة القمح. ولم يقفوا عند رسم الأشياء المحسوسة، بل تعدوا ذلك إلى التعبير عن المعاني المجردة، فعبروا عن «البرد» مثلاً بماء سائل وللتعبير عن «البكاء والحزن» برسم عين دامعة. ثم رسموا الصور نفسها للتعبير عن أشياء تتفق معها في اللفظ، ـ رسم العين يُقصد بها «عين الماء»، وبذلك أوجدوا رسوماً كثيرة تدل على الألفاظ المتعددة من الأسماء والأفعال.

أما الكتابة المقطعيّة فهي كتابة صوتية تتكون من مقاطع صوتية تبدأ بحرف صامت يتبعه حرف صائت قصير مثل/بَ/ ، /بُ/ ، /بِ/ أو يتبعه حرف صائت ممدود مثل /با/ ، /بُو/ ، /بِي/. أول مَن مارسها هم أواخر السومريون وأوائل الأكاديون. وعليه فإن الكتابة المسمارية كانت أول كتابة مقطعية في التاريخ تطورت من خلال بحث الرافدينيين عن حل لمشكلة الكتابة الصورية، فأتت «المسامير» المفردة والمركبة فيها ليس للدلالة على رموز مجرّدة بل على مقاطع صوتية بعينها مكونة من حروف ساكنة وأصوات.

الكتابة الصورية كتابة صعبة لأنها تفترض وجود صورة لكل مسمّى، وهو ما يجعل حفظها وإستعمالها بوضوح أمراً صعباً لكثرة المسميات والأشياء وكثرة الإشتراك في معاني صورها. أضف على ذلك أن كتابة المفاهيم الفكرية والمجاز شبه مستحيل في هذه الكتابة لصعوبة تصويرها.

دلّ الرافدينيون على كلمة «الإله» بلغتهم - وهي إلٌّ - بنجمة. والنجمة تشير إلى السماء، وهذا يعني أن الرافدينيين كانوا يعتقدون أن الإله يكون في السماء. من جهة أخرى باتت صورة النجمة مشتركة لأنها تدل على النجمة والسماء والإله.

أما المصريون القدامى فعبّروا عن مفهوم «السيادة» في لغتهم برسم صورة أسد رافعاً رأسه بشموخ وعز. وهذا يعني أيضاً أن صورة الأسد في الكتابة الهيروغليفية مشتركة لأنها تدل على معنى حسّي هو الأسد ومعنى مجازي هو السيادة.

ظهر أقدم نوع من هذه الكتابة في جنوبي العراق على يد

السومريين، وهي الكتابة السومرية التصويرية، وفي مصر حيث أطلق عليها اليونانيون إسم الكتابة الهيروغليفية أي «الرسوم المقدسة» بلغتهم، عندما وجدوها محفورة على جدران المعابد فانبهروا بجمالها وتناسقها. وقد تطورت الكتابة الهيروغليفية بعد ذلك إلى كتابة أبسط، فاستعملها الكهنة ودُعيت بإسم الكتابة الهيراتيكية (الكهنوتية)، ثم تابعت تطورها إلى ما صار يدعى باسم الكتابة الديموتيكية، أي الشعبية، ولم يعد بينها وبين الكتابة الهيروغليفية الأم من شبه واضح، ولكنها بقيت تعتمد على مبدأ التصوير، وإن ظهرت أشكال منذ الطور الأول تدل على مقطع صوتي واحد، أي كلمات أحادية الصوت، فعدّها الباحثون حروفاً وعددها أربعة وعشرون. ولم تنتشر الهيروغليفية المصرية خارج وادي النيل في مصر والسودان.

من الجدير بالذكر أن الهيروغليفية طوّرت أيضاً، في مرحلة لاحقة، كتابة مقطعية أيضاً، إلاّ أن الفرق بين الرافدينيين وقدامى المصريين أن الأوائل تخلوا نهائياً عن الكتابة الصورية والرمزية بعدما طوروا الكتابة المقطعية، بينما لم يتخلّ المصريون القدامى عن الكتابة الصورية قط، وهو ما جعل من الكتابة الهيروغليفية كتابة معقّدة جداً تتكون من صور ورموز ومقاطع صوتية ثنائية وثلائية الأصوات وحروف أبجدية! وهذا عائد إلى المكانة الرفيعة التي كان الكتاب المصريون القدامى يحتلونها، وهي المكانة التي جعلتهم دون تبسيطها وبالتالي إنتشارها حفاظاً منهم على مكانتهم العالية والإمتيازات التي كانت ترتبط بتلك المكانة العالية.

يعود آخر أثر كتابي كهنوتي إلى القرن الثالث الميلادي، أما تاريخ آخر أثر للكتابة الديموتيكية فيعود إلى عام ٤٧٦ م. وقد طوّر السومريون

كتابتهم التصويرية التي لم تَرْقَ بمظهرها إلى مظهر الكتابة الهيروغليفية الجميلة، لأن السومريين استخدموا أداة للكتابة تشبه المسمار، ودخلوا مرحلة الكتابة المقطعية التي تخلّت عن الصور والرسوم التي تحاكي الطبيعة وموادها وإتجهت إلى اللغة نفسها، وذلك بتقطيع اللفظة إلى مقاطع صوتية، فأعطت كل مقطع رمزاً خاصاً، صار بالإمكان استخدامه في كتابة كل ما يخطر ببال الإنسان من كلمات، حيثما يرد، ولكنها لم تتخل تماماً عن الكلمة المصوّرة التي صارت وظيفتها تقتصر على تحديد المعنى وتخصيصه، كأن تسبق أو تلحق الكلمات المقطعية، لتبين أن الكلمة هي إسم شخص، أو إسم إله، أو نوع من الخشب، أو من المعدن، أو إسم مدينة، وبذلك إختصرت هذه الكتابة الأعداد الكبيرة من الصور، فالمقاطع الصوتية في اللغة مهما تعدّدت تبقى محدودة العدد إذا قورنت بالصور التي تُعد بالآلاف، فكانت الرموز المقطعية المسمارية التي لا تكاد تتجاوز الألفين، ثم إختُصرت إلى ٨٠٠ تقريباً في القرن السادس والعشرين ق. م، ثم تقلّص عددها إلى ٦٠٠ بعد مئتي عام، ووصلت أخيراً إلى ٥٠٠ فحسب، في بداية الألف الثاني قبل الميلاد. أطلق الباحثون على هذه الكتابة السومرية المقطعية اسم «الكتابة المسمارية»، لأن مظهرها يشبه المسمار ذا الرأس المثلث الغليظ، وهو شكل أداة الكتابة المصنوعة من الخشب التي إستعملها السومريون.

إنتشرت هذه الكتابة على يد الأكاديين في كل أنحاء الشرق القديم؛ فكتب بها البابليون والآشوريون والحوريون والحثيون والفرس والأرمن، وتأثر الأُوغاريتيون بشكلها المسماري مع إختلاف مبدأ كتابتهم الألفبائية عنها. إستخدمها المصريون في مراسلاتهم مع ملوك الشرق الأدنى القديم

في القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد باللغة البابلية. بقيت هذه الكتابة في الإستخدام إذ تعود أقدم آثارها إلى منتصف القرن الأول الميلادي، وكانت الكتابة الآرامية الألفبائية قد حلّت تدريجياً محلّها منذ منتصف الألف الأول قبل الميلاد.

إن أول كتابة ظهرت في التاريخ هي الكتابة المسمارية التي إخترعها السومريون، وهم شعب مجهول الأصل. كانت الكتابة المسمارية في الأصل كتابة صُوَرِيَّة بمعنى أنه إذا أراد الكاتب أن يكتب الكلمة الدالة على الرجل فإنه يرسم هيئة الرجل، تماماً مثلما نرى في الكتابة الهيروغليفية التي هي أيضاً كتابة صورية. الفرق بين الكتابتين الصوريتين المسمارية والهيروغليفية يكمن في أن أشكال الكتابة المسمارية تطوّرت بسرعة لتتخذ أشكالاً مجرّدة هي أشكال المسامير بينما حافظت الكتابة الهيروغليفية على أشكالها الصورية البدائية. هذا الفرق عائد إلى طبيعة المادة المستخدمة في الكتابة، فلقد إستعمل الرافدينيون الطين والماء والقصب في الكتابة، فصنعوا ألواحاً من الطين مربّعة أو مستطيلة، واستعملوا في الكتابة قلماً من القصب كانوا يغرزونه في الطين وهو رطب ثم يخطون ما يريدون تدوينه من النصوص، ثم يطبخون الألواح الطينية في التنور فتشتد وتصلب لتبقى حتى اليوم. ومن الجدير بالذكر أن غرزة القلم في الطين كانت تكوّن مثلثاً في اللوح أشبه ما يكون برأس المسمار، تتبعه خطوط مستقيمة نحو الأسفل أو اليسار، مما أدى إلى نشوء أشكال تشبه المسامير التقليدية، وهو ما أوحى بتسمية الكتابة الرافدينية بالكتابة المسمارية. أما قدامى المصريون فلقد إستخدموا ورق البردي والحبر في كتابتهم.

الكتابة الصورية كتابة صعبة لأنها تفترض وجود صورة لكل مسمى، وهو ما يجعل حفظها وإستعمالها بوضوح أمراً صعباً لكثرة المسميات والأشياء وكثرة الإشتراك في معاني صورها. أضف على ذلك أن كتابة المفاهيم الفكرية والمجاز شبه مستحيل في هذه الكتابة لصعوبة تصويرها.

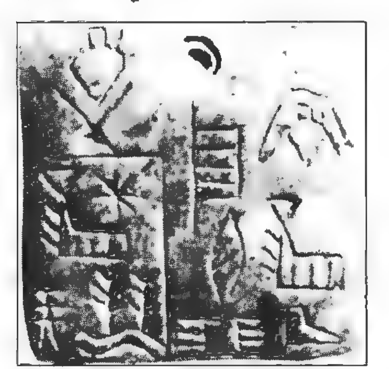
و من الجدير بالذكر أن الكتابة الصينية اليوم لا تزال في المرحلة الصُّوَرية بحيث يجب على الطفل أن يكون حافظاً لبضعة آلاف رمز حتى يستطيع أن يقرأ كتاباً من كتب الأطفال.

لم يجد الإنسان أسهل وأوضح من الصورة ليعبر بها عن الشيء المراد كتابته أو الكلمة المطلوب التعبير عنها، فلكتابة سمكة ترسم صورة لها ولكتابة ثور ترسم صورة لرأسه أو لقرنيه أو صورة سنبلة لكتابة قمح. كانت بعض الأشكال تدل على الأفعال فصورة قدم تدل على الحركة وصورة رجل بيده سنارة صيد يعني الذهاب إلى الصيد.

أقدم كتابة صورية عثر عليها كانت لوح حجري يعود إلى مدينة لكش ووجد شبيهه في العقير والوركاء وكانت الواح طينية رسمت بقلم مثلث النهاية مصنوع من القصب أو الخشب ونتيجة لعدد الصور الكبير وصعوبة رسم كل صورة مشابهه لأصلها هذّبت وإختزلت الكتابة الصورية فظهرت الكتابة الرمزية.

الكتابة الرمزية(*)

مهما زاد عدد العلامات الصوريّة أو قلَّ، فإنه لا يمكن بواسطة هذه العلامات التعبير عن كل ما يجول في ذهن الكاتب من أفكار وأفعال وأحداث. إن مثل هذه الطريقة الصورية لا تفصح بالطبع عن اللغة التي كتب بها الكتبة تلك العلامات، وقد حفزت هذه الحقيقة الكتبة الأوائل إلى إبتكار طريقة جديدة للتعبير عما يجول في خاطرهم فابتكروا الطريقة الرمزية، أي الرمز إلى بعض الأفعال والصفات والأفكار بكتابة أو رسم علامات صورية لأشياء مادية ترتبط إرتباطاً وثيقاً بتلك الأفعال والصفات والأفكار. ولم تعد العلامة الصورية المستخدمة تدل على الشيء المادي الذي تمثله فقط بل غدت ترمز إلى الأسماء والأفعال والصفات التي ترتبط بذلك الشيء.



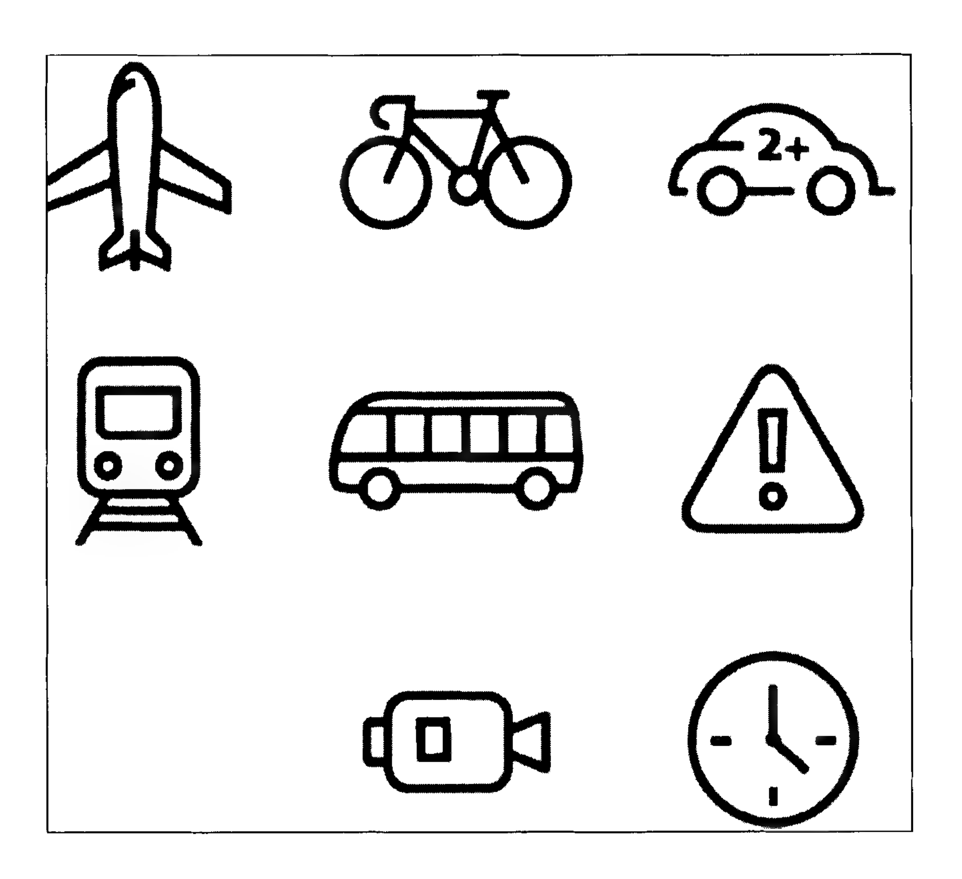
كتابة رمزيّة سومريّة عام ٣٠٠٠ ق. م

فمثلاً العلامة الصورية التي تدل على القدم، كشيء مادي، غدت تستخدم للرمز إلى كل الأفعال المرتبطة بالأفعال بالقدم مثل المشي والوقوف

(*) Ideographic stage.

والذهاب والحمل والجري، والعلامة التي تدل على المحراث الخشبي أصبحت تستخدم للدلالة على المحراث وعلى الحارث وعلى الحراثة وعلى فعل حرث وهكذا.

كما أدمجت بعض العلامات الصورية مع بعضها الآخر للدلالة على معان جديدة. وبقيت الطريقتان تستخدمان في آن واحد منذ وقت مبكر جداً.



كتابة رمزيّة حاليّة عام ٢٠١٤ م

الكتابة الصوتية(*)

حيث أن العلامات الرمزيّة كانت قاصرة عن التعبير عن الكلام المحكي، أي اللغة، ظلّت عاجزة عن بيان اللغة التي تكلّم بها الكاتب وأسلوب لفظ العلامات التي رسمها أو طبعها على الطين، كما أن الكتابة وفق الطريقتين الصورية والرمزية لا تساعد على كتابة أسماء الأعلام والأدوات النحوية. لذا كانت الحاجة ملحّة لإبتكار طريقة جديدة في إستخدام العلامات تهتم بالصوت الذي تُقرأ به العلامة دون المعنى الصوري أو الرمزي الذي تدل عليه، فكانت الخطوة المهمة في إبتكار الطريقة الصوتية في الكتابة التي تمثل آخر مرحلة من مراحل تطور الكتابة المسمارية. يبدو أن أول خطوة نحو إستخدام الطريقة الصوتية في الكتابة تمثلت في كتابة الكلمات المتشابهة لفظاً في المعنى بعلامة واحدة كانت تستخدم أول الأمر للتعبير عن معنى إحدى هذه الكلمات.

فمثلاً كان هناك علامة تستخدم للدلالة على الثوم والتي تُقرأ «سُم» بالسومرية، ولما كان الفعل «ذَهَبَ» بالسومرية يلفظ «سُم» أيضاً فقد إستخدم الكاتب السومري العلامة نفسها لدلالة مرة على الثوم ومرة أخرى للدلالة على الفعل ذهب، وذلك حسب مضمون النص؛ أي أن

(*) Phonetic stage.

الكاتب هنا إستخدم القيمة الصورية للعلامة لكتابة كلمة أخرى لا علاقة لها بمعنى العلامة الصورية، وأصبحت الرموز أشبه بالحروف الأبجدية التي نستخدمها الآن في كتابة أية كلمة،

غير أن الحرف الأبجدي يمثل صوتاً منفرداً، في حين يمثل المقطع الصوتي صوتاً صامتاً مع حرف علة، قبله أو بعده، مثل «مَ» و«مِ» و«اَم» و«اِم».

قد يكون المقطع مؤلفاً من حرفين صامتين بينهما حرف علّة أو من حرفين من حروف العلة بينهما حرف صامت. فإذا أراد الكاتب أن يكتب إسم الملك حمورابي مثلاً، كان عليه أن يجزئ الإسم إلى عدد من المقاطع الصوتية، حَ، مو، را، بي، ثم يبحث عن العلامات

الصورية أو الرمزية التي تلفظ مثل لفظ هذه المقاطع دون الإلتفات إلى معانيها. بذلك تكون النتيجة: (حَ) سمكة + (مو) اسم + (را) ضرب + (بي) شراب.

كانت الطريقة الصوتية، أو المقطعية، الجديدة ملائمة جداً لكتابة اللغة السومرية بما فيها من أسماء وأفعال وصفات وأدوات نحوية إذ إن اللغة السومرية لغة لصقيّة، أي أن جذر الكلمات يبقى دون تغير عند تغير الصيغة الزمنية أو شخص الفاعل، بل يزاد إلى العلامة التي تعبّر عن الإسم أو الفعل مقاطع صوتية أخرى قبل الإسم أو الفعل أو بعده ليحدّد المعنى المطلوب.

الكتابة المقطعيّة(*)

هذه المرحلة من تطوّر الكتابة أعطى كل رمز صوتاً معيناً، بغضّ النظر عن مدلوله الصوّري؛ وتؤرّخ هذه المرحلة بحوالي ٢٨٠٠ قبل الميلاد. يبدو أن تطوّر الكتابة كان إنعكاساً للتطور الإقتصادي والإجتماعي، في بنية مجتمع المدن آنذاك؛ بالإضافة إلى نمو وتطور التفاعل التجاري بين المدن.

لما كانت الكتابة الصورية غير قادرة في التعبير عن الأفكار المجرّدة أو عن الصيغ المتعددة للفعل، إستُعملت علامات للتعبير عن الوحدة الصوتية، أي تهيئة كلمات لا علاقة لها بالصور وقد تحقق ذلك عن طريق هذه الكتابة للتعبير عن الأفكار المجردة وصيغ الأفعال. الكتابة المقطعيّة فهي كتابة صوتية تتكون من مقاطع صوتية تبدأ بحرف صامت يتبعه حرف صائت قصير مثل/بَ/ ، /بُ/ ، /بِ/ أو يتبعه حرف صائت ممدود مثل /با/ ، /بُو/ ، /بِي/. أول مَن مارسها هم السومريون الأوائل والأكاديون الأوائل. وعليه فإن الكتابة المسمارية كانت أول كتابة مقطعية في التاريخ تطورت من خلال بحث الرافدينيين عن حل لمشكلة الكتابة الصورية، فأتت «المسامير» المفردة والمركبة فيها ليس

(*) Syllabic writing system.

للدلالة على رموز مجرّدة بل على مقاطع صوتية بعينها مكونة من حروف ساكنة وأصوات. عُثر في سورية على كتابات هذه المرحلة في تل براك وماري وإيبلا وتل البيدر.

الكتابة المقطعية تتكون من ٢٠٠ إلى ٤٠٠ مقطع صوتي حسب أصوات اللغة المستعملة لها. ومن اللغات التي لا تزال تستعمل الكتابة المقطعية حتى اليوم هي اللغة الأمهرية، وهي لغة سامية تُعتبر إمتداداً للجعزية، لغة مملكة أكسوم في الحبشة. فالكتابة الجعزية /الأمهرية هي كتابة مقطعية مشتقّة من خط المسند الحِميري. وهذا من عجائب اللغات لأن الأحباش أخذوا الكتابة الأبجدية التي تعتبر آخر مرحلة من مراحل تطور الكتابة، وحولوها إلى كتابة مقطعية، فأداروا بذلك عقارب الساعة إلى الوراء كما يقال!

في هذه المرحلة بدأت الكلمة الواحدة تتكون من عدة مقاطع يجمعها لفظ معين، فلكتابة كلمة «يدخل» مثلا والتي تتكون من مقطعين هما «يد» و«خل» ترسم صورة يد أولاً لا تدل على معنى اليد وإنما على صوتها ثم يرسم الجزء الثاني وبذلك تتكون كلمة واحدة متكونة من صورتين لا علاقة بينها غير رابطة إعطاء صوت واحد عند اجتماعها في الكلمة المطلوبة. بعد ذلك تطوّرت هذه المرحلة من الكتابة وأصبحت الصورة ترمز إلى حرف واحد لا مقطع؛ فلكتابة كلمة «عدو» مثلا التي تتكون من ثلاثة أحرف تُرسم صورة لعصفور ودب وصورة وردة ومن لفظ أصوات هذه الصور يتكون صوت عدو.

نُظُم الكتابة

١ ـ المسماريّة[١]

٢ ـ المصريّة

- الهيروغليفيّة[٢]
- الهيراتيكيّة[٣] (الهيراطيقيّة)
- الديموتيكيّة[٤] (الديموطيقيّة)

٣ ـ الهنديّة

٤ ـ المينويّة[٥]

- تصويري «أ»
- تصويري «ب»
- خطّي «أ»
- خطّي «ب»

٥ ـ الحيثيّة

٦ ـ الصينيّة

---

(١) Cuneiform.

(٢) Hieroglyphs.

(٣) Hieratic.

(٤) Demotic.

(٥) Minoan.

٧ ـ الأزتكيّة/ المايبيّة[١]

٨ ـ السامية الشمالية

الفينيقيّة ← القرطاجيّة ← الليبيّة والإيبيريّة

العبريّة

المؤابيّة

الإبلاويّة (الإيبلاويّة ـ العبلاويّة)

٩ ـ الآراميّة

١٠ ـ السامية الجنوبيّة

(١) ـ جنوب الجزيرة العربية

ـ العربيّة البائدة

ـ الميناثيّة

ـ السبئيّة ـ > الإثيوبيّة ـ > الأمهريّة والجعزيّة

ـ الحميريّة

ـ الحضرموتيّة (الحضري)

(٢) ـ شمال الجزيرة العربيّة

ـ الآكاديّة

ـ الثموديّة

ـ اللحيانيّة

---

(١) Aztec/Maya.

- الصفائيّة

- الديدانيّة

١١ - الإغريقيّة

- الإتراسكيّة (Etruscan)

- اللاتينية (Latin)

- الكيريليّة (Cyrillic)

- الآسيويّة الصغرى

- القبطيّة (Coptic)

- الميسابيّة

الكتابة

فيها عبر الإنسان عن أحداثه اليومية وتصوير واقعه. وكانت على أنواع وهي:

أ ـ الخط الهيروغليفي في مصر.

ب ـ الخط الحثي في بلاد الشام والأناضول.

جـ ـ الخط الصيني في بلاد الصين.

د ـ الخط الأشوري في القرن السابع ق. م وإنتهت إلى الخط المسماري.

هـ ـ الخط المسماري وكان في النصف الثاني من عصر الوركاء في حوالي ٣٥٠٠ ق. م

بعد أن عبر الإنسان عن أفكاره بالصورة قديماً، وبعد فترة زمنية تطور ليتوصل، إلى إعطاء أو إستعمال الرموز للأشياء، مثل الشمس والقدم واليد والفم.

في هذه المرحلة تطورت الصورة المرسومة إلى رموز وإشارات مسمارية لا تعبرّ فقط عن المعاني الأصلية للصورة المرسومة بل عن أفكار ومعانٍ لها علاقة بالمعنى الأصلي للشيء المرسوم.

مع تطور حياة الإنسان الأول وتكوين المجتمعات البشرية، وجد

الإنسان نفسه غير قادر على التفاهم مع الآخرين فإهتدى إلى اللغة وإخترع الكتابة لحفظ إنتاجه الفكري وميراثه الثقافي والعلمي من الإندثار. مع التوسع في الزراعة وبداية ظهور المدن والمجتمعات الحضرية، ورواج التجارة وظهور العربة ذات العجلة والسفن الشراعية إبتدع الإنسان الكتابة في بلاد الرافدين في سنة ٥٠٠٠ ق. م.

أُكتشف في سورية منحوتات عليها خطوط ودوائر وأوعية فخارية وسنابل؛ وهي تدل على أعداد وكلمات ـ الخطوط والدوائر تمثل الأعداد أما الرسومات كالأوعية والسنابل فتدل على كلمات. فالوعاء يشير إلى مادة سائلة والسنابل إلى النباتات، أما الخطوط فتشير إلى الأرقام.

الكتابة المسمارية نسبة إلى المسامير التي كانت تكتب بها على الطين والتي كانت تتخذ من خشب صلب أو عظام أو معدن. وهذه الكتابة تظهر في شكل خطوط شبيهة بالمسامير. وقد بدأت في الألف الرابع ق. م أي حوالي سنة ٣٦٠٠ ق. م، وكان إختراعها في البداية لدوافع عملية (التجارة والإدارة وشؤون الدولة) وبقيت كذلك لعدة عهود قبل أن يقع استعمالها في الفنون والأدب والعلوم والميثولوجيا وغيرها. تطورت هذه الكتابة من كتابة تصويرية إلى نظام كتابي تطغى عليه السمات الصوتية.

كانت الهيروغليفية أول الكتابات التي إبتكرها المصريون القدماء والتي كانت عبارة عن كتابة تصويرية تستخدم فيها صور البشر والطيور والثدييات والنباتات والأدوات المتعددة بالإضافة إلى وجود علامات.

وكان عدد الرموز الهيروغليفية حوالي ٧٠٠ وكانت لها وظيفتان؛ تصويرية وصوتية معا. ومن ثم تطوّرت إلى الهيراتيكية (خط رجال الدين) التي ظهرت في عصر الدولة الوسطى الفرعونية والتي كانت تستخدم في المعابد والجنازات، وفي العصر الفرعوني المتأخر تطورت الكتابة إلى الكتابة الديموتيكية (الكتابة الشعبية)، وإستخدمت في جميع نواحي الحياة.

حظيت الكتابة في مصر القديمة بموقع متميّز إذ كانت وسيلة للرقي الإجتماعي حيث كانت تفتح أمام صاحبها باب التوظيف في الدولة.

مرّت الكتابة بعدة مراحل زمنية قبل أن تبلغ القبول والسهولة في الإستخدام. فقد بدأت على شكل صور تدل على معاني ومدلولات ملموسة في الحياة اليومية. وقد تم العثور على بعض النقوش والصور عمرها ٣٥٠٠٠ سنة في كهوف «لاسكو» في فرنسا و«التميرا» في إسبانيا.

في مرحلة متقدمة من التاريخ البشري جاء الفينيقيون، سكان السواحل الشرقية لحوض البحر المتوسط، في حوالي ١١٠٠ ق. م وإبتكروا الكتابة الفينيقية مستعينين بذلك بالكتابة السومرية والمصرية القديمة وطوروها. بذلك إبتكروا الأبجدية الفينيقية التي هي عبارة عن حروف وكل حرف يمثل صوتا معينا. أصبحت حروفهم، أو رموزهم، واضحة سهلة الكتابة وهذه الحروف كانت أساسا للكتابة في الشرق كما في الغرب.

جاء بعد ذلك الإغريق وطوروا أبجديتهم التي نقلوها عن الفينيقيين في حوالي ٤٠٣ ق. م حيث صار لديهم أبجدية خاصة بهم والتي

أصبحت أساسا للأبجدية في الغرب. ثم جاء الرومان فأخذوا الأبجدية الإغريقية، وأبقوا على بعض الأحرف كما هي (حوالي ١٢ حرفا) وعدّلوا سبعة أحرف، وأعادوا إستعمال ثلاثة أحرف كان قد بطل إستعمالها. وقد سادت الأبجدية الرومانية واللغة اللاتينية بلاد أوروبا بعد سيطرة الإمبراطورية الرومانية على بلاد الغرب. هذه الأبجدية مازالت تستعمل حتى يومنا هذا بعد إجراء بعض التعديلات عليها.

إختراع الكتابة أدى إلى توثيق العالم الشفهي، لا بل تطويره، عبر تحريك الكلام من العالم السمعي الشفاهي إلى عالم حسّي جديد هو عالم الرؤية، بما أدى إلى حدوث تحول وإنعطاف كبير في آلية التفكير والكلام معاً.

يمكننا القول أيضاً أن لا تاريخ لمجتمع بلا كتابة.

للإضاءة على أهمية الإختراع هذا، لا بد من الإشارة إلى حادثة أوردها هيرودوت، جرت في الألف الأول قبل الميلاد في مجتمع لا يعرف الكتابة بعد، فقد روى هيرودوت أنه عندما إقتحم ملك الفرس داريوس بجيوشه بلاد الأسقوثيين الواقعة في سهوب أوكرانيا الحالية، بعث إليه الأسقوثيون رسالة تحتوي على طير وفأر وضفدعة وخمسة سهام، وحين بحث الملك آراء مستشاريه، كان رأيهم أن الأسقوثيين يقصدون الحرب. فقد فهموا الرموز، أنه إذا لم تختفوا في السماء كالطيور أو تتواروا في الأرض كالفئران أو تختبئوا في الماء كالضفادع فإن الموت بإنتظاركم.

ولكن كان للملك الفارسي، قراءة أخرى لهذه الرموز، حيث فسّر

الرسالة بأنها تقصد أن الأسقوثيين يضعون أنفسهم تحت سلطة الملك الفارسي، ويقدمون له السماء والأرض والماء وقد تخلوا عن المقاومة. ويبدو أن قناعة الملك برأيه أودت بجيشه إلى المهالك.

بدأ الإنسان الكتابة مستخدما الوسائل المتاحة لديه حيث بدأ بإستخدام النقش على الحجر لتدوين ما يريده ثم إنتقل إلى الكتابة على أوعية أخرى كالرق والبردي والورق الذي إختُرع في بداية القرن الثاني الميلادي. ثم ما لبث الإنسان أن اخترع الآلات التي تساعده على الكتابة مثل الآلات الكاتبة والمطابع وأخيراً أصبح الإنسان يستخدم الكتابة من خلال أجهزة متقدمة جداً مثل الحواسيب وأصبح يتعامل اليوم بما يسمى الكتب الإلكترونية.

مرّت الكتابة بمراحل رئيسية، ليست متعاقبة بالضرورة وإنما هي متداخلة في الزمان والمكان، وقد سميت الكتابات الأولى بالتصويرية ومن بينها الكتابة المسمارية التي كان يستعملها البابليون والآشوريون، والهيروغليفية المصرية والصينية.

لكن وقع التفريق فيما بعد بين الكتابة التصويرية بمعناها الضيق (بيكتوغرافيا) وهي الأقدم عهدا وكتابة الأفكار (إيديوغرافيا) كمرحلة أعلى من مراحل الكتابة التصويرية. فإذا رسمت دائرة تنبثق منها أشعة فإن الصورة في هذه الحالة تعني «شمس» وتؤخذ على أنها تصويرية، أما إذا كان ذلك الرمز الصورة يعني فكرة منبثقة منه مثل القيظ أو حار أو ساخن أو دافئ فإنها تؤخذ على أنها إيديوغرافيّة أي صور لكلمات، حيث أن الواحد من تلك الرموز هو في الغالب عبارة عن كلمة كاملة أو فكرة بأسرها.

ثم إستحالت تلك الرموز من التعبير عن أفكار إلى مقاطع، أي مجموعة من الرموز يدل كل منها على مقطع؛ ثم أُستخدمت العلامات آخر الأمر لا لتدل على المقطع كله بل على أول ما فيه من أصوات وبهذا أصبحت حروفا.

من أهم المناطق التي تطورت فيها الكتابة هي بلاد الرافدين (العراق الحالي) ومصر بالإضافة إلى سوريا وإيران. في الجزء الجنوبي من بلاد الرافدين (دجلة والفرات)، بدأت الكتابة مع السومريين الذين إستمر وجودهم، وبالتالي حضارتهم، عدة قرون بدءا من الألف الرابع ق. م حتى إختفوا من التاريخ في نهاية الألفية الثالثة قبل الميلاد، وإحتلت مكانهم بلاد الرافدين شعوب أخرى: الأكّاديون، البابليون، الآشوريون. ورثت هذه الشعوب وطورت ما توصل إليه السومريون من تنظيمات سياسية وإدارية وقوانين ومنها الكتابة المسمارية التي كانت هذه تكتب من اليمين إلى اليسار.

عُرف الفينيقيون بأنهم إبتدعوا الأبجدية التي تتركب من ٢٢ حرفا صوتيا.

تفصل ثلاثون ألف سنة ونيّف بين رسومات الكهوف في لاسو واتلاميرا في جنوب أوروبا وبين الرسومات الجدارية في مصر. إننا بالكاد نعرف، ما هي الخطوة التي ربطت سرد القصص عن طريق الصور وسردها بواسطة الرموز، ولكننا نعلم ما هي الدوافع التي حدت بالإنسان القديم على رسم فيل الماموث والأيل والثور الأمريكي على جدران الملاجئ التي عاش فيها «قصة صيدها». حفر الإنسان القديم

خطوط هذه الرسوم على العظام بواسطة حجارة مدببة، كما رسمها ولونها على جدران الكهوف بواسطة الفحم وأرياش مصنوعة من عيدان وأغصان الأشجار، ومعها صنع الألوان من أصبغة ترابية سحقها ومزجها بشحم الحيوانات.

حين أتقن الإنسان الزراعة إزداد تناسله وتوطد رخاؤه الإقتصادي كما تجلّت حاجته لحفظ السجلات التي تتعلق بمعاملاته التجارية وملكية الأراضي والعقارات وتسجيل نشاطاته الدينية أيضاً وعلى سبيل المثال، يمكننا أن نتخيل أن أبسط طريقة إتبعها الإنسان القديم لتسجيل ملكية ثلاث بقرات إنما تمثلت في وشم صورها على الحجر أو رسمها على الجدران.

عندما قام البابليون بفتح الأراضي السومرية، إعتمدوا الكتابة المسمارية عام ١٧٢٠ ق. م مما أدى إلى إنتشارها بين الشعوب السامية في الشرق الأوسط.

إن المراحل الأولى من الكتابة عبارة عن سلسلة من الصور المترابطة كان الغرض منها سرد قصة لتبقى كرسالة أو كسجل من المعلومات ومرجع للإستخدام في المستقبل. وفي المرحلة التالية تم تخفيض عدد الصور لتأمين سرعة رسم الصور والأشكال، ويطلق على الأسلوب الذي يرمز للصورة بالـ بيكتوغرام «صورة تمثل فكرة معينة»، ويصطلح على الشيء الذي يرمز للفكرة بالايديوغرام (رمز تمثل فكرة ولا تمثل كلمة). إكتسب السومريون تدريجياً ما لا يقل عن ٢٠٠٠ رمزاً حيث تم تخفيضها إلى حوالي ٦٠٠ إشارة فقط.

أطلق اليونانيون على المرحلة الأولى من الكتابة المصرية «الهيروغليفية» التي تعني الوشم المقدس. هناك نوعين أخريين للكتابة الفرعونية وهي «الديموتيكية» و«الهيراتيكية». إستخدم المصريون في الكتابة الفرشاة القصبية والحبر على ورق البردي وتعد طريقة سريعة وسهلة الإستخدام. يُعتبر إستخدام المصريين للحبر والقلم خطوة ثورية في مجال الكتابة، وهم أول من إستخدم الحبر، وإستعملوا الحبر الأحمر للدلالة على الألقاب والقوانين.

مواد الكتابة القديمة

- ألواح الطين
- أوراق البردي
- الرق

ألواح الطين

إستعملت الألواح الطينية في وادي الرافدين للكتابة عليها كمادة أساسية.

كان يجري تحضير نلك الألواح على عدة مراحل.

١ ـ يتم جمع كمية من الأتربة النظيفة من الشوائب.

٢ ـ بعدها يجرى ترطيبها بالماء وتحويلها إلى عجائن.

٣ ـ تصنع على شكل قوالب مستطيلة الشكل عادة.

٤ ـ تجفّف بعض الشئ ثم يكتب عليها.

٥ ـ عند الإنتهاء من الكتابة كانت الألواح يتم تجفيفها كان يتم تجفيف الألواح في أفران خاصّة أو بتعريضها للشمس.

كانت الكتابة تتم بواسطة أقلام من القصب أو المعدن وخاصة النحاس، حيث يكون رأسها مثلث الشكل وحاد، كي تأخذ شكل

الزاوية. وقد سميت بالخط المسماري أو الكتابة المسمارية بحيث تأخذ طابعها الأخير على شكل رأس مسمار. جمعت هذه الألواح، وصنفت حسب مواضيعها مع إعطائها رقماً وتسلسلاً، مع ذكر إسم الناسخ.

أتت الألواح الطينية بعد تطور شمل عدة مراحل طويلة الأمد من بداية تدوين الإنسان لملاحظاته حول أوضاعه وعكَس ما كان يدور في تلك الأزمنة على الصخور والرقوق.

يوجد حوالي ١٣٠٠٠٠ لوح طيني في المتحف البريطاني من بلاد الرافدين ومملكة ماري السورية التي أُكتشف فيها أكبر مكتبة في التاريخ القديم.

إستخدم الإنسان في الكتابات الأولى سطوح الحجر التي نقش عليها كتابته التصويرية والمسمارية، وإستخدم الطين في بلاد الرافدين حيث كانت تُجهّز الألواح الطينية اللازمة ويضغط عليها بقلم من الخشب أو القصب ليحصل على الأشكال المطلوبة، ثم يترك ليجف في الشمس أو يشويه في الفرن حتى يصلب ويتحول إلى رقيم (وجمعها رُقُم). وكذلك نقشوا كتابتهم التصويرية والمقطعية على سطوح المعادن والعظام وجلود الحيوانات والأخشاب.

المكتشف من هذة الألواح

مكتبة أشور بانيبال

كان الملك آشوربانيبال[1] (٦٦٨ ـ ٦٢٦ ق. م.) من أكثر ملوك

---

(١) Assurbanipal.

العهد الآشوري ثقافة، فجمع الكتب من أنحاء البلاد وخزنها في دار كتب قومية خاصة شيّدها في عاصمته نينوى[١] بالعراق. وجمع فيها كل الألواح الطينية التي دُوّنت عليها العلوم والمعارف.

مكتبة العراق

بعد أن تم التنقيب في الأراضي العراقية من قبل خبراء الآثار في القرن التاسع عشر، أُكتشف ما يمكن تسميته بالمكتبة في المعبد الرئيسي لمدينة كيش[٢] (٣٢٠٠ ـ ٢٧٢٠ ق. م) حيث عثر على مجموعة كبيرة من الألواح الطينية مكتوبة بالخط المسماري. كما عثر على مجموعه مماثلة في أماكن ومدن أخرى مثل أور[٣] وسيبار[٤] ونيبور[٥] وأوروك[٦] وغيرها.

ألواح إيبلا

تعتبر ألواح ايبلا من أقدم وأكمل المجموعات الخاصة بالوثائق الرسمية لدولة ظهرت على الوجود، وخاصة بعد الحريق الكبير الذي حدث عند غزو جيش نارام ـ سين ملك أكاد لمدينة ايبلا، وأمر بإحراق القصر الملكي.

نتيجة ذلك الحريق إشتدّت صلابة تلك الألواح وبقيت صامدة لفترة طويلة. كان ذلك عام ٢٢٥٠ ق. م وبقيت مدة ٤٢٢٥ سنه دون تغيير.

رتبت هذة الألواح حسب مواضيعها الخمسة، وهي: ـ

---

(١) Nineveh.

(٢) Kish.

(٣) Ur.

(٤) Sippar.

(٥) Nippur.

(٦) Uruk.

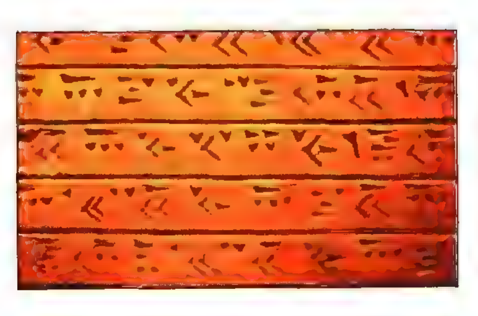
١ ـ الألواح الأدبية.

٢ ـ الألواح اللغوية.

٣ ـ الألواح الرسمية.

٤ ـ الألواح الإقتصادية.

٥ ـ الألواح الدينية.



نقش مسماري على لوح طيني

كانت الكتابة المسمارية لها قواعدها في سنة ٣٠٠٠ ق. م. دوّن السومريون بها السجلات الرسمية وأعمال وتاريخ الملوك والأمراء، والشؤون الحياتية العامة كالمعاملات التجارية والأحوال الشخصية والمراسلات والآداب والأساطير والنصوص المسمارية القديمة والشؤون الدينية والعبادات. أيام حكم الملك حمورابي (١٧٢٨ ـ ١٦٨٦ق. م.) وضع شريعة واحدة تسري أحكامها في جميع أنحاء مملكة بابل. هذه الشريعة عرفت بشريعة حمورابي التي كانت تضم القانون المدني والأحوال الشخصية وقانون العقوبات والعلوم المتنوعة. إنتقلت الحضارة من بلاد الرافدين في العصر البابلي القديم إلى جميع أنحاء المشرق وإلى أطراف العالم القديم.

أوراق البردي

كان الإغريق أول من سمّى نبات قصب البردي (papyrus) الذي تنتسب إليه تسمية الورق المستخدمة في أكثر اللغات الأوربية.

البردي في الأصل هو نبات ينمو في السودان، حيث يبلغ طوله بين مترين وربع إلى ثلاث أمتار ونصف. وكان قصب البردي في ذلك الوقت مرغوب به حتى من قبل الأوربيين حيث أسسوا لها المصانع وبصورة خاصة في روما.

صنع المصريون القدماء الورق من نبات البردي وكتبوا عليه بالحبر الأسود أو الأحمر أو الأخضر الذي إستخلصوه من النباتات المتنوعة. عرف الصينيون صناعة الورق منذ القرن الميلادي الأول، ولم يعرفه الأوربيون قبل عام ١٣٤٠م في إيطاليا، وذلك على يد العرب الذين برعوا في صناعته. ويُنسب إلى المصريين القدماء والصينيين كذلك صناعة الحبر من مواد طبيعية كالفحم وأملاح الحديد وإستخدامه قبل الميلاد بنحو ٢٥٠٠ سنة. بعدئذٍ إستخدم الحبر في الكتابة بالريشة التي حصل عليها من ريش البط والبجع، ثم أصبحت الريشة تصنع من المعدن. كما إستخدم الحبر في الآلة الكاتبة والمطبعة التي إخترعها الألماني يوهانس غوتنبرغ (١٤٠٠ ـ ١٤٦٨م)، وهي الآلة المتحركة بعدما كانت تطبع الكتب بألواح حجرية أو خشبية بضغطها باليد على الورق وغيره من المواد، ثم تطورت الآلة الكاتبة من يدوية إلى كهربائية، ثم حل محلها الحاسوب، وجلب معه أشكالاً كثيرة للحروف في معظم اللغات التي لم تكن معروفة أو معهودة، وفتح باباً واسعاً لأشكال من الطباعة والنسخ والفنون الكتابية المتنوعة، كما تنوعت أنواع الورق وسماكته وألوانه.

ورق البردي هو نوع قديم من الورق المصنوع من نبات البردي وهو نبات طويل من جنس السُعد تمتد سيقانه إلى أعلى وهي ذات مقطع

مثلث الشكل، وأزهاره خيمية الشكل ويرتفع نبات البردي من خمسة إلى تسعة أمتار.

أول استخدام لورق البردي كان في مصر القديمة وخصوصا في دلتا النيل، وإنتقلت بعدها في العصور القديمة إلى فلسطين وصقليّة، وإستخدم الورق في كل نواحي مناطق البحر المتوسط، وبعض مناطق أوروبا وجنوب غربي آسيا. وقد وصل إلينا من العصر اليوناني والروماني عدد كبير نسبياً من النصوص المكتوبة على ورق البردي، ومعظم هذه النصوص عثر عليها في مصر. كان طول الصفحة ٣٠ سم وعرضها ٢٠ سم وكان طول اللفافة (الطومار) من ٦ إلى ١٠ أمتار. كان الطومار يصنع بلصق الورق معا، ويلف حول لوح خشبي أو قضيب من العاج. كانت الصفحة تصنع من شرائح طولية من سوق النبات. كان الفينيقيون يتاجرون به ويستعملونه منذ سنة ١١٠٠ ق. م وكانوا يصدرونه للإغريق منذ سنة ٩٠٠ق. م.

المكتشف من هذة الأوراق

١ ـ أقدم لفافة بردية معروفة ترجع إلى عام ٢٤٠٠ ق. م

٢ ـ أشهر المكتبات في العصر القديم والتي كانت تحوي على حوالي ٤٥٠,٠٠٠ لفافة بردي هي مكتبة الإسكندرية.

أنواع البرديّات المكتشفة

- **البرديّات الطبية**

هذه البرديات نوعان، أولها المؤلفات الطبية والثانية تخص التعاويذ

السحرية النافعة، بحسب إعتقاد المصريين القدماء وذلك لطرد الأمراض من الجسم، وهي لمؤلفين مجهولين.

أكثر هذه المخطوطات البردية موزّعة على كثير من عواصم ومدن العالم مثل باريس وتورين وبودابست وروما (متحف الفاتيكان) ولندن وبرلين.

من أهم هذة البرديات الطبية، والتي يعتقد أنها كتبت في الفترة ما بين عام ١٨٠٠ و١٢٠٠ ق. م، ترجع إلى العصر الفرعوني وهي ثمانية: ـ

١ ـ بردية أدوين سميث الجراحية (Edwin Smith Papyrus).

٢ ـ بردية إيبرز (Ebers Papyrus).

٣ ـ برديات برلين الطبية (Berlin Papyri).

٤ ـ برديات تشستر بيتي الطبية في المتحف البريطاني (Chester Beatty Papyri).

٥ ـ برديات الأرشدوك راينر ـ النمسا ـ من أكبر مجموعات العالم، حوالي ١٨٠٠٠٠ قطعة (Archduke Rainer).

٦ ـ برديات ميتشيغان (Michigan Papyri).

٧ ـ بردية لندن الطبية وهي الآن في المتحف البريطاني.

٨ ـ برديات أمهرست ـ نيو يورك (Amherst Papyri).

- **البرديات التاريخية**

أشهرها بردية تورين[1] (قائمة الملوك) وتسمى أحيانا ببردية الملوك

---

(١) Turin.

وتعتبر هذة البردية من أهم المصادر التاريخية لأنها تثبت أسماء الملوك الذين حكموا مصر منذ بدايتها حتى وقت كتابتها في الأسرة التاسعة عشر؛ وهي تذكر أسماء الملوك حسب توليهم العرش والفترة التي حكموا فيها؛ وتبدأ بالأسر الإلهية أي الوقت الذي كانت تحكم فيه الإلهة، على زعمهم...

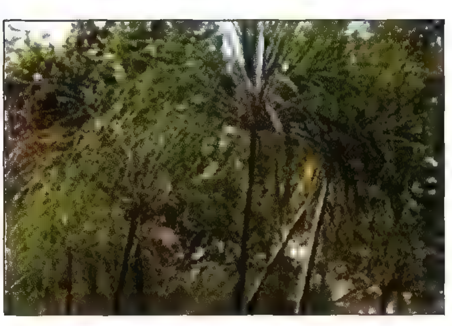
- **برديات الموتى**

جرت العادة على كتابة بعض الأدعية والصلوات التي كانت توضع مع الموتى وكانت تكتب على الجدران في المقابر حتى إستعمل البردي لهذا الغرض عام ١٨٠٠ ق. م

- **برديّات متعددة**

- برديات أدبية.
- برديات التعليم والمدارس.
- برديات الفلك.
- برديات الرياضة.
- برديات متنوعة عن الأمن والقضاء وأوراق نظام الألقاب، وأوراق الملوك الأخرى.

أقدم مخطوط عربي مكتوب على أوراق البردي هو بردية ذات سبع وعشرين صفحة، يعود تاريخها إلى سنة ٢٢٨هـ (٨٨٤م).



نبات البردي

وإذا كان الأمر يتعلق بنص طويل فقد كانت تلصق عدة صفحات من هذا النوع بحيث يتشكل شريط يتراوح طوله من ٦ إلى ١٠ أمتار. وفي حالات نادرة كان الشريط الواحد يمتد إلى ٤٠ متراً وأحياناً أكثر من ذلك. كان الشريط من هذا النوع يلف حول عود من الخشب أو من العاج وكان يدعى «أومفالوس» من قبل اليونانيين و«أمبليكس» من قبل الرومانيين. أما اللفافة من ورق البردي فقد دعيت «توموس» أو «كيليندروس» في اليونانية و«فوليمون» في اللاتينية.

حسب أحد الجغرافيين من القرن الرابع الميلادى أن ورق البردي كان ينتج في ذلك الحين في الإسكندرية وضواحيها فقط. وقد كانت الإسكندرية، هي الميناء الذي تأتي إليه السفن من بلدان حوض المتوسط للتزود بهذه المادة الثمينة. وفي الواقع لقد كان إزدهار الإسكندرية الإقتصادي، منذ تأسيسها، ينبع من التجارة بورق البردي.

الرق

كان جلد الحيوانات يُغلى في الماء ثم يُنشر في الهواء حتى يجف وبعدها يدهن بالطباشير ثم يكتب عليه.

إمتاز الرق عن ورق البردي بأنه يُكتب على الوجهين لقوته ومتانته؛ ولهذا تقدّم على البردي في الإستعمال. وقد إستعمل الرق مرة ثانية بعد الحريق الكبير الذي وقع عند الإمبراطور قسطنطين في بيزنطة حيث حرقت الكتب بأعداد كبيرة وبقي الرق سالماً فأخذوا يمحوا ما عليه وأعادوا الكتابة مرة أخرى.

بقي الرق يستعمل لمدة ثلاث قرون حتى نهاية القرن الثالث عشر.

شهدالقرن الخامس عشر عملية التحول من الرق إلى الورق ومن الكتاب المخطوط إلى الكتاب المطبوع. واتخذ الكتاب المصنوع من الورق شكل الكتاب المعروف حالياً.

أدوات الكتابة

لعبت أدوات الكتابة، ووسائلها الدور البارز في ظهور الكتاب:

١ ـ الجلد: كانوا يسمونه الرق، والأديم، والقضيم، والفرق بينها غير واضح من النصوص والروايات نفسها، ولكن المعجمات تجعل الرق الجلد الرقيق الذي يسوّى ويرّقق ويكتب عليه، وتجعل الأديم الجلد الأحمر أو المدبوغ، والقضيم الجلد الأبيض يكتب عليه، وقد ورد ذكرها كّلها في الشعر الجاهلي.

٢ ـ القماش: لقد كان القماش حريراً أو قطناً، ويطلقون على الصحف إذا كانت من القماش: المهارق، مفردها المهرق، وهو لفظ فارسي.

٣ ـ النبات: أشهر أنواعه العسيب، وجمعه عسب وهو السعفة، أو جريدة النخل إذا يبست وشذبت من خوصها. وقريب من العسيب: الكرنافو جمعها كرانيف، وهي أصول السعف العراض اللاصقة بالجذع، وقد ورد أن الوحي كان يكتب في عهد الرسول ﷺ على العسب والكرانيف. ومن الخشب أيضًا الروسم (الخشب العريض).

٤ ـ العظام: أنواع العظام التي كانوا يكتبون عليها: الكتف واللوح والأضلاع.

٥ ـ الحجارة: هي حجارة بيض رقاق يكتب عليها، وقد كتبت عليها آيات القرآن الكريم على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم. ورد أن رسول الله ﷺ لم يدخل الكعبة يوم الفتح حتى أمر بإزالة ومحي

الزخرف، وأمر بتكسير الأصنام والنقوش والتصاوير، وقد روى إبن الكلبي أنه أخذ علمه بأنساب العرب مما وجده على جدران كنائس الحيرة.

٦ ـ الورق: عرف الصينيون صناعته منذ زمن بعيد، وقد إستخدمه العرب في الكتابة لاحقا؛ فقد ذكر إبن النديم أنه رأى أوراقًا من ورق الصين فيها كتابة بخط يحيى بن يعمر المتوّفي عام ٩٠ هجرية، إضافة إلى أن عثمان بن عفان عزم على كل رجل معه من كتاب الله شيء أن يذهب به إليه، وكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه شيء من القرآن. قال عمرو بن نافع مولى عمر بن الخطاب «فإستكتبتني حفصة بنت عمر مصحفًا لها.... فلما بلغت إليها حملت الورقة والدواة».

المواد التي كانوا يكتبون بها فهي ثلاثة أمور:

١ ـ القلم: أسهب الكثيرون في وصفه كابن قتيبة، وإبن النديم، والصولي، والبطليوسي، والقلقشندي. كان القلم يصنع من القصب، يقّلم، أو يبرى، ثم يغمس في مداد الدواة، ويكتب به.

٢ ـ الدواة: هي الوعاء الصغير الذي يوضع فيه الحبر؛ ليغمس فيه القلم؛ ويصنع عادة من بعض المعادن المعروفة آنذاك كالحديد، أو النحاس.

٣ ـ المداد: أو النِّقس كما يطلق عليه وهو سائل يؤخذ من رماد بعض المواد المحروقة، أو من أنواع معينة من الحجارة الملونة تدق وتطحن وتخلط بالماء حتى يصبغ لونه، وأشهر الألوان كان اللون الأسود. كثيرًا ما كانوا يمحون المكتوب بالمداد حين تنقضي حاجتهم منه، ثم يستخدمون الصحيفة لكتابة شأن آخر من شؤونهم، ويسمون هذه الصحيفة التي يكتبون عليها أكثر من مرة طرسًا.

الكتابة المسماريّة(*)

الكتابة المسمارية كانت متداولة لدي الشعوب القديمة في بلاد ما بين الرافدين. أول هذه المخطوطات اللوحية ترجع لسنة ٣٠٠٠ ق. م. وهذه الكتابة سبقت ظهور الأبجدية بحوالي ١٥٠٠ سنة. ظلّت هذه الكتابة سائدة حتى القرن الأول ميلادي.

ظهرت هذه الكتابات أولا في جنوب العراق لدى السومريين للتعبير بها عن لغتهم وكانت ملائمة لكتابة اللغة الأكّادية والتي كان يتكلمها البابليون والأشوريون. تم إختراع الكتابة التصويرية في بلاد ما بين النهرين قبل العام ٣٠٠٠ قبل الميلاد حيث كانت تدون بالنقش على ألواح من الطين أو المعادن أو الشمع وغيرها من المواد. ثم تطورت الكتابة من إستعمال الصور إلى إستعمال الأنماط المنحوتة بالمسامير والتي تعرف بالكتابة المسمارية.

أول كتابة تم التعرّف عليها هي الكتابة السومرية والتي لا تمت بصلة إلى أي لغة معاصرة. بحلول عام ٢٤٠٠ قبل الميلاد تم إعتماد الخط المسماري لكتابة اللغة الأكّادية، كما إستعمل نفس الخط في كتابة اللغة الآشورية واللغة البابلية، وهي جميعها لغات سامية مثل اللغتين

(*) Cuneiform.

العربية والعبرية. تواصل إستعمال الخط المسماري للكتابة في لغات البلاد المجاورة لبلاد ما بين النهرين مثل لغة الحيثيين في سوريا والأناضول واللغة الفارسية القديمة، وبقيت تستعمل إلى نهاية القرن الأول الميلادي.

تم فك رموز الخط المسماري في القرن التاسع عشر وبذلك تسنّى للعلماء قراءة النصوص الإدارية والرياضية والتاريخية والفلكية والمدرسية والطلاسم والملاحم والرسائل والقواميس المسمارية. وُجِدَ في المتحف البريطاني حوالي ١٣٠٠٠٠ لوح طيني من بلاد الرافدين ومن الحضارات القديمة ومملكة ماري السورية التي إكتشف فيها أكبر مكتبة في التاريخ القديم.

كان البابليون والسومريون والآشوريون في العراق وسوريا يصنعون ألواحهم الطينية الشهيرة من عجينة الصلصال التي كانوا يكتبون عليها بآلة مدببة، فيخدشون بها اللوح وهو لين، وبعدها تحرق هذه الألواح لتتصلب.

الكتابة في أوروبا بدأت على شكل صور تعبّر عن الحياة اليومية، كبعض النقوش والصور التي عمرها ٣٥٠٠٠ سنة، كما وجدت في كهوف «لاسكو» في فرنسا و«التميرا» في إسبانيا. كانت هذه لغة مصورة في شكلها البدائي.. وقد كانت الكتابة في بداية عهدها عبارة عن صور توحي تماما بما رسم فيها. ثم تطورت إلى صور رمزية توحي بمعنى معين. كانت هذه الرموز يصعب فهم العامة لها، فاتجهوا إلى استعمال رموز توحي بأصوات معينة، وهذه الرموز الصوتية كانت خطوة أساسية في نشوء الأبجدية وفي تطوير الكتابة فيما بعد.

لقد كان للكتابة المسمارية قواعدها في سنة ٣٠٠٠ ق. م. دوّن السومريون بها السجلات الرسمية وأعمال وتاريخ الملوك والأمراء، والشؤون الحياتية العامة كالمعاملات التجارية والأحوال الشخصية والمراسلات والآداب والأساطير والنصوص المسمارية القديمة والشؤون الدينية والعبادات. أيام حكم الملك حمورابي (١٧٢٨ ـ ١٦٨٦ق. م.) وضع شريعة واحدة تسري أحكامها في جميع أنحاء مملكة بابل. هذه الشريعة عرفت بشريعة حمورابي التي كانت تضم القانون المدني والأحوال الشخصية وقانون العقوبات والعلوم المتعددة. إنتقلت الحضارة من بلاد الرافدين في العصر البابلي القديم إلى جميع أنحاء المشرق وإلى أطراف العالم القديم.

من الملاحظ أن الكتابة المسماريّة كُتبت في أول عهدها وقُرأت في أعمدة وتقرأ من الأعلى إلى الأسفل ومن اليمين إلى اليسار. لكن بعد حوالي عام ٢٥٠٠ ق. م تغيّر من اليسار إلى اليمين. أما الهروغليفيّة فكانت تكتب من اليمين إلى اليسار وتكتب في بعض الأحيان من اليسار إلى اليمين وأحيانا أخرى في أعمدة رأسيّة. النص السينائي كان أيضاً متعدد الإتجا هات.

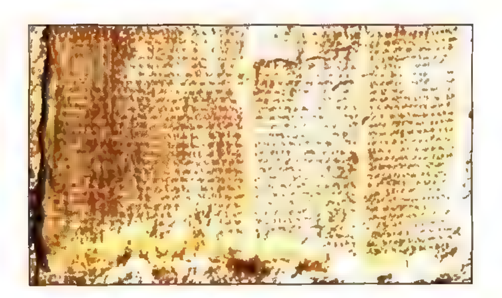
بحلول عام ٢٤٠٠ قبل الميلاد تم إعتماد الخط المسماري لكتابة اللغة الأكادية، كما إستعمل نفس الخط في كتابة اللغة الآشورية واللغة البابلية، وهي كلها لغات سامية مثل اللغتين العربية والعبرية. تواصل إستعمال الخط المسماري للكتابة في لغات البلاد المجاورة لبلاد ما بين النهرين مثل لغة الحطيين (الحيثيين) في سوريا والأناضول واللغة الفارسية القديمة، واستعملت حتى نهاية القرن الأول الميلادي. تم

فك رموز الخط المسماري في القرن التاسع عشر وبذلك تسنّى للعلماء قراءة النصوص الإدارية والرياضية والتاريخية والفلكية والمدرسية والطلاسم والملاحم والرسائل والقواميس المسمارية. ويوجد حوالي ١٣٠٠٠٠ لوح طيني من بلاد الرافدين في المتحف البريطاني من الحضارات القديمة ومملكة ماري السورية التي إكتشف فيها أكبر مكتبة في التاريخ القديم وبلاد الرافدين. كانت الكتابة المسمارية لها قواعدها في سنة ٣٠٠٠ ق. م. إبان العصر السومري حيث إنتشر إستعمالها. فدوّن السومريون بها السجلات الرسمية وأعمال وتاريخ الملوك والأمراء والشؤون الحياتية العامة كالمعاملات التجارية والأحوال الشخصية والمراسلات والآداب والأساطير والنصوص المسمارية القديمة والشؤون الدينية والعبادات.

أيام حكم الملك حمورابي (١٧٢٨ ـ ١٦٨٦ق. م.) وضع شريعة واحدة تسري أحكامها في جميع أنحاء مملكة بابل. هذه الشريعة عرفت بشريعة حمورابي التي كانت تضم القانون المدني والأحوال الشخصية وقانون العقوبات. في عصره دونت العلوم، انتقلت الحضارة من بلاد الرافدين في العصر البابلي القديم إلى جميع أنحاء المشرق وإلى أطراف العالم القديم. وكان الملك آشوربانيبال (٦٦٨ ـ ٦٢٦ق. م.) من أكثر ملوك العهد الآشوري ثقافة. فجمع الكتب من أنحاء البلاد وخزنها في دار كتب قومية خاصة شيّدها في عاصمته نينوى بالعراق. وجمع فيها كل الألواح الطينية التي دونت عليها العلوم والمعارف. وكان البابليون والسومريون والآشوريون في العراق وسوريا يصنعون من عجينة الصلصال Kaolin (مسحوق الكاولين) ألواحهم الطينية الشهيرة التي

كانوا يكتبون عليها بآلة مدببة من البوص بلغتهم السومرية؛ فيخدشون بها اللوح وهو ليّن وبعدها تحرق هذه الألواح لتتصلب.

فك رموز الكتابة المسمارية



أول من فكّر في فك رموز الكتابة المسمارية هو العالم الألماني كارستن نيبور[١]. تُعتبر رحلة نيبور التي قام بها في الشرق الأوسط سنة ١٧٦١ م هي أول رحلة أوروبية في مجال الآثار في العصر الحديث. اللوح الطيني المكتوب بثلاث لغات كانت رحلته مدعومة من الملك الدنماركي فريدريك الخامس وكان الهدف الرئيسي منها بلاد اليمن.

لكن الرحلة التي ساهمت في فك الرموز المسمارية هي رحلة مدينة الإصطخر الإيرانية التي وجد فيها نيبور ألواحاً كُتبت بالخط المسماري. قام نيبور بإستنساخ ثلاث نسخ من لوح طيني كُتب بالخط المسماري كُتب بثلاث لغات: العيلامية والفارسية القديمة (الفهلوية) والأشورية.

نيبور ورفاقه لم يتمكنوا من فك الرموز في اللوحة إلى أن أتى شخص يُدعى كروتفند[٢] الذي كان يدرّس اللغة الأغريقية في مدرسة ألمانية في فرانكفورت. والد كروتفند كان إسكافياً وكان هذا الشاب مولعاً بحل الألغاز والكلمات الغامضة، وكان يراهن أصدقاءه على حل

(١) Carsten Niebhur.

(٢) Georg Friedrich Grotefend.

رموز هذه اللغة وفعلاً حلّ من هذه الرموز عشر علامات وثلاثة أسماء. إنقسم العلماء ما بين مؤيد ومعارض ولكن كروتفند شجع حوالي أحد عشر عالماً على الإبحار في فك رموز الكتابة المسمارية ونجح الكثير منهم في ذلك.



أول لوحة مسمارية في الفضاء!!!

(حساب حصص الإعاشة لستة أشخاص يعملون كرسل لحاكم المدينة).

رائد الفضاء سوني كارتر[1] أخذ تلك اللوحة المسماريّة معه، في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٩، في بعثة مكوك الفضاء ديسكوفري[2] كجزء من مشروع وكالة الفضاء الأميركيّة «ناسا» ضمن «برنامج أشياء في الفضاء». تمثّل تلك اللوحة أقدم قطعة أثرية من صنع البشر التي سافرت في الفضاء.

هذه اللوحة المسمارية تسرد حصص الإعاشة للرسل الستّة عند قيامهم برحلة:

إلى باما: ٥ أرباع بيرة؛ ٥ أرباع الخبز؛ ٥ أوقية؛ ٣ أوقية بصل؛ النفط؛ ٢ أوقية قلوي

إلى بازا: نفس المبلغ

---

(١) Sonny Carter.

(٢) Discovery.

إلى لوجال ـ سازو: نفس المبلغ

إلى سو ـ إسدار: ١٠ أرباع بيرة؛ ١٠ أرباع الخبز؛ البصل ٥ أوقية؛ ٣ أوقية زيت؛ ٢ أوقية قلوي

إلى ماس:٥ أرباع بيرة؛ ٥ أرباع خبز؛ ٥ أوقية البصل؛ ٣ أوقية زيت؛ ٢ أوقية القلوي

أوباروم: ٣ أرباع بيرة؛ ٢ أرباع خبز؛ ٥ أوقية البصل؛ ٣ أوقية زيت؛ ٢ أوقية اقلوي

اليوم؛ ٢٤ سنة: تمّ غزو (مداهمة) ههنوري (٢٠٤٠ ق. م).

الأكّاديّة (الآشورية ـــ البابلية)



دُوّنت اللغة الأكادية بالخط المسماري الذي إبتدعه السومريون لتدوين لغتهم، وأضحت المسمارية الوسيلة الأساسية لتدوين الأكادية بعد ان إنتقلت مراكز القوى من سومر إلى أكاد. إستطاع الأكاديون إدخال تغيرات وتطورات في اللغة السومرية وتسهيل نطق المقاطع الصوتية وكتابة الرموز وإختصارها بما يلائم حاجاتهم لأغراض التدوين والتجارة وغيرها. بقيت اللغة الأكادية، التي تبنّت السومرية، يُكتب بها على نحو ثلاثة آلاف عام على أقل تقدير. أطلقت تسمية اللغة الأكادية على (البابلية ـ الآشورية)، نسبة إلى تداولها في مدينتي بابل وأشور.

إتّبعت الأكادية طريقة إضافة وتعديل المقاطع الصوتية الموجودة في

السومرية بإدخال أصوات جديدة تحوّلها ألى مقطع صوتي - حرفي. بالإضافة إلى إستخدامها لمقاطع صوتية للدلالة على الحروف الصحيحة، فإستخدموا مقاطع تتألف من تشكيلات متعددة، مثل: حرف علة + حرف صحيح مثل إم، إك، إبو أب، أو حرف صحيح + علة مثل با، دا، وج، أو حرف علة + صحيح + علة مثل بيد، كام، وراس. وكذلك إستخدموا المقاطع في نهاية الكلمة التي تسهّل عملية نطق الكلمات وترتيب الجمل وزيادة عدد المرادفات للكلمة الواحدة.

إيبلا

مدينة أثرية في محافظة إدلب التي كانت عاصمة شمال سوريا ما بين ٢٤٠٠ ـ ٢٣٠٠ ق. م. إكتشفت عام ١٩٦٨ من قبل بعثة أثرية إيطالية في موقع جنوب مدينة حلب عند موضع يعرف اليوم بـ «تل مرديخ». سيطرت إيبلا على طرق التجارة الواسعة بإتجاه البحر غرباً والأناضول شمالاً وبلاد الرافدين شرقاً. هذه البعثة إكتشفت الأرشيف الملكي لمدينة إيبلا الذي يضم ١٤٠٠ مخطوطاً على رُقُم (ألواح فخارية) تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد. تبيّن من هذه الألواح المكتوبة باللغة السومرية القديمة أن إيبلا كانت عاصمة لمملكة ذات حضارة متقدمة تعود إلى العام ٢٤٠٠ قبل الميلاد وتتعاصر مع حضارة مصر وحضارة بلاد ما بين النهرين وأنها كانت مركزاً تجارياً هاماً. وأيضاً عثر هؤلاء العلماء على مجموعة من المعابد والقصور في إيبلا.

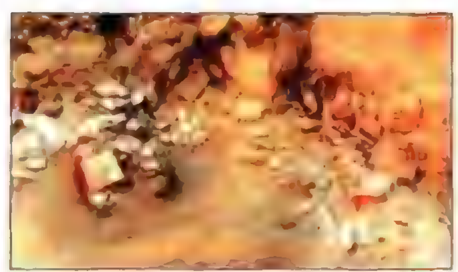
إكتُشِف في موقع تل مرديخ تمثال بازلتي (حجر بركاني) نصفي مقطوع الرأس عليه الكتابة المسمارية الآتية:

«هذا الحوض تقدمة لمعبد الرّبة عشتار من إيبيت ليم ابن إغريش حيبا ملك من سلالة إيبلا، في السنة الثامنة لعشتار وعندما تألق نجم إيبلا، أدخل ايبيت ليم هذا التمثال إلى المعبد من أجل حياته وحياة بنيه

وسُرّت عشتار بهذه التقدمة سروراً كبيراً». وتعد هذه الكتابة الدليل الأول لتحديد هوية هذا التل الأثري.

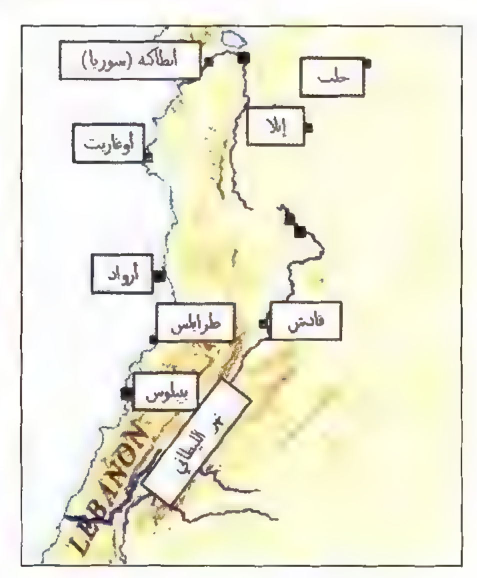
وتم العثور بين الأنقاض على إثنين وأربعين لوحاً طينياً منقوشاً بالخط المسماري، وتُعد هذه الألواح جزءاً من المكتبة الملكية في القصر، التي تحتفظ عادة بكل الوثائق والرسائل التي تهم المملكة. ظلّت عملية التنقيب مستمرة حتى عام ١٩٧٥ إلى أن تم العثور على المكتبة الملكية التي تحوي آلاف الرقم المسمارية.

تتألف المكتبة الملكية في إيبلا من عدد ضخم من الألواح الطينية، وهي رُقم مسمارية رُتّبت على رفوف خشبية بصورة دقيقة ومصنّفة وفق موضوعاتها. يبلغ عدد هذه الرقم ١٦٥٠٠ رقيم، أكثرها بحالة سليمة وبعضها محطّم تم ترميمه، أو بقيت كسراً لم يتمكن الفنيون من ترميمها، وقد سُجِلت في قيود المديرية العامة للآثار والمتاحف بالتسلسل: منها ١٨٠٠ رقيم كامل و٤٧٠٠ جزء رقيم وحوالي عشرة آلاف كسرة كبيرة أو صغيرة؛ وهكذا فإن مجموع الرقم التي يمكن أن نعدّها متكاملة، لا تتجاوز الأربعة آلاف رقيم. ولقد تبين أن هذه المكتبة هُدِمت مع القصر وأُحرِقت، وقد بدا تأثير الحريق على الخشب الذي أضحى فحماً، كما بدا على الرقم ذاتها التي أصبحت أكثر صلابة. وقد تأكد أن هذا الحريق كان من فعل «نارام سين» الملك الأكادي في عام ٢٢٥٠ق. م، والذي يقول في كتابات أكادية: «إني أنا الذي فتح إيبلا دارمانوم ولم يكن بإمكان أحد قبلي أن يقوم بهذا العمل».





مكتبة إيبلا قبل وبعد الترميم





لوح مسماري من إيبلا



أثار إيبلا

لقد كشفت وثائق تل مرديخ عن أسماء ملوك سلالة بكاملها في إيبلا، وهم:

١ ـ الملك اغريش ـ حلم ٢٤٠٠ ق. م وهو الذي أنشأ القصر الملكي في حوالي عام ٢٤٠٠ ق. م.

٢ ـ الملك آركب ـ دامو: في عهده توسعت علاقات إيبلا الخارجية ووصل نفوذه إلى شمال إيران الحالية.

٣ ـ الملك أوراينوم ـ ٢٣٤٠ ق. م. في عهده أصبحت ماري تابعة لإيبلا وأصبحت أكاد مدينة تابعة لنفوذ ملك إيبلا في أثناء حملته التي شنّها على الفرات بقيادة آنا ـ داغان الذي حمل لقب ملك ماري.

٤ ـ الملك آبيريوم: وهو معاصر للملك الأكادي الشهير صارغون الذي شهدت إيبلا هزيمة على يده بعد حرب بسبب المنافسة التجارية بين البلدين. وفي عهده إنتصرت إيبلا على مملكة ماري بقيادة إبن الملك شوار دامو وحمل هذا الملك لقب ملك ماري أيضاً.

٥ ـ آبي شيبش: عادت إيبلا في زمن هذا الملك إلى الظهور كدولة قوية فعززت قوتها، ولعله آخر هذه السلالة الذي تعرّض لغزو الأكاديين، وفي عهده خرب القصر وإحترق في عام ٢٢٥٠ ق. م. وفي عام ١٩٧٢ عُثِر على رقيم ورد فيه إسم الملك آبي شيبش الذي يرجع إلى النصف الثاني من الألف الثالث ق. م ولقد تبين أن إيبلا في عهده وصلت إلى ذروة ازدهارها وقوتها. وفي الوقت نفسه عُثِر في صالة أخرى من صالات القصر على لوح خشبي متفحّم مزيّن بمنحوتات بشرية وحيوانية تمثل صراعاً بينها، وهي نافرة ودقيقة جداً أعطتنا دليلاً عن خصائص الفن في تلك المملكة.

٦ ـ آبي زيكو ـ ١٧٥٠ ق. م: معاصر لحمورابي.

أقدم صور الأشياء المادية التي دُوّنت، هي الأغنام والماعز والأصواف، والعلامة الدالة على كلمة تاجر، وصورة المحراث وعلامتي البستان وشجرة النخيل، والعلامة المعبّرة عن العربة ذات العجلة. بالإضافة إلى قائمة طويلة سجّلت العلامات الدالة على كلمات مثل: سنبلة القمح، الثور، البقرة، ، الكلب، الخنزير، الغزال، الثعلب، الأسد، الحمار، البطة، السمكة، اليد، الذراع، القدم، الساق، النجمة، الأرض، الكوخ، المحراث، المركب، وغيرها.

الكتابات المصريّة

١ ـ الهيروغليفيّة

٢ ـ الهيراتيكيّة (الهيراتيقيّة)

٣ ـ الديموتيكيّة (الديموتيقيّة)

كانت الهيروغليفية أول الكتابات التي إبتكرها المصريون القدماء والتي كانت عبارة عن كتابة تصويرية تستخدم فيها صور البشر والطيور والثدييات والنباتات والأدوات المتنوعة بالإضافة إلى وجود علامات. كان عدد الرموز الهيروغليفية حوالي ٧٠٠ وكانت لها وظيفتان تصويرية وصوتية معا. ومن ثم تطورت إلى الهيراتيكية (خط رجال الدين) التي ظهرت في عصر الدولة الفرعونية الوسطى والتي كانت تُستخدم في المعابد والجنازات. وفي العصر الفرعوني المتأخر تطورت الكتابة إلى الكتابة الديموتيكية (الكتابة الشعبية) وإستخدمت في جميع نواحى الحياة. حظيت الكتابة في مصر القديمة بموقع متميز إذ كانت وسيلة للرقي الإجتماعي حيث كانت تفتح أمام صاحبها باب التوظيف في الدولة.

الهيروغليفية

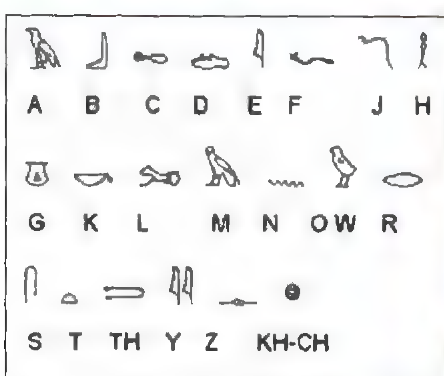
أطلق اليونانيون على المرحلة الأولى من الكتابة المصرية «الهيروغليفية» وتعني الوشم المقدس. وهناك نوعين آخريين للكتابة

الفرعونية وهي «الديموتيكية» أي الكتابة الشائعة، والكتابة الهيرية «الهيراتيكية» وهي كتابة أبسط من الهيروغليفية خاصة بالكهنة. وقد إستخدم المصريون في الكتابة الفرشاة القصبية والحبر على الورق البردي وتعد طريقة سريعة وسهلة للإستخدام. يعتبر إستخدام المصريين للحبر والقلم خطوة ثورية في مجال الكتابة، وإستعملوا الحبر الأحمر للدلالة على الألقاب والقوانين.

ظهرت اللغة الهيروغليفية لأول مرة بعد المسمارية بفترة بسيطة. وفي عصر الفراعنة إستعملت الهيروغليفية لنقش وزخرفة النصوص الدينية علي



نقوش هيروغليفيّة





كليوباترا



كاتب

جدران القصور والمعابد والمقابر وسطوح التماثيل والألوح الحجرية المنقوشة والألواح الخشبية الملونة. ظهرت الهيراتيكية كنوع من الكتابة لدى قدماء المصريين، وهي مشتقة من الهيروغليفية، لكنها مبسطة ومختصرة. وهي مؤهلة للكتابة السريعة للخطابات والوثائق الإدارية والقانونية. وكانت هذه الوثائق تكتب بالحبر على ورق البردي. ظلّت هذه اللغة سائدة بمصر حتى القرن السابع ق. م حين حلّت اللغة الديموتيكيّة محلها.

الهيراتيكيّة والديموتيكيّة

الهيراتيكيّة نوع من الكتابة المصرية القديمة كتبت برموز مبسّطة للرموز الهيروغليفية الأصلية. ولما كانت الهيروغليفية غير ملائمة للكتابة السريعة نشأت طريقة مختصرة للكتابة للأغراض العملية هي ما عرف بالهيراتيكية حيث حلّ كل رمز فيها محل الهيروغليفية الأصلية.

في منتصف القرن السابع قبل الميلاد إستحدث المصريون خطاً ثالثاً كان أكثر إيجازاً في صوره عن خطهم الثاني وقد عرف بالخط الديموتيكي أي الخط الشعبي. وتم إستخدامه منذ بداية الأسرة الخامسة والعشرين إلى نهاية العهد الروماني.

إشتقت كلمة «هيراتيكي» من الكلمة اليونانية «غراماتا هيراتيكا» وتعني «الكتابة الكهنوتية» إشارة إلى أن الكهنة كانوا أكثر الناس إستخداما لهذا الخط حيث أن نسبة كبيرة من النصوص الهيراتيكية، وخاصة في العصور المتأخرة، هي نصوص دينية، كُتب معظمها بواسطة الكهنة.

الخط الهيراتيكي هو تبسيط للخط الهيروغليفي أو بمعنى آخر إختصار له وإن الخط الهيروغليفي هو خط العلامات الكاملة لا يتناسب مع طبيعة النصوص الدنيوية والدينية التي إزدادت بإزدياد حركة الحياة

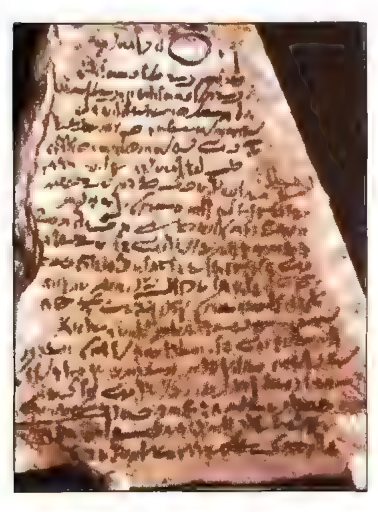
والتي تطلّبت خطّاً سريعاً، كما تطلبت مواد كتابة لا يصلح معها إلا الخط السريع مثل البردي والأوستراكا (الشقافة) وذلك على عكس الخط الهيروغليفي ـ خط التفاصيل ـ الذي يتناسب أكثر مع المنشآت الضخمة حيث كان ينقش بالأزاميل، وأما الخط الهيراتيكي فكان يكتب بقلم القصب والحبر.

إستعملت الهيراتيكية في مصر القديمة لمدة تقرب من ٢٠٠٠ سنة،

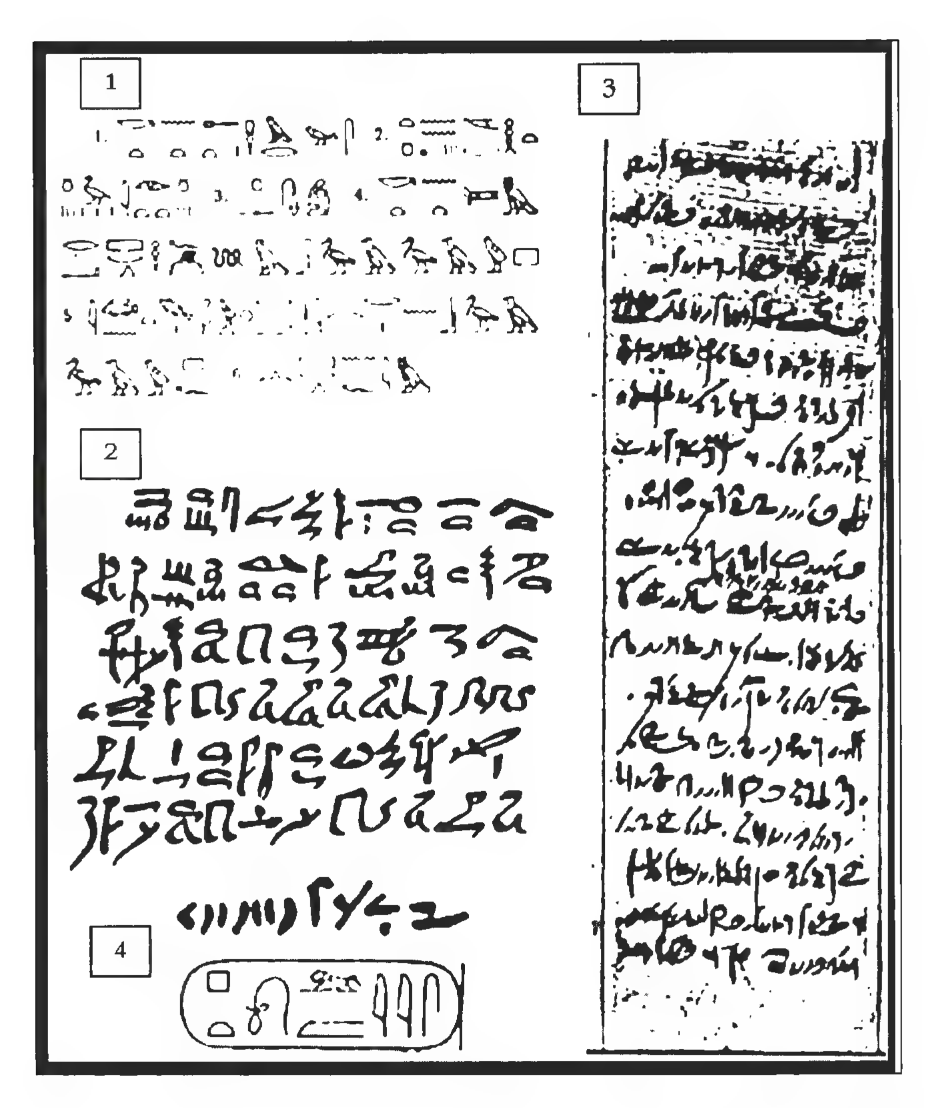
كتابة هيراتيكيّة ـ من طيبة ـ المملكة الوسطى/ السلالة ١٢/ عام ١٨٠٠ ق. م

منذ الأسرات الأولى حتى عصر الدولة الحديثة؛ وكانت مناسبة للكتابة على أوراق البردي والمستندات والتقارير وقوائم الجرد وفي المحاكم و.... وكتبت أيضاً على الأحجار في عهد الملوك الليبيين.

بظهور الكتابة الديموتيكية حوالي ٨٠٠ ق. م فقدت الهيراتيكية قوّتها وإضمحلّت.



كتابة ديموتيكيّة



الكتابات المصريّة

١ ـ الهيروغليفيّة.

٢ ـ الهيراتيقيّة.

٣ ـ الديموتيقيّة.

٤ ـ إسم الإمبراطور الروماني «بتولومي».

المرويّة[1]

الكتابة المروية هي أبجدية من أصول مصرية هيروغليفية وديموتيكية تم تطويرها في مملكة نبتة في الفترة ما بين ٧٠٠ و٣٠٠ ق. م. وكانت تستخدم لكتابة اللغة المروية في مملكة مروي منذ القرن الثاني قبل الميلاد. يُحتمل أنه تم إستخدامها من قبل الملوك النوبيين المتعاقبين لكتابة اللغة النوبية القديمة في مملكة كوش النوبية التي تلتها والتي إستخدمت الأبجدية القبطية في القرن السادس الميلادى بعد دخول النوبيين في الديانة المسيحية، ولكن النوبيون قد إحتفظوا بثلاثة أحرف من بالأبجدية المروية. وقد وصفها المؤرخ الإغريقي ديودورس سيكلسفي في عام ٥٠ ق. م.

نتيجة لتكوينها أساسا من حروف هجائية فقد كانت هذه اللغة تختلف تماما عن الهيروغليفية المصرية. اعتقد بعض العلماء أن الأبجدية اليونانية لعبت، إلى حد ما، دوراً في تشكيل المروية بسبب إحتوائها على أحرف للأصوات اللينة، ما يعرف بحروف العلّة.

وقد فُكّت رموز هذه الكتابة من قبل عالم الآثار المصرية البريطانية فرانسيس للولين غريفيث[2]. ولكن اللغة ذاتها لا تزال غير مفهومة بالكامل حتى اليوم.

---

(١) Meroitic.

(٢) Francis Llewellyn Griffith.

كانت للمرويّة شكلين من الرموز؛ أحدها شكل فني أُخذ من المصرية الهيروغليفية والآخر شكل حروف مشتبكة أخذت من الديموتيكية. كانت أغلب النصوص تُكتب بهذا الشكل الأخير. أما إتجاه الكتابة فكان من اليمين إلى اليسار ومن الأعلى إلى الأسفل في الشكل المتشابك، أو من الأعلى إلى الأسفل في أعمدة تكتب من اليمين إلى اليسار كما في الشكل الهيروغليفي. وكانت الكتابة تحتوي أيضاً على رمز من ثلاث نقاط أفقية أو عمودية تستعمل للفصل بين الكلمات أو الجمل، وهذا هو الشكل الوحيد من علامات الترقيم التي كانت تُستخدم.

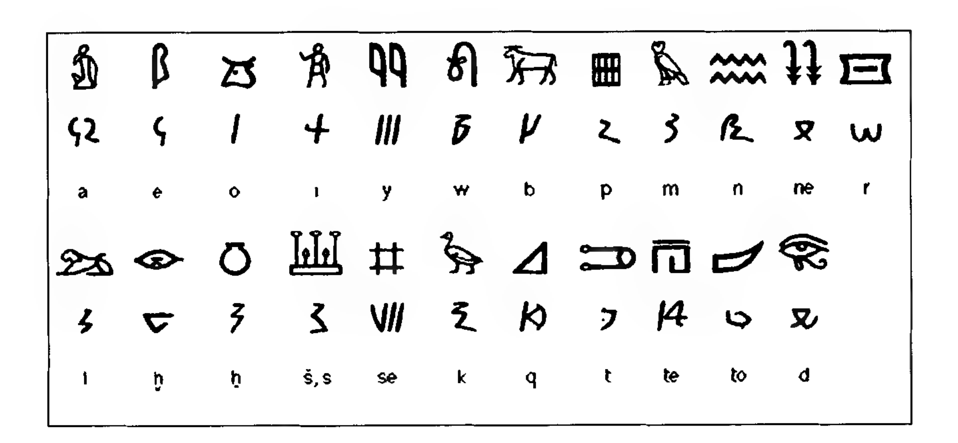
وقد عُرفت اللغة المروية من عدة كتابات أثرية وُجدت في وادي النيل ما بين أسوان شمالاً وجوبا جنوباً. كانت هذه اللغة تكتب على نهجين هما الهيروغليفية المرويّة (الكتابة بالصور)، والديموتيكية المرويّة (الكتابة بالحروف). تتكون الحروف الهجائية للغة المروية من ثلاث وعشرين حرفاً، منها أربعة حروف معتلة، وتسعة عشر حرفاً من الحروف الساكنة، ولم تُحل رموزها حتى الآن. واللغة المرويّة تنتمي إلى اللغات الحامية مثل النوبية القديمة واللغات البربرية في شمال أفريقيا واللغات الحامية في شرق أفريقيا مثل الصومال. بعد أن أفل نجم المرويّة حلّت اللغة النوبية محلّها في السودان ووادي النيل. ولما وصل المبشرون السودان واعتنق أهلها الديانات المسيحية رسمياً في منتصف القرن السادس، كُتبت اللغة النوبية بالأبجدية القبطية التي أضاف إليها النوبيون ثلاثة حروف لأصوات لا توجد في اللغتين القبطية والإغريقية وعليه فقد استعملوا أربعة وثلاثين حرفاً لكتابة هذه اللغة.

تجدر الإشارة إلى أن اللغة النوبية ما زالت تستعمل إلى يومنا هذا

بلهجات ثلاثة: الكنزية، المحسيّة، والدنقلاوية. كان المصريون القدامى والإغريق والرومان يمارسون نسخ الكتب والوثائق بخط اليد أو بالريشة أو بالقلم بعد غمسهما في الحبر السائل ليكتب بها فوق ورق البردي أو فوق الأوستراكا وهي عبارة عن قطعة من الفخار كانت تستخدم في الكتابة عليها لدى قدماء المصريين والإغريق. وقد دُوّنَ عليها سجلات بأسماء المنفيين من أثينا. كما دونت عليها نصوص قصيرة. وكان العامة يفضلونها على ورق البردى المرتفع الثمن. وكان المصريون القدامى يستخدمون القطع لهذا السبب. وظل هذا الأسلوب في النسخ اليدوي متداولا حتى أيام العرب حيث كانوا يكتبون كلماتهم فوق الرق والجلد والعظام.

في القرن الثاني الميلادي إخترع الصينيون طريقة لطباعة الكتب وهذه كانت تطورا للطباعة التي كانت تمارس من خلال طبع الرسومات والتصميمات على القماش منذ القرن الأول ميلادي. ومما سهّل الطباعة لدى الصينيين إختراعهم صناعة الورق عام ١٠٥ ق. م، وإنتشار الديانة البوذية في بلادهم. وكانت مواد الكتابة السائدة في العالم الغربي القديم هو ورق البردي والرق وهما لا يلائمان الطباعة؛ إذ أن ورق البردي هش والرق كان يؤخذ من الطبقة الداخلية لجلد الحيوانات الغالية الثمن وإن كان الورق متين ورخيص.

من المعروف أن اللغة المرويه كانت لغة المخاطبه فقط بينما اللغه الهيروغليفيه هي اللغة المستخدمة في المراسلات وكتابات الملوك ولذلك كانت اللغه الهيروغليفية معروفه في جميع المناطق الواقعة في وادي النيل.

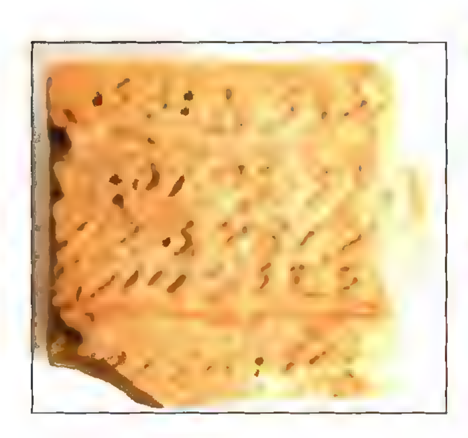


الكتابة المرويّة






آثار مملكة مروي




رسائل تل العمارنة

رسائل العمارنة، أو مسارد تل العمارنة أو أرشيف العمارنة، هي عبارة عن مجموعة كبيرة من الرُقم الطينية المكتوبة باللغة الأكادية (البابلية) والخط المسماري التي وُجدت في أرشيف قصر الملك المصري إخناتون (أمنحوتب الرابع) في مقر حكمه في تل العمارنة في مصر.

قصة الإكتشاف

في عام ١٨٨٥ م عندما كانت إحدى النسوة تحفر في تلة العمارنة (التل الأثري لأخت أتون) لإستخراج التربة من أجل صناعة الأجر الطيني، إستخرجت بالصدفة بعض الرُقم المسمارية. إعتقد الباحثون في البداية أن كسر هذه الرقم مزوّرة، ولكنه تبين فيما بعد أنها حقيقيّة وتُعبر عن مراسلات دبلوماسية من قِبل عدّة ملوك موجّهة للملك أخناتون. الكثير من هذه المراسلات مصدرها ملوك قليلوا الأهمية خاضعين لسياسة أخناتون الذي يمكن اعتباره أحد أشد الملوك الفراعنة رومانسية، إذ تحدّى سلطة الكهّان والحد بالمعبود الرسمي للبلاد، آمون، وفرض آتون كإله جديد ثم حاول إنشاء المدينة الفاضلة.

التنقيب

خلال العامين ١٨٩١ ـ ١٨٩٢ م تمكن بتريمن كشف الأرشيف الملكي في مدينة إخت أتون واكتشف المزيد من الرُقم، حيث وصل العدد المعروف منها ٣٧٩ حتى اليوم. هذا الأرشيف يقدّم معلومات عن الحلفاء الآسيويين للقصر الملكي. أقدم الرسائل يعود لزمن أمنحوتب الثالث (١٣٨٨ ـ ١٣٥١ ق. م)، والحديثة تعود لزمن أخناتون (١٣٥١ ـ ١٣٣٤ ق. م). كون الرٌقم كانت مغلّفة ومصنّفة بصناديق خشبية نجد أن أغلبها بلا تاريخ بعد إندثار المغلف الخشبي وبالتالي يصعب سلسلتها زمنياً. كل الرسائل مكتوبة باللغة الأكادية ـ عدا ثلاث رسائل ـ وأحياناً تظهر لهجة محلية لكتابها؛ فقد كانت اللغة الأكادية لغة التواصل العالمي كما أضحت عليها الآرامية بعدها، وكما اللاتينية في العصور الوسطى.

إستنتاجات

يمكن من خلال هذه الرسائل معرفة السياسة الخارجية لمصر في حينها. فكما تحوي رسائل الملوك الآسيوين، كذلك تحتوي نسخاً من الرسائل المرسلة من البلاط الملكي. بعض الرسائل بسيطة وسطحية عبارة عن ترجّي للملك ليرسل ذهباً. يشير بعض الباحثين حول غرابة كون أرشيف القصر الملكي يتكون في معظمه من رسائل ملوك أغراب عن مصر وأمراء تابعين لها خارج حدودها، ويستنتج بعضهم أن الملك المصري مارس سياسة خارجية بوعي مكنّته من السيطرة على تلك الممالك والإمارات من خلال دعمه للملوك الضعفاء وإضعافه للملوك الأقوياء.

حجر رشيد[١]

هو حجر نُقش عليه نصوص هيروغليفية وديموتيكية ويونانية، كان مفتاح حل لغز الكتابة الهيروغليفية. سُمي بحجر رشيد لأنه إكتُشف بمدينة رشيد الواقعة على مصب فرع نهر النيل في البحر المتوسط.

إكتشفه ضابط فرنسي إبان الحملة الفرنسية. هذا الحجر مرسوم ملكي صدر في مدينة منفعام في سنة ١٩٦ ق. م. وقد أصدره الكهان تخليدا لذكرى بطليموس الخامس، وعليه ثلاث لغات، الهيروغليفية والديموتكية والإغريقية، لقد كان وقت إكتشافه لغزا لغويا لا يفسر منذ مئات السنين، لأن اللغات الثلاثة كانت وقتها من اللغات الميتة، حتى جاء العالم الفرنسي جان فرانسوا شامبليون[٢] وفسّر هذه اللغات بعد مضاهاتها بالنص اليوناني ونصوص هيروغليفية أخرى. هذا يدل على أن هذه اللغات كانت سائدة إبان حكم البطالمة لمصر لأكثر من ١٥٠ عاما، وكانت الهيروغليفية اللغة الدينية المقدسة المتداولة في المعابد، واللغة الديموتيكية كانت لغة الكتابة الشعبية، واليونانية القديمة كانت لغة الحكام الإغريق، لذلك ترجم إلى اللغة اليونانية لكي يفهم. كان محتوى الكتابة تمجيداً لفرعون مصر وإنجازاته الطيبة للكهنة وشعب مصر، وقد كتبه الكهنة ليقرأه العامة والخاصة من كبار المصريين والطبقة الحاكمة. كان العالم البريطاني توماس يونج[٣] قد إكتشف أن الكتابة الهيروغليفية تتكون من دلالات صوتية، وأن الأسماء الملكية مكتوبة داخل أشكال

(١) Rosetta Stone.

(٢) Jean-François Champollion

(٣) Thomas Young.

بيضاوية (خراطيش). هذا الإكتشاف ساعد شامبليون على فك رموز الهيروغليفية في عام ١٨٢٢ م، لأن النص اليوناني عبارة عن ٥٤ سطرا وسهل القراءة مما جعله يميّز أسماء الحكّام البطالمة المكتوبة باللغة العامية المصرية. بهذا الكشف فتح آفاق التعرّف على حضارة قدماء المصريين وفك ألغازها، وترجمة علومها بعد إحياء لغتهم بعد موتها عبر القرون. وبذلك أصبحت الهيروغليفية وأبجديتها تدرّس لكل من يريد دراسة علوم المصريّات. وهذا الحجر أخذه البريطانيون من القوات الفرنسية، ووضعوه في المتحف البريطاني...

بعض نصوص حجر رشيد

(ترجمة عن الإنجليزية عن اللغة الإغريقية)

خلال حكم الملك الصغير الذي خلف والده كجلالة الملك صاحب التيجان العظيم الذي أنشأ مصر ومخلص للآلهة المنتصر على أعدائه والذي أعاد الحياة الكريمة للناس المشرف على احتفال الثلاثين عام العادل مثل هيفايستوس الأكبر ملك مثل الشمس. ملك القطرين الشمالي والجنوبي العظيم نجل الإله فيلوباتوريس المعترف به من قبل هيفايستوس الذي ايدّته الشمس بالنصر الصورة الحية لزويس ابن الشمس بطليموس. ليعيش محبوب بتاح. في السنة التاسعة (أنا) أيتوس ابن أيتوس كاهن الإسكندرية والآلهة سوتيريس وأدولفي والآلهة أبورجاتي وفيلوباتوريس.

(وتأتي فقرة في النص لتمجيد آلهة الإغريق ثم يسترسل)

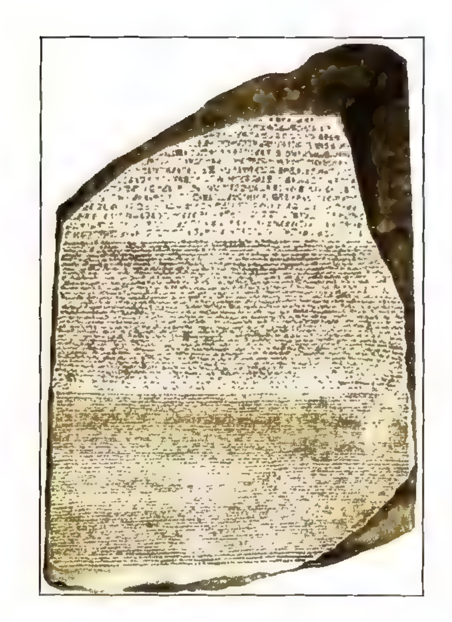
في اليوم الرابع عشر من شهر كسانديكوس الموافق يوم ١٨ من

شهر أمشير المصري. مرسوم: إجتمع كبار الكهنة والمنبّئين وهؤلاء المسموح لهم دخول الهيكل المقدس لخدمة الآلهة وحاملوا المراوح وكتّاب القدوس وكهنة المعابد الآخرين الآتين من جميع أنحاء البلد الذين أتوا إلى مدينة منف لمقابلة الملك بمناسبة عيد تتويجه. من بطليموس فليعش محبوب بتاح والإله أبيفانيس أوخاريستوس الذي خلف والده. إجتمعوا في هذا اليوم في معبد منف وشهدوا أن الملك بطليموس فليعش محبوب بتاح الإله إبيفانيس أوخاريستوس إبن الملك بطليموس والملكة أرسينوي الألهة فيلوباتوريس أنه محسن للمعبد وللعاملين فيه وكذلك لجميع الشعب وأنه إله ابن إله (مثل حوروس إبن إيزيس وأوزوريس) وأنه يقدّس الآلهة. قدّم للمعبد دخل من الثروة والحبوب وصرف الكثير من أجل رخاء مصر وزوّد المعابد بالإمدادات. كان سخياً بثروته الخاصة كما قام بإلغاء العوائد والضرائب التي كانت واجبة في مصر كما خفّض أخرى حتى يتمكن الشعب من العيش في رفاهية أثناء حكمه وألغى الديون المستحقة للقصر وهي كثيرة المستحقة في مصر وفي باقي أرجاء المملكة، وكذلك حرّر هؤلاء النازلين في السجن وآخرين الواقعين في قضايا منذ زمن طويل حرّرهم من التهم الواقعة عليهم وأمر أن يستمر نصيب الآلهة من عائدات المعبد ومن دخل المعبد السنوي لهم سواء من الحبوب أو من الثروات وكذلك من الغيطان والحدائق والأراضي الأخرى الممنوحة لهم التي كانت مخصصة للآلهة في عهد والده وقرر بشأن الكهنة أن هؤلاء لا تزيد رسوم تعميدهم لوظيفة الكهنوت عما كانت مقررة في عهد والده وفي السنة الأولى من حكمه وأعفى أعضاء سلك الكهنوت من واجب حضورهم كل سنة إلى

الإسكندرية وأمر ألا يُرغم أحد على العمل في الأسطول. كما خفض الضرائب التي يقوم المعبد بدفعها للقصر عن منسوجات بيسوس بمقدار الثلثين وقام بإصلاح ما تعطل من الأمور خلال السنوات الماضية حيث يهتم بتنفيذ كل الواجبات المتوارثة منذ القديم نحو الآلهة وضمن لجميع الأفراد مساواة في العدالة مثل هيرمس الكبير العظيم وأمر بأن يُسمح للهاربين من صفوف الجيش وآخرين الذين كانت لهم نوايا سيئة خلال أيام التمرد أن يسترجعوا ممتلكاتهم عند عودتهم كما إتخذ إجراءات لتوجيه الفرسان والمشاة والأسطول لصد هؤلاء الذين هاجموا مصر من البحر والبر ورصد أموال طائلة وكميات كبيرة من الحبوب لكي تعيش المعابد والناس في البلد في أمان.



إحدى رسائل تل العمارنة



حجر رشيد

الأبجديّة

الأبجديّة

الفينيقيّة

يُجمِعْ معظم علماء اللغات والآثار على أن الفنيقيين هم من إخترعوا الأبجدية الصوتيه الأم، بينما يعتبرها آخرون تطورًا لأبجدية إخترعها المصريون القدماء والتي وُلدت منها أغلب أبجديات العالم. كانت الكتابات المتداولة آنذاك، مثل الهيروغليفية، تعتمد على الرمزية التصويرية وكانت كتابتها صعبة ومعقدة وقراءتها متاحة لأفراد محددين. من أجل تيسير تجارتهم، بسّط الفينيقيون الأحرف بالتخلص من العلامات التصويرية وإستبدالها بنظام أبجدي يعتمد على إثنين وعشرين رمزًا يمثّل كل رمز منها صوتًا منفردًا واحدًا، كما كانت اللغة الفينيقية تكتب من اليمين إلى اليسار. بسبب أسفارهم للتجارة حول البحر المتوسط نشر الفينيقيون أسلوبهم في الكتابة، وتبنته العديد من الشعوب وطورته لخدمة لهجاتهم.

أطوارها

قسّم علماء الآثار واللغويات الأبجدية الفينيقية إلى ثلاث مراحل رئيسة هي:

١ ـ الخط الفينيقي القديم

هو الخط الذي كُتبت به النصوص الملكية في جبيل(١١ ق. م ـ ٩ ق. م)، مثل نص الملك أحيرام، ونص عُثر عليه في سردينيا. أبرز ما

يميزه أن الحرف كان قويًا وكثيفًا، وأميل إلى الإنكسار، وكان الفصل بين الكلمات يتم بإستخدام خط عامودي.

٢ ـ الخط الفينيقي المتوسط

هذا الخط هو الذي كُتبت به معظم النقوش الفينيقية (٩ ق. م ـ ٦ ق. م)، ويمتاز بإستطالة الحروف إلى الأعلى أو إلى الأسفل، وبعض حروفها تأخذ إتجاهًا واضحًا نحو اليمين أو اليسار، مما يسمح بتميز الحروف التي غالبًا ما تلتبس فيما بينها. ويلحظ عدم وجود فواصل بين الكلمات كما كان مستخدمًا في الخط الفينيقي القديم. النقوش المكتوبة بهذا الخط عُثر عليها في فينيقيا، ومصر، واليونان، ومالطا، وسردينيا، وإسبانيا، وإيطاليا.

مثال على هذا الخط القديم، يعود إلى القرن السادس قبل الميلاد؛ وقد عُثر عليه في صيدا في لبنان سنة ١٨٨٧ ويعرف بنص «تبنت» ملك صيدا.

نص تبنت الفينيقي

«أنا تبنت كاهن عشتارت ملك الصيدونيين بن أشمن عزر كاهن عشتارت ملك الصيدونيين، أرقد في هذا التابوت لتكن من كُنْتَ أي إنسان يطأ هذا التابوت تفتح عليَّ ولا تزعجني، لأنه لا أحد أدّى لنا فضّة لا أحد أدى لنا ذهبًا، أو أي شيء ثمين، غير أنني أرقد في هذا التابوت. لا تفتح عليَّ، ولا تزعجني، لأن هذا العمل فظيع عند عشتارت. وإن فتحًا تفتح عليَّ، وإزعاجًا تزعجني، فلن تكون لك ذرية في الحياة تحت الشمس ولا قبر بين الأموات.

هذا التابوت صنعه إيتوبعل بن أحيرام ملك جبيل، لأبيه أحيرام، لمّا سجاه إلى الأبد.

لكن إذا ملك من الملوك أو حاكم بين الحكام، أو قائد جيش، زحف إلى جبيل، وأزاح هذا التابوت، فسوف تكسر عصا سلطته، ويقلب كرسي عرشه، ويزول السلام عن جبيل، وسوف يُمحى نقشه بحد السيف».

٣ ـ الخط الفينيقي الحديث

النصوص المكتوبة بهذا الخط قليلة جدًا (القرن الخامس ق. م ـ القرن الأول الميلادي)، وأكثرها وجد على العملات النقدية، وجاءت فيها أشكال الحروف مشوّهة. يعود أقدم نصوص هذا الخط إلى القرن الرابع قبل الميلاد، وإستمر حتى السنة ١٤٦ق. م، وهو تاريخ سقوط قرطاجة بيد الرومان. قد كتبت نصوص الخط الفينيفي المتأخر بلهجة عُرفت باسم البونية[١]، وهي لهجة متطورة عن الفينيقية المتوسطة واليونانية، وهذا الإحتكاك أدّى إلى ضعف النطق بأصوات الحلق في البونية الحديثة، فحدث خلط بين حرفي العين والهمزة، والحاء والهاء.

الفينيقية لغة كنعانية تتصل إتصالاً وثيقا باللغة العبرية. القليل جداً يعرف عن اللغة الكنعانية، بإستثناء ما يمكن أن تجمع من رسائل تل العمارنة كتبها ملوك كنعان إلى الفراعنة أمينهوبيس الثالث (١٤٠٢ ـ ١٣٦٤ قبل الميلاد) وأخناتون (١٣٦٤ ـ ١٣٤٧ قبل الميلاد). تستند

(١) Punic.

معرفتنا باللغة الفينيقية على النصوص الموجودة القليلة المكتوبة في الفينيقية. قبل حوالي عام ١٠٠٠ قبل الميلاد تمت كتابة الفينيقية بإستخدام الرموز المسمارية التي كانت شائعة في بلاد ما بين النهرين. البوادر الأولى للأبجدية الفينيقية، التي وجدت في جبيل، تظهر بوضوح بأنها مشتقة من الهيروغليفية المصرية، وليس من المسمارية. الأحرف الفينيقية الإثنان والعشرون هي تبسيط للرموز الهيروغليفية المصرية، والتي إتخذت شكل موحد في نهاية القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

مثل العربية والعبرية، الفينيقية تمت كتابتها من اليمين إلى اليسار، ولم تتضمّن أحرف العلّة (مما يجعل فك رموز الفينيقية أكثر صعوبة).

حوالي عام ١٠٠٠ قبل الميلاد أصبحت اللغات الفينيقية والعبرية متميزة عن الآرامية، التي كان يتحدث بها في كنعان.

نظام الكتابة الفينيقية، بحكم كونه أبجدية، بسيط وسهل التعلم؛ وكان أيضاً قابلا جداً للتكيَف مع لغات أخرى، على عكس المسمارية أو الهيروغليفية.

الأبجدية الفينيقية كانت تتكون من ٢٢ حرف بدون أحرف علّة. هذا أثبت تحديا للعلماء الذين عملوا على فك وترجمة البرنامج النصي، كما أنهم ليسوا على دراية باللغات القديمة كما كان القدماء أنفسهم.

نقش بارايبا(١)

نقش بارايبا هو نص مكتوب بالحروف الفينيقية، إكتشف في

---

(١) Paraiba/Parahyba.

البرازيل ويفترض به أن يكون دليلاً على وصول الفينقيين إلى القارة الأمريكية، ولا زال موضع خلاف بين الباحثين حول حقيقته.

إكتشف الحجر المنقوش عام ١٨٧٣ م في منطقة جواو بيسوا[١] بالقرب من نهر بارايبا في منطقة تسمى باسو ألتو[٢]. بعد إكتشاف الحجر بعام قام مدير المتحف الوطني البرازيلي بنشر نسخة للنقش، وإختفى بعد ذلك الحجر (النص الأصلي). أثار النقش جدالاً لعشرات السنين وتم إعتباره مزوّراً على أساس وجود العديد من «الآثار الفينيقية»، نقود مثلاً، في أمريكا الجنوبية والتي تبين بعد الدراسة بأنها مزورة.

في العام ١٩٦٨ م أعاد المستشرق الأمريكي جوردون[٣] دراسة النقش، وخرج بتقييم جديد، معتبراً النقش حقيقي، غير مزور، وفق المعطيات الحديثة التي توفرت عن اللغة الفينيقية حينها، وإعتبر النقش يعود إلى عام ٥٠٠ قبل الميلاد. بينما يؤرّخها زميله براندن[٤] لعام ٨٠٠ قبل الميلاد.

نص النقش:

ن ح ن ا ب ن ك ن ع ن م ص د ن م هـ ق ر ت هـ م ن وس ح ب هـــ ش ل ك ل ا ا ل ا ي ز ر ح ق ت ا ر ص هـــ ب م ك ن ش ت ب ح ر ل ع ل ي ون م

---

(١) João Pessoa.

(٢) Pauso Alto.

(٣) Cyrus H. Gordon.

(٤) Van den Branden.

و ع ل ي ون ت ب ش ن ت ت ش ع ت وع ش ر ت ل ح ر م م ل ك ن ا ا ب د ون هـــــ ل ك م ع ص ون گ ب ر ب ي م س ف ون ن س ع ع م ا ن ي ت ع ش ر ت

ون هــ ي هــ ب ي م ي ح د وش ت م ش ن م س ب ب ل ا ر ص ل ح م ون ب ل م ي ر ب ع ل ك ل ا ن هـــــ ا ت ح ب ر ن ا ون ب ا هـ ل م ش ن م ع س ر

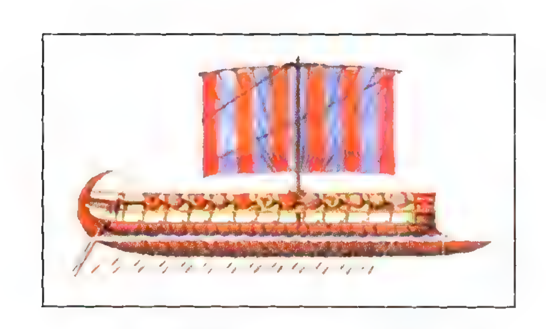
م ت م وش ل ش ت ن ش م ب ا ي ح ر ت ا ش ا وك ي م ت ع ش ر ت ا ب د

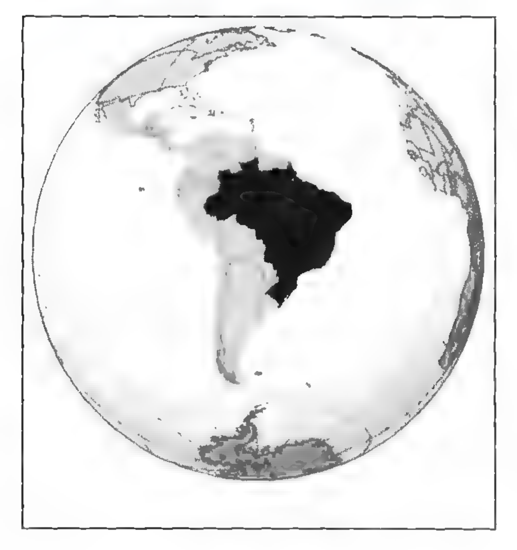
ح ب ن ت ي ا ع ل ي ون م وع ل ي ون ت ي ح ن ن ا

ترجمة النص

نحن أبناء «ك ن ع ن» (كنعان) من «ص د ن م» (صيدا). بحارة وتجار. قُذفنا على هذه السواحل البعيدة. بلد الجبال. ضحينا بشاب منا لـ «ع ل ي ون م» (الآلهة).

و«ع ل ي ون ت» (الإلاهات). في السنة التاسعة عشرة لـ «ح ر م» (لحيرام) ملكنا العظيم القائد إنطلقنا من «ع ص ون گ ب ر» (عصيون جابر) بـ «ي م» «س ف» (البحر الأحمر) وغادرنا بعشرة سفن. كنا في البحر معاً لسنتين دائرين حول أرض لـ «ح م» (حام إفريقيا) وإفترقنا من «ي ر ب ع ل» (ير بعل) وفارقنا زملائنا ووصلنا هنا إثنا عشر رجل وثلاث نساء لساحل البرية حيث أنا «م ت ع ش ر ت» (مت عشتار) القائد قدمت لـ «ع ل ي ون م» (الآلهة) و«ع ل ي ون ت» (الإلاهات) لترحمنا.





الكتابة الأبجديّة

المرحلة الثالثة والأخيرة من تاريخ الكتابة هي المرحلة الأبجدية التي سُمّيَت هكذا نسبة إلى ترتيب الحروف في الأبجدية الساميّة الأولى وهي أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ، وهو الترتيب الذي غيّره في العربية أبو الأسود الدؤلي عند تنقيط الحروف إلى الترتيب الحالي، الألفباء، الذي يقال فيه أيضاً أن الخليل بن أحمد هو الذي صنع ذلك.

كانت النظرية السائدة أن الأبجدية إشتُقّت من رسوم الكتابة الهيروغليفية في منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد، إلاّ أن اكتشاف أبجدية أقدم منها بخمسة قرون، وهي الأبجدية الأوغاريتية، التي تستعمل أشكالاً مسمارية لا علاقة لها بصور الكتابة الهيروغليفية، ألغى هذا الرأي تماماً. الأوغاريتيون إستوحوا أشكال أبجديتهم، التي تحتوي على كل الأصوات الساميّة القديمة (وهي ثمانية/ تسعة وعشرون صوتاً)، من الكتابة المسماريّة، ولكننا لا نعرف على وجه التحديد كيف إختزلوا الكتابة المقطعية إلى الكتابة الأبجدية، بينما نستطيع أن نتابع ذلك الإختزال في الأبجدية الفينيقية، حيث قام الفينيقيون بإستعمال الصور الدالة على مسميّات بعينها (مثلاً: صورة الثور للدلالة على

الثور؛ صورة العين للدلالة على العين؛ صورة المربع للدلالة على البيت؛ صورة الموج للدلالة على الماء وهلم جراً) ليس للدلالة على تلك المسميات، بل للدلالة على الأصوات الأولى لتلك المسمّيات.

في بداية القرن الخامس عشر قبل الميلاد بدأ الفينيقيون بإستعمال الرمز الدال على «الثور» ـ وهو رأس ثور مثلث الشكل بقَرنَيْن وعينَيْن ـ ليس للدلالة على على كلمة «ألفٌ»، بل للدلالة على الصوت الأول من كلمة ألفٌ فقط، وهو حرف الألف. ثم إستعملوا الرمز الدال على «البيت» ـ وهو مربّع ـ ليس للدلالة على كلمة بيتٌ، بل للدلالة على الصوت الأول من كلمة بيتٌ فقط، وهو حرف الباء. ثم إستعملوا الرمز الدال على «العين» ـ وهو صورة العين ـ ليس للدلالة على كلمة عَينٌ، بل للدلالة على الصوت الأول من كلمة عَينٌ فقط. وهو حرف العين، وهكذا دواليك حتى أتوا على أصوات لغتهم، وهي إثنان وعشرون صوتاً فقط.

ثم رتّب الفينيقيون الأبجدية مبتدئين بحرف الألف ثم الباء ثم الجيم ثم الدال إلى آخر ترتيب أبجد هوز. ونحن لا ندري بالضبط لم رتّبوا أبجديتهم هكذا، أي لماذا بدأوا بالألف ولم يبدأووا بغيره؟ وقد يكون لذلك علاقة بالمعتقدات الدينية لقدامى الكنعانيين حيث كان الثور يرمز عندهم إلى كبير آلهتهم بعل. وقد يعني «البيت» للساميين ذوي الأصول البدوية لا شيء أكثر من «المعبد» الذي يُعبد فيه إلههم، ولكن هذه مجرد تكهنات.

ثم أخذ الإغريق في أوائل الألف الأول قبل الميلاد الكتابة عن الفينيقيين وحاولوا كتابة لغتهم فيها إلا أنهم اكتشفوا أن الأبجدية الفينيقية

لا تحتوي على كل الأصوات اليونانية من جهة، خصوصاً الحركات، ومن جهة أخرى أنها تحتوي على أصوات غير موجودة في اللغة اليونانية مثل حروف الحلق. فإستعمل اليونانيون حروف الحلق للدلالة على أحرف العلّة في اليونانية لأن الأبجديات السامية لم تكن تحتوي عليها، فإستعملوا حرف العين الفينيقي للدلالة على الـ o، والحاء للدلالة حلى حرف الإيتا وهلم جرّ. ثم أسمى اليونانيون نظام الكتابة التي أخذوها عن الفينيقيين بـ Alfabeta = **αλφαβετα** والسبب في ذلك قانون صوتي في اليونانية يحول دون إنتهاء الكلمة اليونانية بالفاء فأضافو إلى «ألف» فتحة وألحقوها بالباء أيضاً لتصبح «ألفابيتا»، وهي «الألفباء» في العربية.

يجدر الإشارة إلى أن الأبجديات السامية لا تحتوي على حروف ساكنة إلا لثلاثة منها وهي الألف والواو والياء؛ ولهما إستعمالان: الأول هو إستعمالها أحرفاً ساكنة والثاني هو إستعمالها أحرف مد للدلالة على الحركات الطويلة. هذا يعني أن للغة السامية الأم ثلاث حركات فقط ترد قصيرة ويعبّر عنها بالفتح والضم والكسر، وطويلة ويعبّر عنها بالألف والواو والياء. عدم ورود الحركات القصيرة على شكل أحرف كما هو الحال عليه بالنسبة إلى حروف المد، هو القاعدة السامية العامة التي تحول دون إبتداء كلمة سامية بحركة أو بحرف ساكن.

أقدم ماإكتشف من كتابة أبجديّة كان في سيناء يعود تاريخها إلى ٢٥٠٠ سنة ق. م. وترجع إلى الفينيقيين الذين تمكنوا من إختزال الكتابة الهيروغلوفية التي تشير إلى المعاني ومقاطع الصوت بصور وإشارات وإكتفوا بالحروف الأولى من أسماء الصور فتكونت عندهم مجموعة من الحروف كوّنت الأبجدية الأولى والتي علّموها ونقلوها إلى من عاصرهم

كاليونان والكلدان وإنتقلت منهم إلى مناطق كثيرة من العالم بواسطة أسطولهم التجاري وإبحارهم مما أدّى إلى تطويرها وتنوّع حروفها الهجائية.

أخذ الآراميون هذه الكتابة وطوروها، كما فعل اليونانيون والرومان والسلاف وغيرهم، ونشروها في الشرق، فأخذها عنهم العبريون والأنباط والتدمريون وعرب الشمال وعرب اليمن، ولقيت إنتشاراً واسعاً في القارة الآسيوية وخاصة في الهند وإندونيسيا وتركستان ومنغوليا ومنشوريا وبعض مناطق الهندالصينية (ميانمار وتايلاند) وغيرها من البلاد الآسيوية.

أما عرب الشمال فقد كتبوا في البداية بالخط اليمني الذي دعاه العرب «خط المسند»، ثم إنتقلوا إلى الكتابة بالخط النبطي والخط السرياني اللذين يتميزان بوصل الحروف بعضها ببعض خلافاً للكتابات الأخرى التي لا تصل الحروف، بل تكتبها منفصلة عن بعضها. وكانوا يكتبون من اليمين إلى اليسار، وهذا ما إتّبعه اليونانيون أيضاً في البداية، ثم أصبحوا يكتبون من اليسار إلى اليمين، وهو ماكان يتبعه السومريون ومن بعدهم الأكاديون بكتابتهم المسمارية المقطعية.

يُعتقد أن الكتابة الأبجدية لم تأتِ نتيجة تطوّر مباشر للكتابة المقطعيّة، بل كان ثمة مرحلة وسيطة تم التعرف على آثارها في شبه جزيرة سيناء، حيث كان العمال الكنعانيون يعملون عند المصريين في مناجم الفيروز. إقتبس هؤلاء شكل الصور من الكتابة الهيروغليفية، ولكنهم إكتفوا بلفظ الصوت الأول مما تعنيه الصورة في اللغة الكنعانية، فعندما رسموا صورة الثور، وإسمه عندهم «ألف» ولفظوه أ. ورسموا

صورة البيت ولفظوا «ب»، وصورة الجمل ولفظوا «ج»، وصورة «الباب» ولفظوا «د» لأن كلمة «باب» تعني في الكنعانية «دالت». توصلوا بذلك إلى مجموعة من الصورالتي تناسب أصوات لغتهم السامية. وقد إحتفظت اللغة الآرامية والعبرية وكذلك العربية إلى حد ما بأسماء تلك الحروف، وهي في الآرامية والكنعانية ألف، بيت، جيميل، دالت. كما إحتفظت اليونانية بأسماء الحروف التي أخذتها عن الكنعانية إلى اليوم وهي: ألفا، بيتا، جاما، دلتا. وهذه لامعنى لها في اليونانية، وإنما تحمل معاني الصور ودلالاتها التي إستعانت بها الكتابة الفينيقية.

الأبجدية الأوغاريتية

تعد الأوغاريتية أم اللغة العربية. من كلمات الأبجدية الأوغاريتية ـ اب، اخ، نهر، حلم، عربة، بحر، حصان، قرار، حقل، حجر، نعمة، بيت، آمر، قتال، موت، حرب، مودة، سلام، أرض، كرم. بجانب لغتهم الأساسية إستخدم سكان أوغاريت لغات عديدة ووضعوا لذلك قواميس متعددة اللغات، ولكن اللغة الرئيسية التي إكتُشفت في رسائلهم هي لغة سامية خاصة بهم تسمى بـ«اللغة الأوغاريتية».

كانت هناك في المملكة لغات أخرى مستخدمة مثل اللغة الأكادية التي إستخدمها سكان المملكة في تعاملهم مع بعض المناطق. أثار تحليل اللغة الأوغاريتية الخلاف بين اللغويين إذ أنها لا تنتمي إلى أية مجموعة من مجموعات اللغات السامية التي كانت معروفة قبل إكتشاف أوغاريت، فقد كانت لغة وأبجدية جديدة، وتلائم في الكثير من مميزاتها اللغات المصنفة ضمن الفرع الشمالي الغربي للغات السامية «لغات

كنعانية» ولكن بعض مميزاتها تلائم فروع أخرى من تصنيف هذه اللغات.

في وقت لاحق كشف العلماء أيضاً عن دلائل لوجود أبجدية هامة أخرى إستخدمها الكنعانيون في هذه المنطقة الجغرافية وخلال مرحلة تاريخية مقاربة، ألا وهي الأبجدية الأوغاريتية لمدينة أوغاريت التاريخية الواقعة قرب رأس شمرة شمال سوريا. وقد إستخدمت الأوغاريتية نمطين للأبجدية: أبجدية طويلة مكونة من ٣٠ حرفا وأبجدية قصيرة من ٢٢ حرفا. أما أشكال الحروف الأوغاريتية فجميعها أشكال مسمارية تكتب من اليسار إلى اليمين غالبا. ليس واضحاً بعد ما إذا كانت الأبجدية الأوغاريتية تكيّفٌ شكلي خاص للأبجدية الكنعانية أم ابجدية سابقة لها مرتبطة بالخط المسماري لبلاد ما بين النهرين.

`a	b	g	ḫ	d	h
w	z	ḥ	ṭ	y	k
š	l	m	ḏ	n	ẓ
s	`	p	ṣ	q	r
ṯ	ġ	t	`i	`u	s_2

الأوغاريتّة القديمة

الأبجديّة

أهم مايميز الأبجدية:

١ ـ تحليل الأصوات إلى حروف منفصلة وليس إلى مقاطع أو صور.

٢ ـ الترتيب الثابت للحروف فيما بينها.

٣ ـ علامات للأصوات، سواء للأسماء أو المقاطع المكتوبة.

تحليل الأصوات إلى حروف منفصلة عوضاً عن كلمات كاملة أو مقاطع كاملة، هو العنصر المميز للأبجدية. وقد يختلف ترتيب الحروف فيما بين اللغات المتباعدة كالسنسكريتية والإنجليزية مثلاً، ولكن تظل الأبجدية هي هي، أي أن كل صوت يرمز إليه بحرف مشابه.

كلمة «أبجدية» مأخوذة من الحروف الهجائية الأربعة الأولى ـ أ ب ج د.

موضوع إختراع الأبجدية يختلف عن موضوع أصل أشكال الحروف المكتوبة، وهو الأمر الذي كثيراً ما يحدث فيه خلط كبير. اللغات الأبجدية، سواء مكتوبة أو منطوقة، تختلف عن المراحل السابقة للكتابة، التصويرية والهيروغليفية والمقطعية. فقد بدأت الكتابة بالصورة ثم بالرمز فالمقطع ومنه إلى الحروف التي بدأت بها اللغات الأبجدية. ويقول البعض أن هناك مرحلة متوسطة بين اللغات المقطعية

والأبجديات، وهي مرحلة الكتابات الساكنة، ولكنهم بهذا ينكرون أن الفينيقية كانت أبجدية حقيقية، حيث أن الحروف المتحركة لم تكن تكتب قديماً في كل اللغات السامية. ويتطرف البعض فيقولون إنها كانت لغة مقطعية، ولكن عندما تختصر الكتابة المقطعية، كما حدث في المصرية والقبرصية وغيرها، إلى الحد الذي يصبح فيه الحرف على الدوام حرفاً ساكناً أو حرفاً متحركاً فإنها تصبح أبجدية.

الحوار لا ينقطع حول السلف الصحيح للأبجدية الكنعانية أو الفينيقية، فقد كان الرأي السائد أنها ترجع إلى الهيراتيكية المصرية، ورغم التشابه الكبير بينهما إلاّ أن بعض العلماء الآن يقولون إنها مشتقة من الكتابة المسمارية، والبعض يعتبر أنها مشتقة من الكتابة القبرصية، وآخرون يقولون أن المصدر المباشر لها هو الكتابة الكريتية ونقلها الفلسطينيون، الذين هم كريتيون أصلا، أو أنهم والكريتيون من أصل واحد ـ من كريت إلى فلسطين عند هجرتهم إليها. الأبجدية المكتوبة تحتوي على حرف منفصل لكل صوت في أي لغة، ولكن في الحقيقة تقصّر أبجديات أغلب اللغات عن التعبير عن كل الأصوات مما يلزم معه الإستعانة بالقواميس لمعرفة النطق الصحيح للحرف في كل كلمة بعينها.

أقدم النصوص السامية الشمالية هي:

(١) حجر موآب (حوالي ٨٥٠ ق. م)

(٢) نقوش «زكر» غيرها (حوالي ٨٠٠ ق. م)،

(٣) نقوش بعلبك بلبنان (حوالي ٧٥٠ ق. م)،

(٤) نقوش سلوام (حوالي ٧٠٠ ق. م)،

(٥) القطع الخزفية السامرية التي إكتشفتها بعثة جامعة هارفارد (من زمن آخاب؟)،

(٦) ألواح جازر،

(٧) أوزان وأختام متعددة ترجع إلى ما قبل ٦٠٠ ق. م.

الشيء الملفت للنظر فيما يختص بهذه الكتابات والنقوش مهما بعدت المسافات بين مواطن إكتشافها. فإنه لا يوجد أية فروق في أشكال الحروف جميعها، مما يحمل على الظن بأن إختراعها لم يكن قبل تلك الكتابات بكثير. ومع أن جملة الكتابات الفلسطينية المعروفة حتى الآن ليست كبيرة، إلاّ أن إكتشاف القطع الخزفية السامرية، وألواح جازر وغيرها من النقوش الصغيرة، إنما تدل جميعها على أن الكتابة السامية كانت شائعة في فلسطين في القرن التاسع قبل الميلاد على الأقل. وقد تغيرت حروف الأبجدية العبرية، المأخوذة عن الفينيقية القديمة، في عصور العهد الجديد وحلّت محلها الحروف الآرامية المربعة التي تكتب بها العبرية الحديثة والتي قد ترجع إلى عصر عزرا.

ظهور الحروف الأبجدية

يختلف العلماء والباحثون حول كيفيّة إنتقال أثار ومراحل تطوّر أنظمة الكتابة الأولى إلى الحضارات اللاحقة. إعتمدت حضارة الفينيقيين على التجارة في جميع أرجاء منطقة البحر الأبيض المتوسط. أما بالنسبة للأبجدية التي إستمدّوها من النماذج الكنعانية فقد وصلت إلى مرحلة الكمال حوالي عام ١٠٠٠ ق. م. نظاماً كتابياً جديداً ظهر إلى حيز

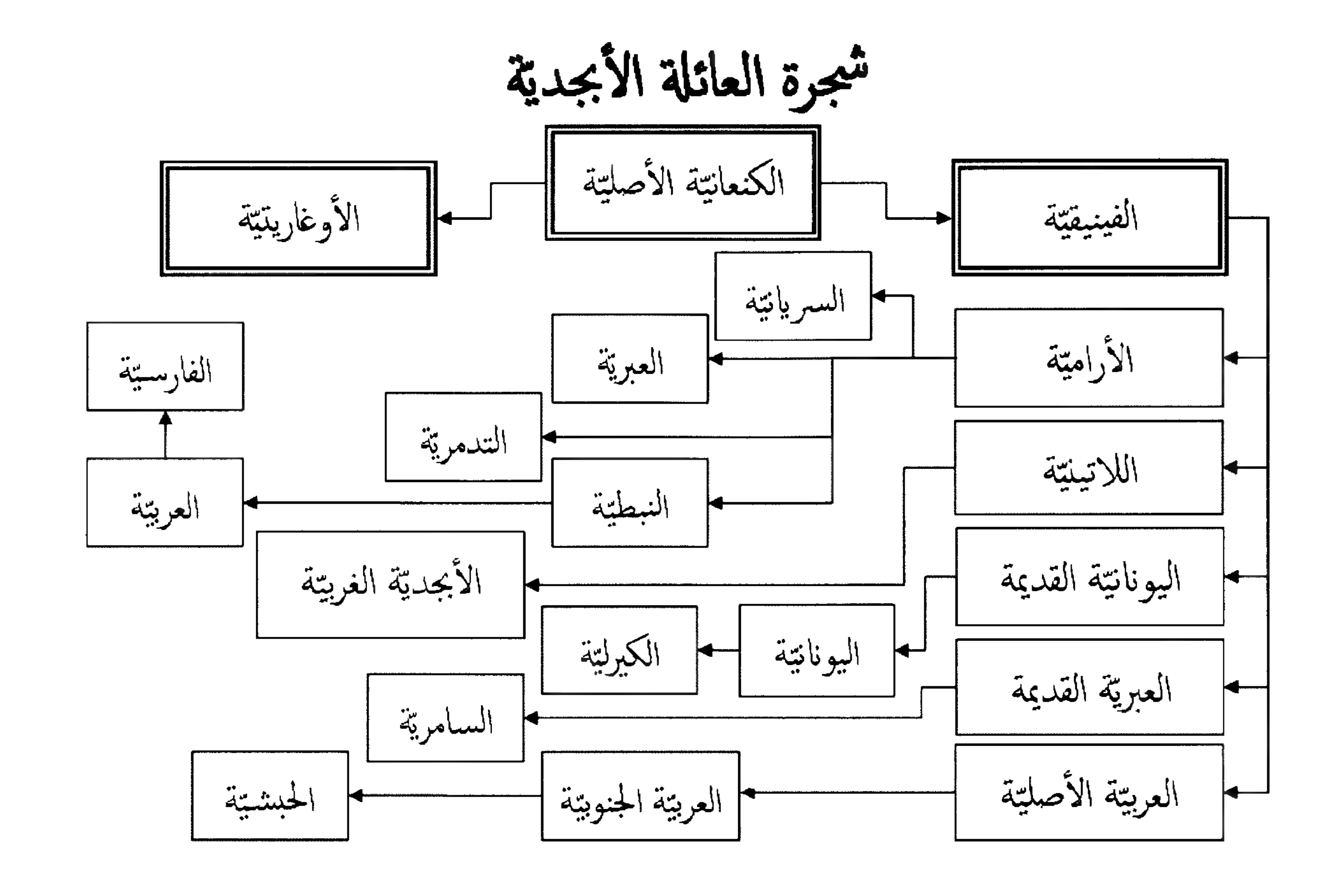
الوجود عام ٣٠٠٠ ق. م في جزيرة كريت، حيث ظهرت على الجزيرة نفسها عام ٢٠٠٠ ق. م، مخطوطة تستند إلى الفونوغرام والمقاطع اللفظية، تبعتها مخطوطة ثانية بعد مضي ٢٠٠ سنة، وتدعى كلتا المخطوطين «بالخط المنيوي «أ» و«ب» لكن جرى فك رموز المخطوطة الثانية فقط منها، علماً أنه كان لها نظامها الكتابي في الألف الثانية قبل الميلاد لكنه إندثر جرّاء الخراب الذي لحق بالثقافة الإغريقية على يد الغزاة الدوريين عام ١١٠٠ ق. م.

هذا وقد بدأت اليونان تدريجياً بإستعمال نظام الكتابة الفينيقية بعد حوالي ٣٠٠ ـ ٤٠٠ سنة من هذا التاريخ. إشتهر الفينيقيون بالتجارة والإستعمار، وتمركزوا على طول الساحل السوري، في جبيل بادىء الأمر ثم في مدينتي صيدا وصور. ثم إتجه الفينيقيون بعد ذلك ولمدة تزيد عن ٤٠٠ سنة منذ القرن العاشر نحو تأسيس مستوطناتهم بإتجاه غرب منطقة البحر الأبيض المتوسط وعلى سواحل شمال إفريقيا وجنوب إسبانيا وصقلية وسردينيا وقبرص وفي أواسط إيطاليا واليونان.

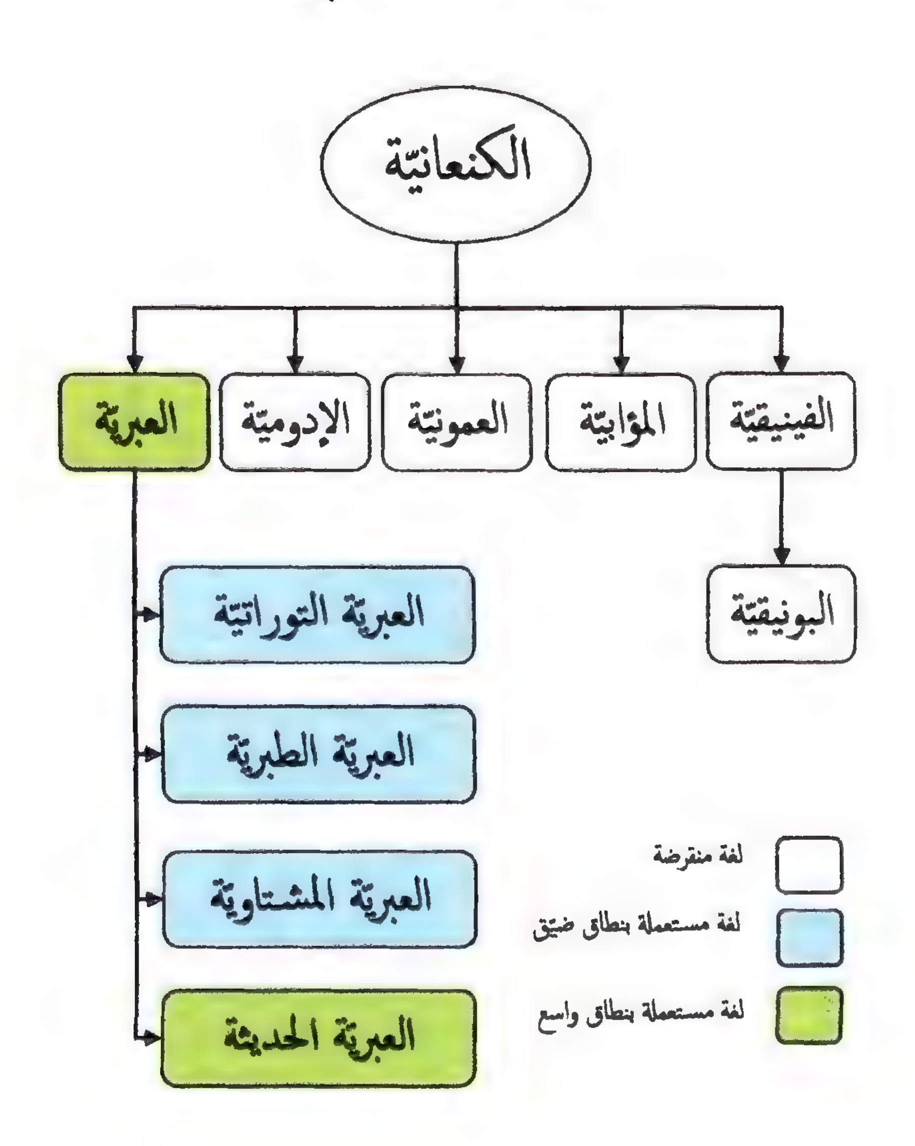
من خلال هذا الإنفتاح الواسع، صاغ الفينيقيون أبجديتهم بالإعتماد على مصادر متعددة، حيث تضمّنت المسمارية والهيروغليفية المصرية والخط المنيوي، بالإضافة إلى أشكال أخرى من الكتابة إستمدوها من شمال مستوطناتهم وشرقها، وخاصّة أوغاريت، التي كانت تبعد ١٥٠ كيلومتر شمال جبيل. قبيل القرن العاشر الميلادي شاع نظام كتابي أبجدي يستخدم حروفاً يعود شكلها أصلا إلى المسمارية البابلية ولها ثلاثون إشارة صامتة.

إتخذ هذا النظام «الحروف» المبسّطة التابعة لأنظمة أخرى ومنحها قيماً جديدةً، وكانت الرموز الفينيقية واضحة وسهلة الكتابة ولا ترتبط الحروف بأية علاقة ظاهرية مع الصور والرموز.

شجرة العائلة الأبجدية

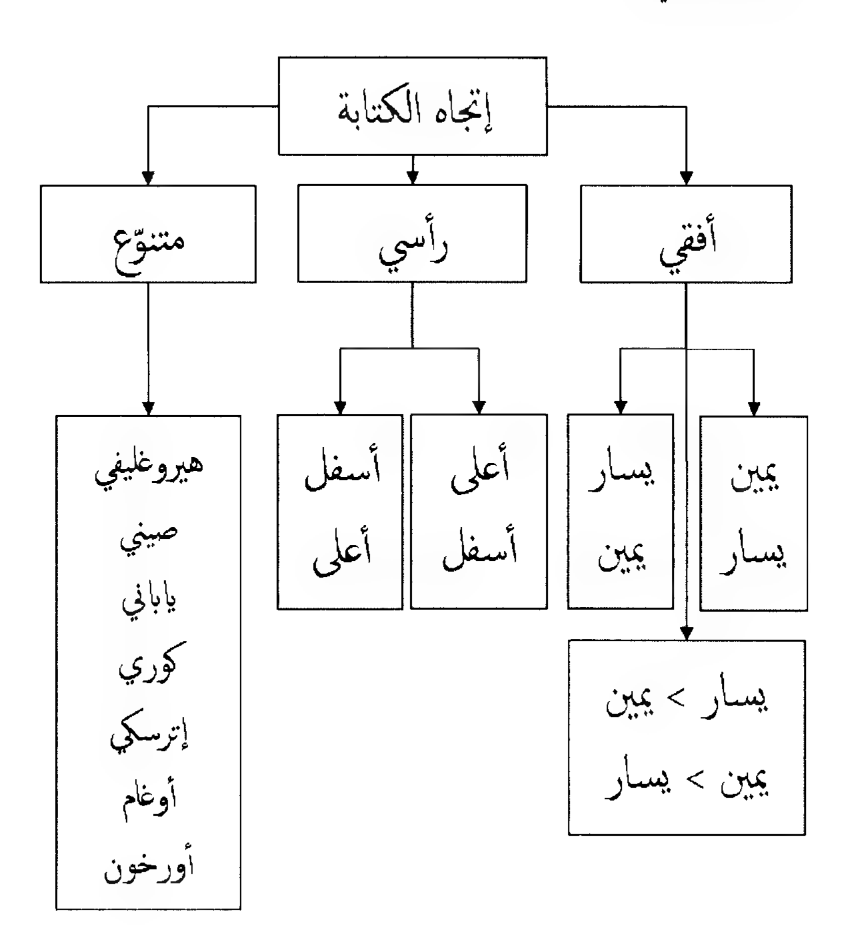


لغات كنعانيّة



إتجاه الكتابة

يمكن كتابة بعض نظم الكتابة في عدد من الإتجاهات المتعددة. البعض الآخر كان مكتوباً أصلاً في إتجاهات مختلفة ولكنه إستقر في نهاية المطاف في إتجاه واحد.



أنواع إتجاه الكتابة

- أفقي - من اليسار إلى اليمين
- أفقي - من اليمين إلى اليسار
- رأسي - من اليسار إلى اليمين - من الأعلى إلى الأسفل
- رأسي - من اليمين إلى اليسار - من الأعلى إلى الأسفل
- رأسي - من اليسار إلى اليمين - من الأسفل إلى الأعلى
- رأسي - من اليمين إلى اليسار - من الأسفل إلى الأعلى
- متردّد
- متغيّر

أفقي - من اليسار إلى اليمين

ملائكي، ارمنية، البالية، وبأسا (فاه)، كوكجو بيتها، الأبجدية بنجامين فرانكلين الصوتية، داي وجينغبو/تاي، الديسيريت، ديفاناغاري، أكورو ديفيس، الباسان، الإثيوبية، فريزر، الجورجي (أسومتافرولي)، وجورجيا (نوسخوري)، جورجيا (مخيدرولي)، جلاجوليتيك، القوطية، جرانثا، اليونانية، الغوجاراتية، غورموكي (البنجابية)، الهمونغ، وايبيريا (جنوب)، الأبجدية الصوتية الدولية، الإنكتيتوتية، Uncial، الأيرلندي، الجاوية، جينتيتشا، كانادا، كاياه

لي، خيطان، الخمير، الكورية، الكبيلي، كوليتان، جوركين، Lanna، لاو، اللاتينية، الليبتشا، ليمبو، الخطي أ، الخطي ب، لوما، لونتارا/ ماكاسار، مالاتشيم، المالايالامية، مانبوري، المايا، مودي، البرنامج النصي مربع أفقي المنغولية، ناشي، Ndjuká، أوغام، Ojibwe، السلافونية الكنيسة القديمة، بيرميك القديمة، الأوريا، يمر نهر، بيتمان الأولية تعليم الأبجدية، بولارد مياو، كويكسكريبت/قراءة الحروف الأبجدية، رنجانا، ريدينج، رونيك، سانتالي، شاردا، شفيان، الإختزال، صدام، السنهالية، سولريسول الصومالية، سومبينج سورانج، سوراشترا، سويومبو، السونديه، سيجنوريتينج ساتون، ناسيلوتي...

أفقي ـ من اليمين إلى اليسار

المصرية القديمة الديموتيكيّة، البربر القديمة، المصرية القديمة الهيراتيكيه، الهيروغليفيّة، الآرامية، العربية، أفيستان، الصينية، القبرصي، انوتشيان، اتريوريا، العبرية، أيبيريا (شمال)، خاروشتي، الخطي ب، المائل القديم، اورخون، مندائية، مندي، المرويّة، الفارسي المتوسطة، النبطي، نكو، الفرثيين، الفينيقية، العيلاميّة الأصليّة، بسالتير، سابين، السامري، سوجديان، تيفيناغ، السريانية، العربية الجنوبية، ثانه.

رأسي ـ من اليسار إلى اليمين ـ من الأعلى إلى الأسفل

العيلاميّة القديمة، المانشو، المنغولية، فاجسبا، سوجديان، اويغورية

رأسي ـ من اليمين إلى اليسار ـ من الأعلى إلى الأسفل

الصينية، شونوم، اليابانية، الكورية، كوليتان، المرويّة، نوشو، التانجوت (هسيهسيا)

حتى الثمانينات كان الكورية عادة ما تكون مكتوبة من اليمين إلى اليسار في الأعمدة الرأسية. منذ الكتابة ثم من اليسار إلى اليمين في خطوط أفقية وأصبح شعبية، واليوم غالبية نصوص مكتوبة أفقياً.

كثير من الأحيان مكتوبة الصينية عمودياً في تايوان، بينما في الصين وسنغافورة أنها عادة ما تكون مكتوبة أفقياً.

النصوص العمودي والأفقي على حد سواء المستخدمة في اليابان.

رأسي ـ من اليسار إلى اليمين ـ من الأعلى إلى الأسفل

باتاك، هانونؤو، تاجبانوا

رأسي ـ من اليسار إلى اليمين ـ من الأعلى إلى الأسفل

البربرية القديمة المتقدمة من البرنامج النصي الفينيقية ومثل الفينيقية، كانت أصلاً مكتوبة من اليمين إلى اليسار في خطوط أفقية، ولكن أصبح كتابةً أكثر شيوعاً من أسفل إلى أعلى في الأعمدة الرأسية التي تعمل من اليمين إلى اليسار.

متردّد

نظم الكتابة التالية مكتوبة بخطوط أفقية تعمل كبديل من اليمين إلى اليسار ثم من اليسار إلى اليمين. وهذا ما يسمى بوستروفيدون، الذي

يأتي من اليونانية (bous) ثور + **στρεφειν** ستريفين إلى «تشغيل»، نظراً لأنه يشبه المسار ثور يجعل عند ميدان الحرث، وانتقل في نهاية كل صف العودة في الإتجاه المعاكس.

الهنغارية (المجرية الرونية)، سابين الخطي ب، رونجو رونجو.

متغيّر

- الهيروغليفيّة: متغير «المصرية القديمة» (هيروجليفيك) أمضينا القديمة تمت كتابة البرنامج النصي الهيروغليفي في أي إتجاه: من اليمين إلى اليسار أو من اليسار إلى اليمين أفقياً أو عمودياً من أعلى إلى أسفل. ترتيب الحروف الرسومية جزئيا تحددها الاعتبارات الجمالية. عندما كتب أفقياً، يمكن أن أقول لكم باتجاه قطعة من الكتابة التي تبحث في الطريق الحيوانات. وهي التي تواجه الناس: أنهم التطلع إلى بداية السطر.
- الصينية: يمكن كتابتها من اليمين إلى اليسار في الأعمدة الرأسية، من اليسار إلى اليمين في خطوط أفقية، أو أحياناً اليمين إلى اليسار في خطوط أفقية. في تايوان فإنه غالباً ما تكون مكتوبة عمودياً، بينما في الصين وسنغافورة أنها عادة ما تكون مكتوبة أفقياً. في الصحف والمجلات مع نص عمودي، بعض عناوين وعناوين مكتوبة أفقياً اليمين إلى اليسار عبر الجزء العلوي من النص الرئيسي.
- الإترسكيّة: في بعض الأحيان كتب إتريوريا في أزياء بوستروفيدون وأحيانا من اليمين إلى اليسار في خطوط أفقية.
- اليابانية: يمكن كتابتها من اليمين إلى اليسار في الأعمدة الرأسية أو

إلى اليسار لليمين في خطوط أفقية. استخدم الكتابة الأفقية لأول مرة أثناء «فترة ميجي» (١٨٦٨ ـ ١٩١٢) في قواميس اللغة الغربية اليابانية. اليوم تستخدم كل الإتجاهات.

- الكوريّة: حتى الثمانينات كانت اللغة عادة ما تكون مكتوبة من اليمين إلى اليسار في الأعمدة الرأسية، وثم من اليسار إلى اليمين في خطوط أفقية وهذا ما أصبح شعبياً، واليوم غالبية النصوص الكوريّة مكتوبة أفقياً.
- أوغام: عند نقشها في الحجارة، كتبت أوغام حول الحافة بدءاً من أسفل اليسار ويهرول صعودا ثم مرة أخرى من الجانب الآخر. وقد كتبت في المخطوطات أفقياً من اليسار إلى اليمين.
- أورخون: كتبت هذه اللغة أساسا من اليمين إلى اليسار في خطوط أفقية، على الرغم من أن بعض النقوش مكتوبة عموديّاً. الكتابة العمودية، تُقرأ من الأسفل إلى الأعلى ومن اليمين إلى اليسار.
- مايا: في النقوش، كتب المايا في إقران الأعمدة بطريقة متردّدة[١] من جهة إلى أخرى ونازلا من اليسار إلى اليمين. أي الوجوه على الحروف الرسومية تبدو عموما نحو بداية السطر، كما هو الحال مع «انطلاسم المصرية». في أماكن أخرى فإنه عادة ما كتبت أفقياً من اليسار إلى اليمين.

إكتشاف الأبجديّة

١ ـ الحلقة المفقودة

٢ ـ سيناء

٣ ـ فينيقيا

٤ ـ إنتشار الأبجديّة

الحلقة المفقودة

الكثير من العلماء والباحثين لم يكن لديهم أي شك في أي وقت مضى أن الأبجديّة اليونانيّة، التي هي أصل الأبجديّة الغربيّة، إتّخذت من الفينيقيّة والتي هي أيضاً مصدر اللغات العبريّة والعربيّة. هؤلاء العلماء أجمعوا أن عمليّة تسجيل الكلام لا يمكن أن تكون ناتجة عن فكر وجهد عبقري واحد...

كيف ومتى وأين بدأ كل ذلك؟ الإكتشافات العظيمة خلال المائة والخمسين سنة الماضية في بلاد ما بين النهرين، مصر، لبنان، سوريا، قبرص، واليونان تركت لنا إحتمالات قليلة: الأحرف المسماريّة في بلاد ما بين النهرين أو الحضارة المينويّة في جزيرة كريت أو الحثيّين أو النصوص القبرصيّة أو الهيروغليفيّة المصريّة. مصر كانت دائماً المُرشّح الأقوى؛ ولكن هل كانت هناك حلقة مفقودة بين المصريّين والفينيقيّين؟

في التسعينات من القرن العشرين ظهرت إجابات وأدلّة دامغة: عدد قليل من السيراميك، تماثيل صغيرة، نقوش على الجدران والصخور، وعلامات على قطع من الأواني. شبّه العلماء هذه الأدلّة ببقايا العظام المتحجّرة التي ترشد العلماء إلى أصول البشريّة. هذه الأدلّة، مع قلّتها، كانت كافية لتتبّع القصّة الأبجديّة من مصر عبر سيناء إلى فلسطين وفينيقيا.

في عام ١٩٩٠ وعندما كان جون دارنيل[(١)]، عالم النقوش المصريّة من جامعة يال[(٢)] الأمريكيّة، يبحث في منطقة طيبة في مصر عثر على بعض المسارات التي أحرزت إنتباهه.

وجد جون أنه في أواخر القرن التاسع عشر عثرت بعثة ألمانيّة على بعض النقوش والطرق كما حدث للبعثة البريطانيّة بعدها في الثلاثينات من القرن العشرين. ولكن يبدو ألا أحد إعتبر تلك الإستكشافات ذات أهميّة أو ربما لم يدركوا مغزاها.

أحد هذه المسارات كان يُعرف بإسم «طريق المرمر» وكان واضحاً بأنه إستعمل لآلاف من السنين... ملأت الدهشة وحب المعرفة عقل جون وصمّم على متابعة هذا المسار في اليوم التالي.

في اليوم التالي قام جون وزوجته، عالمة آثار، بمتابعة طريق المرمر في قلب الصحراء لأكثر من ساعة ونصف حتى صادفا المئات من قطع الفخّار الأثري. عاود جون متابعة البحث في تلك المنطقة في الأيام التالية حيث وجد أطلال معبد من الحجر الرملي يعود إلى عهد الأسرة السابعة عشر حوالي عام ١٦٤٠ ق. م.

وُجد في المعبد عموداً تذكارياً مكسوراً محفور عليه قرص شمس مجنح. كذلك وجد نقوشاً متعددة حُفرت على مدى قرون عديدة، تبين أن معظم هذه النقوش يعود تاريخ حفرها إلى حوالي عام ٢٠٠٠ ق. م.

علماء الآثار المصريّة لم يهتموا بالصحراء سابقاً حيث أن قدامى

---

(١) John Darnell.

(٢) Yale University.

المصريين بنوا وسكنوا قرب نهر النيل.

تذكّر جون بأنه صادف سابقاً رموزاً مشابهة لها في صحراء سيناء، والتي دعيت آنذاك بـ «السينائيّة البدائيّة» أو «السينائيّة الأصليّة»[1]. الإكتشاف الجديد هذا بدا وكأنه يشبه الأحرف الأبجديّة التي كوّنت أساس الأبجديّة الفينيقيّة وبعدها الإغريقيّة ومن ثم اللاتينيّة. بعد التدقيق الأوّلي أدرك جون بأنه وجد المصدر الجذري للحروف وخاصة حرف «أ» وحرف «م».

عندما راجع جون سجلات الإستكشاف تبين له بأنه في عام ١٩٣٦ قام هانس وينكلر[2] بزيارة المنطقة على رأس بعثة بريطانيّة أخذت الكثير من الصور التي سجّلت تلك النقوش.

إستنتج جون وفريقه بأن طريق المرمر هو جزء من شبكة إتصال تربط طيبة بالأقصر في الجنوب ومدافن «أبيدوس» والقرى في الشمال ومنطقة الواحات في الصحراء الليبيّة؛ وأنها إستعملت من أيام السلالة الأولى - منذ قبل سنة ٣٠٠٠ ق. م.

في الموسم التالي قام جون بمزيد من الإستكشاف حول منعطف قنا من نهر النيل، وفي الوادي وجد بعض الرموز المنقوشة التي لم ير مثلها من قبل. إتضح له أن تلك الرموز تعود إلى حوالي ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد. عندما حاول جون قراءة هذه الرموز تبيّن له بأنه من غير المعقول قراءتها كلغة مصريّة.

---

(١) Proto-Sinaitic.

(٢) Hans Winkler.

إكتشاف جون سجل ظهور نجمة سيريوس[1]، التي كان المصريون يدعونها «سوثيس»[2] والتي كانت من أسس ديانتهم، كان له أهميّة فائقة لعلماء الآثار حيث تساعدهم في توفير نقطة ثابتة في التاريخ المصري.

لاحظ جون أن تلك الحروف تجري من اليمين إلى اليسار، وأنها تشير إلى روابط بين الكتابة المصريّة والساميّة لاحقاً بما في ذلك رأس الثور، العين، البيت، الثعبان، والمياه. في هذه الإشارات والرموز رأى جون جذور الأحرف الحاليّة مثل «أ» «ب» «ر» «ن» «و»و «ت»، وأربعة حروف ساميّة.

لم يكن هنالك أي شك في ذهن جون لأهميّة إكتشافه. في عام ١٩٩٧ قام بنشر إكتشافاته علناً بواسطة المقالات والمحاضرات والنشرات الصحفيّة والإخباريّة. تلقّى جون دعم أكاديمي من مصادر عديدة مثل تشيب دوبس ألسوب[3] خبير اللغة الساميّة في المدرسة اللاهوتيّة في برينستون في أمريكا وكذلك كايل ماكارتر[4] أستاذ دراسات الشرق الأدنى في جامعة جون هوبكينز[5].

تابع جون دراسته وأبحاثه ولاحظ أنه عن طريق مزج الكتابة المتصلة وغير المتصلة يمكن تحديد الزمن الذي ظهرت فيه الأبجديّة. هذا الزمن حدث خلال أواخر العصر المتوسّط الذي يعود إلى ما بين عام ٢٠٠٠ و١٩٠٠ قبل الميلاد. إستنتج جون أن كتابة الحروف هذه

---

(١) Sirius.

(٢) Sothis.

(٣) Chip Dobbs-Allsopp.

(٤) Kyle McCarter.

(٥) John Hopkins.

مستمدّة من جهود المصريين و«الآسيويين الغربيين» حوالي عام ٢٠٠٠ ق. م.

الشعب الآسيوي هذا كان من لبنان وسوريا وفلسطين والأردن. كان المصرييون يستعملون مصطلح «الآسيويين» على كل من كان من شرق وشمال شرق سيناء؛ وكانوا يحتقرون هؤلاء الخوارج الذين كانوا ذو لحى وشعر مضفر ويرتدون التنّورة. يبدو

أن هؤلاء أتوا من المدن التجاريّة المسوّرة في لبنان وفلسطين مثل بيبلوس، وعسقلان، وأريحا؛ وكان دافعهم التجارة والعمل.

ولكن كان هناك فريقاً آخراً من أصل مختلف: رجالاً ذو شعر أشعث يحملون القوس والسهام، ويعيشون شبه البدو في البراري؛ وكانوا يدخلون إلى مصر إما للغزو والنهب وإما كأسرى.

كان هؤلاء يشكّلون خطراً على الحضارة المصريّة كما كان المغول يهددون حضارة الصين. لكن يبدو أن المصريين وهؤلاء البدو عاشوا بشروط مماثلة ـ ينبذون بعضهم ولكنهم يحتاجون بعضهم البعض. من ناحية كان هناك الثروة والسلع والتجارة ومن الناحية الأخرى كان هناك العبيد لإستخدامهم في الجيوش ومشاريع البناء وإستخلاص المواد الخام.

كان حكام مصر بحاجة إلى السلام على حدود سيناء كي يحافظوا على إمكانيّة وصولهم إلى مناجم الفيروز في سيناء. وكان المصريون أيضاً بحاجة إلى خشب الأرز من غابات لبنان التي تحتاج إلى سلامة الطرق والمواصلات من الشرق والشمال الشرقي. هذا لم يكن سهلاً. السلالات المصرية إنحدرت وسقطت، وقوى أخرى إستغلّت هذه

الفرص. في إحدى هذه الفترات حوالي نهاية الألفيّة الثالثة قبل الميلاد هدّدت الغزوات البربريّة وادي النيل.

سجّل الفرعون أختوي[1] في كتابه عن طرق وفن الحكم: «هذا الآسيوي لا يسكن في مكان واحد بل يضطر إلى التجوّل بسبب الحاجة. منذ أيام حورس وهذا الشعب لم ينتصر على أحد ولم ينتصر عليهم أحد». وأضاف: «هؤلاء الآسيويين هم كالتماسيح على ضفاف النهر؛ يسرقون الناس في الأماكن الموحدة ولكنهم لا يقتربون من المدن والأماكن المكتظّة بالسكان». وفي آخر النص أضاف: «مهما حدث فنحن لدينا الكتابة الهيروغليفيّة وهم ليس لديهم أي شيء مشابه».

من الواضح أن معظم الأثار في وادي الهول يعود إلى تلك الحقبة من التاريخ المصري في عهد المملكة الوسطى، حوالي ٢١٤٠ ـ ١٧٨٥ ق. م، عندما تمّ إصلاح الأمّة.

خلال هذا الوقت إستقرّ بعض «الآسيويين»، في وادي الهول، وكانوا متحالفين مع أمراء ريتينو[2] في شمال فلسطين. من أسمائهم يبدو أنهم تكلّموا اللغة الساميّة الغربيّة، وأنهم المسؤولين عن كتابة تلك الأبجديّة البدائيّة على الصخور والجدران.

---

(١) Akhtoy.

(٢) Retenu ـ ريتجينو إسم لبلاد الشام. ظهر إسم ريتجينو العليا وريتجينو السفلى للإشارة إلى سوريا في زمن المملكة المصرية الوسطى (٢١٣٣ ـ ١٧٨٦ ق. م) وإستمر استعماله حتى نهاية زمن المملكة المصرية الحديثة الذي يعرف أيضاً بعهد الإمبراطورية، وورد مصطلح ريتجينو العليا لأول مرة في قصة سنوحي التي تروي أحداثاً في زمن السلالة المصرية الثانية عشرة(١٩٩١ ـ ١٧٨٦ ق. م).

يبدو أن الآلاف منهم كانوا في الخدمة الخاَصّة. هناك سجل على ورق البردي عن قضيّة محكمة يسرد فيها أحد الأثرياء من طيبة بأن لديه ٩٥ خادماً وكان أكثر من نصفهم ذوي أسماء من أصل آسيوي. ألآلاف من هؤلاء الآسيويين كانوا أسرى حرب وكانوا يُستخدمون في خدمة الدولة وبناء السدود والمعابد والطرق. جميع هؤلاء الآسيويين كانوا يتكلمون لغات مترابطة من أصل اللغة الساميّة الغربيّة. ولكن فيما بينهم كانت هناك تسلسلات هرميّة في المراكز؛ من الرقيق إلى الموظّف إلى المسؤول الرفيع المستوى، وكان ولائهم إلى أوطان متعددة. المصريون إستخدموا تلك الأبجديّة عند كتابة الأسماء الأجنبيّة. هناك نماذج من هذه المخطوطات والرسائل التي كانت أكثر سهولة من الهيروغليفيّة وكانت تدعى بالهيراتيكيّة[١]. يستنتج العلماء بأن هؤلاء «الآسيويين» خلقوا ثقافة فرعيّة للقراءة والكتابة خاصة بهم عن طريق تكييف الرموز والعلامات المصريّة إلى الساميّة.

قام الآسيويون بإختيار علامات مناسبة ذات علاقة بالأسماء الساميّة لتكوّن رابطاً بين الصوت والرمز الذي يبدأون به. يبدو أنهم بدأوا بصور من الحياة اليوميّة ـ ثور ومنزل.

في الهيروغليفيّة والهيراتيكيّة كان الثور يرمز إليه برسم بدائي ولكن الآسيويين رمزوا إليه بحرف الكاف. ولكن مع الوقت تغيّرت هذه الرموز وتبدّلت مدلولاتها.

في اللغة الساميّة كان المنزل يدعى «بيت» وتغيّر لاحقاً وإقتصر إلى

---

(١) Hieratic.

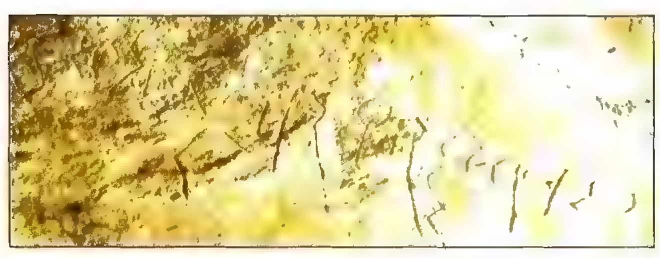
«بت» أو «بث»، وهذا النموذج ما زال مألوفاً في الوقت الحاضر مثل بيت لحم (بت لحم) ـ هذا الإسم يرمز

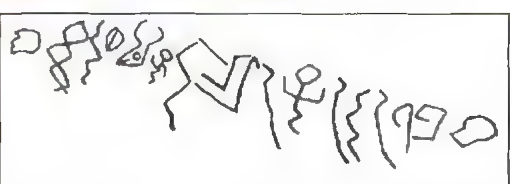
إلى منزل لخمو أحد الآلهة الكنعانيين.

بواسطة هذه الرموز القليلة تمكّن هؤلاء «الآسيويون» من تسجيل معاملاتهم وممتلكاتهم ونقش الرسوم الجنائزيّة.

ما ظن أحدٌ آنذاك بأن هذا الإختراع هو ثورة فكريّة وأنه، يوماً ما، سيقفز حدود الحضارات واللغات وينتشر في جميع أنحاء العالم. هذا التغيير والتكييف لم يشكّل أي خطر على المصريين الذين إعتبروها كتابة غير صحيحة.

مع الوقت العديد من المجموعات البشريّة تبنّوا هذه الكتابة، مثل التجّار والجنود، لتدوين معاملاتهم وتحديد ممتلكاتهم. عالم الآثار جون وجد دعماً لهذا التصوّر من نقوش هيراتيكيّة في وادي الهول في حزيران ١٩٩٩ ومن سجلات المرتزقة في وادي النيل.





نصوص وادي الهول

سيناء

قرب دير كاترين في سيناء، بحوالي ٢٢ كيلومتر، ترتفع تلّة صخريّة قحطاء، وعلى وجه الصخور هنالك منحوتات وبقايا جدران متهدّمة. كان هذا المكان مركز مشاغل وثكنات عسكريّة. هذا المكان كان منجم الفيروز الذي كان يُدعى «سرابيط الخادم» وكان التل يعرف بإسم «مرتفعات الرقيق». كان السجناء المحكومين ينقبون الفيروز الأزرق السماوي الذي كان يُتاجر به المصريون عبر العالم القديم.

المصرييون والقبائل المحليّة الساميّة الأصل سكنوا هذه البقاع لآلاف السنين. بعثات التعدين في سيناء أتت وذهبت لأكثر من ١٥٠٠ سنة، وهذا إنعكس على تقلّب ثروات الأسر الحاكمة. ويبقى منهم معبد متواضع إلى حاثور[١]، آلهة الفيروز، متكامل مع محميّاته وحمّاماته وشرفه المغطّاة والأعمدة المنقوشة.

هذه الأماكن تمّ التخلّي عنها في «الفترة الوسطى» بين عام ٢١٧٥ و٢٠٤٠ ق. م وثانيةً بين عام ١٧٥٠ و١٥٥٠ ق. م، ونهائيّاً حوالي عام ١٢٠٠ ق. م.

(١) Hathor.

العالم البريطاني ويليام فليندرز بتري[1] (١٨٥٣ ـ ١٩٤١) كان أول باحث رئيسي يأتي إلى هذه المنطقة في عام ١٩٠٥. خلال تنقيبه وأبحاثه في مصر طوّر ويليام تقنيات مختلفة جداً عن تلك التي كان يستعملها معاصرون آنذاك في البحث والتحقيق وغالباً ما كان هدفهم بيع القطع الأثريّة في سوق الفن الدولي. بعثته هذه كانت مكوّنة من أربعة وثلاثين شخصاً، وهي أكبر مجموعة أتت هذا المكان منذ أن تركها المصريون منذ ثلاثة ألاف سنة. بقيت البعثة في هذا المكان أكثر من ثلاثة أشهر.

تفقّد ويليام أولاً المناجم والأكواخ في وادي المغاور حيث وجد صخرة منحوتة تظهر الفرعون يضرب زعيم محلّي كي يخضع له ويكون إنذاراً بأن مصر لن تسمح بأي حكم أجنبي على أرضها.

حوالي العشر كيلومترات من هذا المكان تقع منطقة «سرابيط» التي كانت مليئة بالمناجم والجدران المتساقطة والأعمدة المائلة. هذا المكان كان سابقاً ذو أهميّة بالغة. كان به مأوى وفناء ومعبد ومشاغل وثكنات وكان محاطاً بسورٍ من الصخور.

في هذا المكان وجد ويليام علامات غريبة، لم يرَ مثلها من قبل، منقوشة في الصخر. أصابت ويليام الدهشة والحيرة إذ أن تلك العلامات لا تتعلّق بالهيروغليفيّة أو الهيراتيكيّة. بدى له بأنها ذات نظام خاص ومحدّد. دوّن ويليام عندها في مذكرته: «أستخلص من هذه الأشكال بأنها إحدى الأبجديّات التي كانت منتشرة آنذاك في حوض البحر المتوسّط قبل وقت طويل من الأبجديّة الثابتة التي إختارها الفينيقيون».

---

(١) William Flinders Petrie.

إقترح ويليام بأنها قد تكون من صنع أتباع موسى وهم في طريق خروجهم من مصر.

عالم الآثار البريطاني آلان جاردينر[١] إقترح في عام ١٩١٦ أن أقدم الأبجديّات هي أساساً مستمدّة من الهيروغليفيّة؛ وأن في سيناء إلتقت اللغة المصريّة مع اللغة الساميّة...

عثر علماء الآثار في تلك المنطقة على تمثال صغير لأبي الهول وعليه كتابة ساميّة وهيروغليفيّة تقول: «هاثور سيّدة الفيروز». وهذا ساعد هؤلاء العلماء بالمقارنة والإستنتاج والبدء في معرفة مركز الأحرف ومعنى الكلمات.

إكتشافات جون وتحليلات آلان جذبت الإهتمام الكبير؛ وفي العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين ظهرت عشرات الكتب عن أصول الأبجديّة.

في هذه الفترة من الوقت قامت أربع حملات إستكشاف من أمريكا وحملة من فنلندا بتمشيط المنطقة وعثروا على المزيد من النقوش.

عالم الآثار الأمريكي ويليام آلبرايت[٢]، عميد المستشرقين وأستاذ في جامعة هوبكينز أطلق على تلك المخطوطات إسم «السينائيّة الأصليّة» وقال بأن هذه اللغة هي ساميّة غربيّة أو كنعانيّة. إعتقد هذا العالم أن بوسعه التعرّف على ثلاثة وعشرين حرفاً وأربعة حروف غيرها بقيت غامضة.

---

(١) Alan Gardiner

(٢) William Albright.

عالم الآثار بنجامين ساس[1] أمضى خمس سنوات في البحث في صحراء سيناء في أعقاب ويليام فليندرز بتري. يعتبر بنجامين أن تلك الفترة هي الأحسن في حياته. في تلك السنوات أصبح بنجامين يعرف كل طبقات الصخور وجميع المناجم والنقوش في سيناء.

في إحدى إستكشافاته، عام ١٩٧٨، عثر بنجامين على كهف بسيط ووجد فيه بعض النقوش التي لم تكن معروفة سابقاً!

إحدى هذه النقوش كانت تحتوي على أربعة أحرف م - ي - م - ح والتي تبيّن بأنّها من أبجديّة «السينائيّة - الأصليّة». تمكّن بنجامين من تحليل النقوش جميعها؛ وقدّم إكتشافاته كأطروحة علميّة وثم نشرها في كتاب في عام ١٩٨٨.

هنالك الآن واحد وثلاثون نقشاً معترف بها أنها تابعة إلى «السينائيّة الأصليّة»؛ وكذلك سبعة عشر آخرين مشكوك بأصلها أو إنتمائها. معظم تلك النقوش وُجدت منحوتة على مداخل المناجم والبعض على صخور متفرّقة والقلّة من التماثيل الصغيرة.

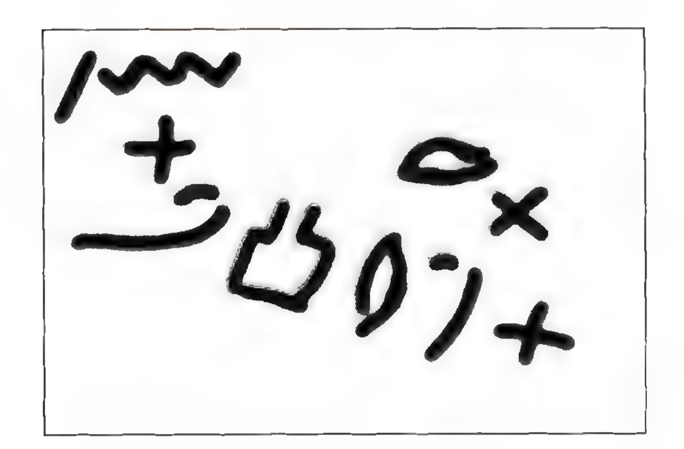
بعض الحروف تشير إلى عبارات وكلمات مثل «مشرف عمّال المناجم» و«هديّة» و«الخلود». إعتبر بنجامين أن تاريخ تلك الأحرف يعود إلى حوالي عام ١٩٠٠ ق. م؛ وهذه الفترة شاهدت ذروة النشاط المصري في تلك المنطقة.

---

(١) Benjamin Sass.



دير سانت كاترين



النص السينائي الأصلي
الذي عثر عليه وبليام بتري

فينيقيا بلاد الأرجوان

ربّما إنتشرت الألفباء خلال حكم الهيكسوس[1] لمصر (١٦٥٠ ـ ١٥٥٠ ق. م) أو بواسطة العبرانيين الذين أتوا بها من مصر بعد عام ٢٠٠٠ ق. م. في كلتا الحالتين لم تكن هذه الأبجديّة الحقيقيّة التي إنتشرت. بنو إسرائيل لم يكونوا الحضارة الوحيدة التي كان لها طموح ولم تكن الحضارة الوحيدة التي إستجابت إلى نشأة الكتابة.

في حوالي منتصف الألفيّة الثانية كان هناك عدد من المجتمعات تعيش على طول شواطىء لبنان وسوريا وفلسطين تعيش في موانىء مثل جبيل وبيروت وصيدا وصور. كان هؤلاء، أيضاً من أصل كنعاني، يعيشون بعيداً عن مصدر أصلهم داخل الأراضي الشرقيّة ومستقرّين بين ثلاثة إمبراطوريّات ـ مصر إلى الجنوب وسوريا إلى الشرق والحثيين إلى الشمال.

هذه المدن الساحليّة كانت على حدود متغيّرة بين مصر والحثيين، ولذا كانوا تحت تأثيرهم في التجارة والدين ونظم الكتابة والتدوين. الكتابة الهيروغليفيّة تعدّت بيروت ووصلت إلى بيبلوس حوالي عام ١٧٠٠ ق. م. وكذلك إنتشرت الكتابة المسماريّة جنوباً في أرض سوريا.

---

(١) Hyksos.

تلك المدن كانت تعيش في منافسة مريرة ولم يتّحدوا للدفاع عن بعضهم. العامل الوحيد الذي كان يجمعهم هو أصلهم الكنعاني المشترك ومن ثم اللغة والعادات والكتابة.



وقد سمى الإغريق الشعب الفينيقي فينيقيون نسبة إلى الصبغة الأرجوانيّة (فينيكس في اليونانيّة)[1] التي كانوا مشهورين بها. وفقاً للأسطورة، كان ميلقارت ملك صور يتمشّى على الشاطىء مع حوريّته تايروس[2] عندما عضّ كلبه قوقعة بحريّة كبيرة وتلوّن فمه بلون أرجواني مبهر. عندها طلبت تايروس من ملقارت بأن يصنع لها ثوباً بذلك اللون.

إنتاج تلك الصبغة الأرجوانيّة لم يكن سهلا وإشتملت على تسخين تلك القواقع في المياه المالحة لمدّة عشرة أيام حتى تفرز سائلاً أصفراً والذي ينقلب لونه إلى الأرجوان بعد تعرّضه للشمس والهواء. بعد ذلك يُغلى هذا السائل حتى يُختصر إلى أقل من عِشر حجمه الأساسي. إستخراج ليتر من هذه الصبغة كان يحتاج إلى أكثر من نصف مليون قوقعة!

بقي الفينيقيون يستخرجون تلك الصبغة بملايين الليترات لأكثر من ألفي سنة...

عمليّة التصنيع هذه كانت تصدر رائحة مثيرة للإشمئزاز ولذلك عمد العمّال بوضع مصانعهم على الشاطىء بعيداً عن جزيرتهم. إناء صغير من

---

(١) Phoenix.

(٢) Tyrus.

هذه الصبغة كان يكلّف أكثر من ٠٠٠، ٣٠ دولار! ولا عجب أن لون الأرجوان هذا أصبح اللون الملكي عبر البحر الأبيض المتوسّط.

كان الفينيقيون وسطاء التجارة يربطون بلاد ما بين النهرين والحثيين ومصر وقبرص وكريت واليونان. مع الجبال إلى الشرق ووجود الإمبراطوريّات في الداخل، تطلّع الفينيقيون إلى البحر.

هذه المدن الفينيقيّة كان لكل واحدة منها ملكاً، وكانت تمتثل أو تقاوم الغزاة حسب الظروف الجارية آنذاك. ولاء الفينيقيون الأعظم كان للتجارة وكان دافعهم الأكبر البقاء على قيد الحياة.

شعوب هذه الموانىء كانت بحاجة إلى نظام كتابة جيّد حتى يتيح لهم تسجيل تجارتهم. أنظمة الهيروغليفيّة والمسماريّة كان لها عيوب كثيرة وأهمّها كان تعقيدها وصعوبة تدوينها. كان هنالك عاملين مهمّين في إستعداد الفينيقيين لتقبّل طريقة كتابة جديدة ـ كانوا طموحين وكانوا على حدود حضارات عديدة ومتنوعة. في هذا الوقت بالذات كانت الأبجديّة السينائيّة قد دخلت إلى فلسطين وبدأت بالإنتشار في الخارج.

في عام ١٩٣٤ عثر علماء الآثار على قبر في فلسطين وكان به بقايا آثار تعود إلى عام ١٧٥٠ ق. م. من بين تلك االبقايا وُجد خنجر برونزي نُقش عليه أربعة أحرف. في هذا القبر عُثر أيضاً على ٢١ قطعة أثريّة متنوعة منقوش عليها أحرف وجد مثلها في بير شبعا في فلسطين وبيبلوس في لبنان. إعتبرت هذه الأحرف خليط بين الأحرف السينائيّة والكنعانيّة.

ولكن في عام ١٩٧٦ عثر في حفريّة قرب تل أبيب على وعاء

فخّاري يعود تاريخه إلى حوالي ١٢٠٠ ـ ١٣٠٠ ق. م، وكان عليه أحرف أبجديّة متعدّدة كُتبت من اليسار إلى اليمين. سبعة عشر حرفاً يبرزون بوضوح ويبدو بانّهم يسبقون الأحرف الأبجديّة العبريّة.

في عام ١٩٢٨ عندما كان المزارع السوري محمود الزير يفلح أرضه الصغيرة التي تقع على تل صغير، شمال اللاذقيّة حوالي السبعين كيلومتر وتبعد عن شاطىء البحر المتوسّط بأقل من الكيلومتر، إرتطم محراثه بقطعة كبيرة من الصخر. عندما أزاح الصخرة جانباً وجد مكانها بلاطة حجريّة؛ وعندما قام محمود بقلب البلاطة وجد نفسه يحدّق في ظلام دامس...

كان هذا مدخل قبر أثري وبالأحرى مدخل إلى عالم مفقود والذي له أهميّة خاصّة لتاريخ الكتاب المقدّس وهومير والإختراع الذي ركّز بقائهم في التاريخ، ألّا وهي الحروف الأبجديّة...

عندما تسلّق محمود إلى الداخل وجد المكان فارغاً. يبدو أن لصوص المدافن نهبوا المكان منذ وقت بعيد ولم يتركوا به سوى القليل من المصنوعات اليدويّة الصغيرة.

علمت الشرطة المحليّة بخبر كشف المدفن فأرسلت تقريراً عاجلاً إلى الحاكم الفرنسي (كانت سوريا آنذاك تحت الإنتداب الفرنسي) الذي أرسله إلى شارل فيروليو[١] مدير دائرة الآثار والذي بدوره أرسله إلى ليون ألبانيز[٢] أحد موظّفيه. قام ليون بزيارة المدفن ورسم داخل المدفن ثمّ قدّم تقريراً بسيطاً إلى شارل الذي أحاله إلى متحف اللوفر في باريس.

---

(١) Charles Virolleaud.

(٢) Leon Albane.

قد تكون النهاية هنا لهذا الكشف لو لم يتنبّه رينيه ديسو[١]، مسؤول الآثار الشرقيّة في المتحف، لوجه التشابه بين تلك المقبرة ومقابر مشابهة لها في جزيرة كريت. علاوة على ذلك كان رينيه يعرف مكان الإكتشاف نفسه وأن هناك أسطورة محليّة عن مدينة عظيمة. خلال الحكم العثماني في سوريا أرسلت تركيّا علماء آثار للبحث في تلك المنطقة ولكنها لم تعثر على شيء.

في رسالته إلى الحاكم الفرنسي في سوريا إقترح رينيه بأن الخليج في ذلك المكان هو فعلا الخليج الذي ذكره الإغريق قديماً ودعوه بالخليج الأبيض[٢]... كما هو إسمه حالياً في اللغة العربيّة (مينة البيضا)! أضاف رينيه في رسالته أنّه ليس من المعقول بأن توجد مقبرة وحيدة وإقترح أنه من المرجّح أن يكون حول المقبرة مجتمعاً غنيّاً، وأن هذا التل، الذي كان يدعى «رأس شمرا» نسبة لغناه بنبات الشمّر، قد يكون يخفي شيئاً في داخله...

أعدّ رينيه عندها رحلة إستكشافيّة بقيادة كلود شيفر[٣] الذي كان في الثلاثين من عمره والذي كان يعمل في متحف ستراسبورغ.

في آذار (مارس) ١٩٢٩ وصلت تلك البعثة المؤلّفة من خمسة أشخاص إلى اللاذقيّة. حيث أن السيارات في وقتها لم تكن قادرة على بلوغ المكان (رأس شمرا) إستأجر كلود سبعة جمال وأمّن مفرزة من عشرين جندي وإبتدأ في العمل في أوائل نيسان (أبريل). إستخدم كلود

(١) Rene Dussaud.

(٢) Leukos Limen.

(٣) Claude Schaeffer.

الجنود في البحث والتنقيب ولاحقاً إستأجر عمّال من المنطقة.

كما كان كلود يشبه، المقبرة لم تكن وحيدة؛ ولكنها كانت جزءاً من مدفن كبير. خلال التنقيب عثر الفريق على تمثال بعل، إله العاصفة، الذي كان بيده هراوة الرعد وبالأخرى رمح البرق؛ ووجدوا أيضاً تمثال عاجي لآلهة الخصوبة، عارية الصدر وتحمل أكواز ذرة.

عندها أرسل كلود رسالة إذاعيّة إلى باريس: «لقد وجدنا كنز مينة البيضا!» هذه الرسالة حثّت رينيه بالسفر العاجل إلى سوريا. عند زيارة رأس شمرا إقترح رينيه بأنه لا بدّ من وجود مدينة قريبة وأن لربما كانت تلّة رأس شمرا تخفيها...

بعد وقت قصير من إعادة الحفر إكتشف الفريق حجارة متعدّدة إسودّت بالنار، ثم وجدوا خنجر برونزي ملتوٍ من تأثير النار، وجزء من تمثال مصري يعود إلى الألفيّة الثانية قبل الميلاد. وفي حفر آخر وجدوا مخازن وبعض السيراميك الذي يعود إلى عام ١٢٠٠ ق. م.

بعد أسبوعين من الحفر، وفي ١٤ أيار (مايو)، بان لهم بعض ألواح الطين التي كانت مليئة بالنقوش المسماريّة الأكاديّة؛ ولكن بعض هذه النقوش لم تكن معروفةٍ سابقاً. بعد بضعة أيام من الحفر في مكان آخر من التل إكتشفوا مخبأ به العديد من الأسلحة البرونزيّة والأدوات التي كان على معظمها تلك النقوش الغامضة. إستئناف العمل كشف عن بقايا منازل ومعابد ومكتبة بها الآلاف من الواح الطين المنقوشة... في هذا الوقت لم يكن لأحد أدنى فكرة عن أصل هذا المكان وعن الذين قاموا ببنائه. مفتاح هذا السر كان لا بد أن يوجد في ألواح الطين ذات

النقش المجهول... هذا اللغز أشعل نار السرعة في المحللين لفك الرموز والتوصّل إلى معانيها. هؤلاء الذين كانوا يحلّلون تلك النقوش كانوا على وشك إكتشاف حضارة غير معروفة مع لغتها وكتابتها.

عند عودته إلى باريس بدأ شارل فيريليو في دراسة وتحليل تلك النقوش الغامضة ووجد بأنّها تتكوّن من حوالي ثلاثين رمزاً وذلك عدد قليل لتسجيل المقاطع؛ فإستنتج بأنها حروف أبجديّة... علاوة على ذلك كان هناك رمزاً يتكرّر وإستخلص شارل بأنّها فاصل الكلمات وأن الكلمات كانت كلّها قصيرة وهذا دليل على عدم وجود أحرف العلّة.

في أواخر ذلك العام، ١٩٢٩، نشر شارل دلائل وبراهين إكتشافه التي حثّت العديد من العلماء في الآثار والمخطوطات بالتعمّق والتوسّع بهذا الإكتشاف. من أهم هؤلاء العلماء ذو الإختصاص بالحضارة الساميّة كانا إدوار دوم(١) الفرنسي وهانس باور(٢) الألماني. من الملاحظ هنا أن إدوار وهانس عملاً في فك رموز الشفرات السريّة خلال الحرب العالميّة الأولى... أي أنهم كانا يعملان ضد بعضهم البعض ولكن من دون علمهما!

في أقلّ من أسبوع إستطاع هانس فك رموز المخطوطات التي نشرها شارل. لاحظ هانس أن هنالك شبه كبير بين هذه الرموز وتلك التي إكتشفها آلان جاردينير في سيناء عام ١٩١٦ («السينائيّة الأصليّة»). تعرّف هانس على إثنا عشر حرفاً ساكناً... أسرع هانس بإرسال إستنتاجاته إلى رينيه ديسو، مسؤول الآثار الشرقيّة في متحف اللوفر في باريس، كما نشرها في الجريدة المحليّة. في نفس هذا الوقت كان إدوار

(١) Edouard Dhorme.

(٢) Hans Bauer.

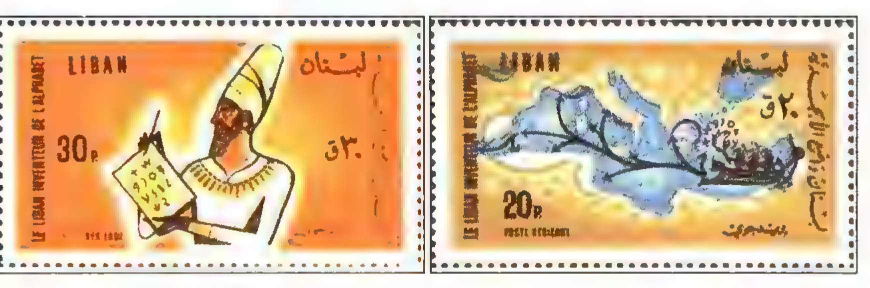
قد إكتشف نفس المعلومات التي إستنتجها هانس ونشرها في الصحف المحليّة. عندها بدأ الإثنان في التعاون معاً في هذا المجال. وأيضاً في هذا الوقت إكتشف شارل، من خلال ألواح طين عثر عليها حديثاً، ثلاثة رموز جديدة كانت تعني «ملك».

في تشرين الأول (أوكتوبر) من ذلك العام تمّت مهمّة البحث والحفر والتحليل والإستنتاج؛ وأصبح هنالك نصاً جديداً متوفّراً للجميع والذي أزاح الحجاب عن الحضارة الفينيقيّة التي كانت طي النسيان.

ولكن ما كانت تلك الحضارة؟



سفينة فينيقيّة على عملة لبنانيّة ١٩٥٥



طوابع بريديّة لبنانيّة تشيد بالفينيقيين

في عام ١٩٣١ وعندما كان كلود شيفير في السنة الثانية من البحث والتنقيب في رأس شمرة، إكتشف كلمة «غريت» على أحد ألواح الطين وعندما أضاف لها حروف علّة مناسبة إتّضح له إسم أوغاريت التي ذكرها المصريون كعاصمة لدولة مجهولة.

آلاف ألواح الطين التي وُجدت في رأس شمرة أظهرت أن رأس شمرة تقع في وسط مدينة فينيقيّة تعود جذورها إلى أكثر من ستة آلاف سنة، والتي بلغت عصرها الذهبي من المعابد والقصور حوالي ١٥٠٠ ـ ١٢٠٠ ق. م.

كانت أوغاريت تمتد على مساحة حوالي ٢١٠٠ كم^{٢}، وعلى عرض ٤٠ كم على البحر؛ وكانت تحتوي على أكثر من مائتي قرية. قصر هذه الدولة كان به تسعين غرفة مع حدائق على الشرفات علاوة على مكاتب لتدوين ألواح الطين وأفران لتجفيفها. كانت مساحة هذا القصر تفوق العشرة آلاف متر مربّع، وكان من أروع المباني في الشرق الأوسط.

من خلال مينائها كانت أوغاريت مركزاً للتجارة الدوليّة التي كانت تربط الإغريقيين والقبارصة والمصريين معاً. إشتهر عمّال أوغاريت الحرفيّين في أشغالهم البرونزيّة التي كانوا يستوردونها من قبرص.

من خلال الطرق البريّة تداولت أوغاريت مع الكثير من الإمبراطوريّات والممالك المتعاقبة في الشمال والشرق. إكتشاف ألواح طين منقوش عليها بأربع لغات يدل على عالميّة ذلك المكان.

موقع أوغاريت الجغرافي جعلها عرضة للمخاطر من الإمبراطوريّات التي حولها، كما كان عليها الموازنة بين تلك المخاطر ومطالب الممالك الأصغر والقبائل المحليّة. لذلك كان بقاء أوغاريت يعتمد على الدبلوماسيّة والتجارة وعقد المعاهدات.

يبدو إنه في حوالي عام ١٣٤٠ ق. م. قام الحيثيون بغزو وإحتلال أوغاريت في عهد حاكمها نيقمادو الثاني. عاد السلام إلى تلك المنطقة

بعد معاهدة السلام بين مصر والحثيين في عام ١٢٥٨ ق. م ولكن بقيت أوغاريت تحت سلطة الحثيين.

كتبة المدينة كانوا بارعين في كتابة اللغة الآكاديّة التي كانت متداولة بشكل واسع في المنطقة آنذاك؛ ولكن يبدو أنّهم بدأوا بإختبار طرق متعددة لكتابة اللغة.

في وقت لاحق، عندما تمكّنت فكرة الأبجديّة من أهل أوغاريت، أدركوا أن عليهم تكييفها لتناسب لغتهم فأضافوا عليها ثمانية أحرف أُخرى وقاموا بترتيب تلك الأبجديّة على نمط نظام الترتيب الكنعاني. هذا الترتيب إكتُشف عام ١٩٤٩ عند إكتشاف لوح طين صغير كُتب عليه بالترتيب الأحرف الأوغاريتيّة الثلاثين.

العديد من النصوص الأوغاريتيّة كانت موقّعة من كتّابها والكثير منها كانوا من نقش الكاتب إلميلكو[١]. أعمال إلميلكو وزملائه كانت مبنيّة على الترتيب الأبجدي الجديد الذي أصبح جزءاً من التقليد الأدبي. في نهاية المطاف، وبعد حوالي أربعمائة سنة تسرّبت الأوغاريتيّة إلى اللغة العبريّة.

العديد من العلماء يشيرون إلى تأثير الأوغاريتيّة على الكتاب المقدّس.

عصر أوغاريت الذهبي وصل إلى نهاية حادّة في حوالي عام ١٢٠٠ ق. م. ، وذلك لأسباب عديدة. علاقة أوغاريت مع الحثيين تدهورت بسبب المجاعة التي إجتاحتهم كلاهما. أموراي[٢] ملك أوغاريت

---

(١) Ilmilko.　　(٢) Ammurapi.

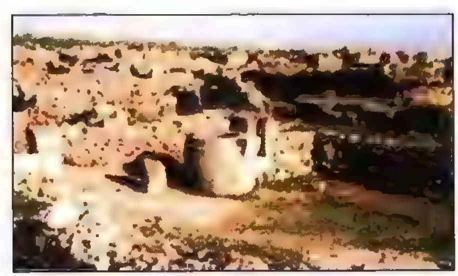
إسترجع العلاقة القديمة مع فرعون مصر الذي بدوره أرسل له شحنة غنيّة بالمواد والكماليّات. غضب الحثيون وإعتبروها محاولة لتخريب سلطتهم على أوغاريت. أرسل الحثيون إلى أوغاريت بطلب إرسال الحبوب لهم وشدّدوا على أنّها مسألة حياة أو موت. لكن المسمار الأخير في نعش أوغاريت جاء من «شعوب البحر» الذين أشار إليهم أهل أوغاريت بإسم «سيكيلا»[١] التي تعني «سكّان السفن». شعوب البحر هذه من أصل غامض ولكن يبدو أنّهم خرجوا من اليونان منذ حوالي عام ١٣٠٠ ق. م وصاعداً. عند حوالي عام ١٢٢٠ ق. م. إندثرت حضارة الميسينيين في جزيرة كريت ويعود ذلك إلى شعوب البحر هذه. من هذه النقطة إنتشر هؤلاء جنوباً وشرقاً محدثين الفوضى والدمار.

في إحدى محفوظات الطين في أوغاريت هذا النص: «وصلت سفن العدو وأشعلوا النيران في مدن بلدي وأوقعوا الضرر بالأرض»... في الواقع كان التهديد يشمل جميع السلطات ومنهم مصر.

طلب الحثيون من أوغاريت بإرسالهم مائة وخمسين سفينة. حيث أن هذا العدد كان يفوق قدرة أوغاريت كان الجواب بالرفض. عندها أرسل الحثييون جيشهم إلى أوغاريت الذي قام بتهديم المدن والقرى وحرق المحاصيل والكروم، ولم يبق أي شيء... إلّا الصمت...

---

(١) Sikila.



آثار أوغاريت



إناء فخاري ـ أوغاريت



نقوش أوغاريتيّة في متحف
اللوفر ـ باريس

ʔa	b	g	ḫ (x)	d	h
w	z	ḥ (ħ)	ṭ	y	k
š	l	m	ḏ (ð)	n	ẓ (θ̣)
s	ʕ	p	ṣ	q	r
ṯ (θ)	ġ (ɣ)	t	ʔi	ʔu	s_2

كتابة أوغاريتيّة أوليّة

الحفريّات الأثريّة دلّت على حرائق عظيمة وعلى الكثير من الأسلحة والأدوات؛ ولكن لم يكن هنالك أي أثر لبقايا هياكل عظميّة. يبدو أنه كان للناس وقتاً للفرار. أوغاريت لم تستعد مجدها. التجارة إنتقلت إلى أماكن أخرى. ملأ الغبار شوارع المدينة ببطء وتساقطت السطوح والجدران وتكاثر عليها التراب الذي نمى عليه الشمّر...

المدن الفينيقيّة الأخرى، بيبلوس وصيدا وصور قاموا بالتحالف مع مصر التي تمكنت من التغلّب على شعوب البحر في عام ١١٧٥ ق. م، ولكنهم كان عليهم تقبّل قوّة جديدة في المنطقة التي إستقرّت على الساحل الجنوبي ـ الفلسطينيون.

شعوب البحر كانت قد بدأت في الضغط على الفينيقيين من الشمال والجنوب ومن العبرانيين الذين توغلوا في أراضي كنعان مما قلّص نطاقهم. هذه التغيرات دفعت بالفينيقيين بالتطلّع إلى، التوسّع عن، طريق البحر الذي قادهم إلى مناطق عديدة من البحر المتوسّط وشمال غرب أفريقيا وشواطىء بريتاني في فرنسا وبريطانيا.

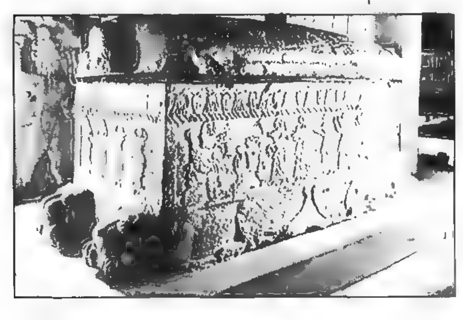
عند حوالي عام ١٠٠٠ ق. م. انتشر الفينيقيون في كل مكان. برغم هذا الإنتشار بقي الفينقيون غير معروفين بهويتهم لأنهم كانوا يفتقرون إلى الهوية الوطنية. لم تكن تربطهم وحدة وطنيّة ولم يتقرّبوا من جيرانهم الكنعانيين.

كان الفينيقيون من أكبر الحِرفيين في ذلك الوقت. القطع التي صنعوها وتاجروا بها وُجدت في جميع أنحاء العالم القديم، ولكن لم يبق لهم أي سجلّات أو محفوظات. لذلك، نحن لا ندري إذا كان

لديهم مؤرّخين أو شعراء أو كُتّاب... مشكلة تعقّب تاريخ الفينيقيين أنهم إستعملوا ورق البردي لتدوين معاملاتهم وهذا الورق لا يدوم. والعقبة الثانية الكبيرة أن مدنهم بقيت إلى يومنا هذا لذلك دفنت البقايا القديمة تحت الطوب والحجارة والإسمنت.

الكثير من الأدلّة كانت ظرفيّة والتي ظهرت من السلع التجاريّة التي وجدت متناثرة في حوض البحر المتوسّط ومن سجلّات الحضارات الأخرى.

كان لبيبلوس علاقة خاصّة وقويّة مع مصر وهذا أثّر على إختيارهم ورق البردي لتدوين سجلّاتهم. رفض الفينيقيون النص المسماري من بلاد ما بين الرافدين كما رفضوا ألواح الطين من أوغاريت التي لم تكن بعيدة عنهم. سرعان ما اتضح لهم أنهم بحاجة إلى نص خاص بهم يساعدهم في تجارتهم وقوانينهم ومحاكمهم.



في عام ١٣٠٠ ق. م بدأ النص الأسهل بالإنتشار من أوغاريت إلى الشمال ومع «الآسيويين» المهاجرين من مصر إلى كنعان. هذه التغيّرات في المنطقة وخاصّة بعد تدمير أوغاريت حثّت الفينيقيون بتطوير وتكييف الأبجديّة لتتماشى مع إحتياجاتهم.

أقدم النصوص المكتوبة بالفينيقيّة وجدت على رؤوس السهام والأواني والقطع المتكسّرة وعلى ناووس أحيرام الحجري الذي يعتقد

بأنّه كان في القرن الحادي عشر قبل الميلاد. النقش الموجود على الناووس يُظهر بوضوح حروف أبجديّة والتي يقال أن إيتوبال، إبن أحيرام، قام بنحتها. هذه النقوش تقول: «وضعته في منزل الأبديّة»، ويضيف تهديداً لأي حاكم يقوم بفتح هذا الناووس: «عسى أن يتمزّق صولجان حكمه وينقلب عرش مملكته وعسى أن يهجر السلام ببيلوس»...

يتضح أن الأبجديّة الفينيقيّة، المكوّنة من إثنين وعشرين حرفاً، نجحت في الإنتشار. كانت هذه الأبجديّة تكتب من اليمين إلى اليسار. في وقت قصير جداً أصبحت اللغة الفينيقيّة لغة الأكابر والمثقّفين، وكذلك الكتابة. عند حوالي عام ٩٠٠ ق. م. أصبحت الشعوب المجاورة تتبع نظام الكتابة الفينيقيّة لتدوين لغاتها.

الآراميون والعبرانيون إقتبسوا النص الفينيقي وأضافوا إليه بعض الحروف التي لم تكن موجودة في الفينيقيّة. كذلك إنتشر النص الفينيقي غرباً مع المستعمرين الفينيقيين إلى شمال غرب أفريقيا وأصبح نص قرطاجة الذي بقي متداولًا لفترة طويلة بعد تدميرها في عام ١٤٦ ق. م.

الإغريقيون إقتبسوا النظام الفينيقي وأدركوا فوائده وميّزاته، وذلك كان العامل الرئيسي في قفزة الأبجديّة إلى الأمام...



عملة إغريقيّة قديمة قدموس يقدّم الأبجديّة إلى اليونانيّن



منحوتة بعل إله العاصفة



تمثال بعل من أوغاريت



تمثال فينيقي - بعل - من إسبانيا



تمثال نصفي فينيقي
متحف اللوفر - باريس

نقش فينيقي
القرن الحادي عشر ق. م



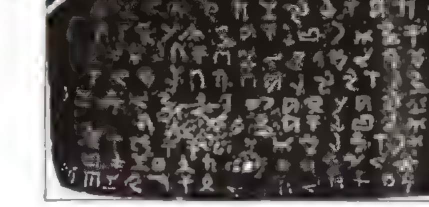
نقش فينيقي على لوحة مدفن



مثقال وزن فينيقي



وتظهر علامة الإله



آثار قرطاجة

إنتشار الأبجديّة

منذ وضع داروين التطوّر على رأس جدول الأعمال في علم الأحياء منذ أكثر من قرن، جعل المؤرّخون يقارنون بين التطور البيولوجي والتطور الثقافي. في الواقع، داروين تساءل عمّا إذا كان يمكن تفسير ظهور وموت اللغات بسبب الإنتقاء الطبيعي كما حصل في الطبيعة. التطوّر البيولوجي ينتشر إلى الأمام من الأهل وإلى الأبناء في سلسلة ضيّقة محكومة بعامل الوقت.



إناء فينيقي نقش فينيقي من بيبلوس

الثقافة تنطلق في جميع الإتجاهات - إلى الأمام من الأهل إلى الأبناء، وأيضاً إلى الجوانب؛ وهي ليست مقيّدة بعامل الوقت. خلال زمن الميسيين في جزيرة كريت كان هناك تجارة واسعة عبر ١٣٠٠ كم التي كانت بين البر الرئيسي اليوناني والساحل الكنعاني، التي شكّلت إحدى الطرق

العديدة التي تربط بين المصريين وسكان كريت والحثّيين والأشوريين. الجزء الكبير من التجارة تدنّى بين القرن الثالث عشر والقرن العاشر قبل الميلاد عندما قام شعوب البحر هددت معظم السواحل بين اليونان و مصر. ولكن خلال أواخر القرن العاشر قبل الميلاد أعيدت الروابط القديمة إذ أنّها لم تندثر نهائيّاً. عاد الفينيقيون بالإبحار غرباً كما عاد الإغريقيون بالإبحار شرقاً؛ وفي نهاية المطاف كلا الطرفين أسّس قواعد ومنازل. مما لا شك به أن هذا التبادل بين الفينيقيين والإغريقيين زوّد الإغريقيين بأبجديّتهم.

هيرودوتوس، المؤرّخ الإغريقي، في القرن الخامس ق. م، ذكر أن الحروف الأبجديّة جلبها الفينيقيون الذين كانوا يقطنون جزيرة يوبوا[١] ثاني أكبر الجزر اليونانية بعد كريت. يوبوا تنفصل عن البر الرئيسي الإغريقي بقناة ضيّقة وكانت مسكونة من الإغريقيين والأيونيين[٢] الذين كانوا بحّارة مشهورين والذين، في القرن العاشر ق. م، بدأوا بالإنتشار في البر الإغريقي الرئيسي وكانت لهم علاقة وثيقة مع مدينة صور المدينة الفينيقيّة الرئيسيّة.

مع تطور التجارة أنشأ الفينيقيون مركزاً لهم في الجزيرة في موقع البلدة الحالية لفكاندي[٣]. ذكر هيرودوتوس في سجلّاته التاريخيّة أن من هنا إنطلق قدموس الفينيقي مع رجاله برحلة إستكشافيّة عبر القناة الفاصلة

(١) Euboea.

(٢) Ionia أيونيا كانت تتكوّن من الساحل الغربي لتركيا والجزر الصغيرة قربها، وكان أهلها من اليونان.

(٣) Lefkandi.

وأسسوا مدينة ثيبس[1]. كتب هيرودوتوس: «هؤلاء الفينيقيون جلبوا معهم العديد من أنواع التعلّم وكتابتهم لم تكن معروفة عند الإغريق قبل ذلك».

حقيقة هذه القصّة مقبولة على نطاق واسع حيث أنه وُجد على تحف من يوبوا قرب مدينة صور وتحف فينيقيية قرب مدينة لفكاندي. من الملاحظ هنا أن الحروف الإغريقيّة سمّيت لاحقاً بحروف قدموس وأيضاً بحروف تشالسيديك (نسبة إلى تشالسيديك[2] عاصمة يوبوا).

تاريخ إدخال الحروف الأبجديّة إلى اليونان لا يزال يثير النقاش والجدل حتى يومنا هذا. هذا التاريخ يتراوح بين عامي ١٠٥٠ و٧٥٠ ق. م. كلا الآثار واللغة يدلّان على علاقة بين الفينيقيين والإغريقيين مبنيّة على المنفعة المتبادلة.

كان أهالي ثيبس يلقّبون بالقَدميين. جذر الكلمة يأتي من كلمة «قَدم» والتي هي ليست إغريقيّة بل ساميّة. في اللغة الأوغاريتيّة «قَدم» تعني الشرق. الإنجيل يذكر «بن قدم» أي «أبناء الشرق» الذين كانوا قبائل بدويّة في أراضي الأردن والعراق...

هذا الإرتباط بين الإغريق والفينيقيين كان وكأنّه أمر محتوم. لكن هذه المسافة التي تفوق ١٥٠٠ كيلومتر وتحتاج إلى رحلة بحريّة تستغرق أسبوعين لم يكن ينبغي القيام بها دفعة واحدة. إذ كان لا بد من أن يكون هناك مكاناً للتوقّف والتزوّد.

---

(١) Thebes.

(٢) Chalcis.

حوالي عام ٨٠٠ ق. م كانت قبرص محكومة من قِبل ملك إغريقي كان أجداده قد أتوا إلى قبرص قبل قرنين أو ثلاث عندما أجبرهم الغزاة على الفرار.

هنالك جزر عدّة على الطريق بما في ذلك جزيرة قبرص الكبيرة والتي تبعد عن مدينة بيبلوس حوالي ١٢٠ كم فقط ومسافة أكثر بقليل عن مدينة صور. لذلك يقوم بعض العلماء بتحديد قبرص بأنّها العامل الأساسي بنقل الأبجديّة من الفينيقيين إلى الإغريق. موقع قبرص الجغرافي وضعها في مكان مناسب للوصل بين اليونان وتركيا وسوريا ولبنان.

كان حاكم قبرص ورعاياه الذين يتكلّمون اللّغة اليونانيّة يعتمدون على الغرباء وكان أهمّهم الفينيقيون الذين كانوا قريبين من بلدهم الأساسيّ وعلى علاقة تجاريّة عريقة مع مصر وجزر بحر إيجة وإيطاليا والساحل الشمالي الأفريقي. سكن الفينيقيون في بلدتين على الساحل القبرصي الشرقي، إنكومي[١] وكيتيون[٢]. نجاح الفينيقيون في التجارة لا يعود فقط إلى مهارتهم الملاحيّة ولكن إلى قدرتهم على حفظ سجلّاتهم بطريقة جيّدة بواسطة النص الكتابي الخاص بهم.

حفظ القبارصة تلك السجلّات وتبنّوا النص الفينيقي بعد فترة وجيزة من قدوم الفينيقيين. وجد القبارصة النص الفينيقي أفضل من نظامهم الكتابي، «الخطّي ب»، الذي كان يحتوي على خمسة وثمانين من الرموز والعديد من المصوّرات التي كانت في الإستخدام لقرون طويلة لغاية إنهيار الثقافة الميسينيّة.

(١) Enkomi.

(٢) Kition.

الفينيقيون لم يقتبسوا النظام القبرصي لصعوبته ولسهولة النص الخاص بهم الذي كان يُكتب بسهولة ويدوّن على العديد من المواد مثل الورق البردي والفخّار والجلود وألواح الخشب المشمّع، التي كانت جميعها قابلة للنقل والحفظ.

في ذلك الوقت كانت قبرص مشهورة برواسب النحاس التي كانت جزءاً حيويّاً من الإقتصاد في المنطقة لأكثر من ألف سنة. القبارصة لم يفتقروا إلى الذكاء أو البراعة التجاريّة أو المنتجات الجيّدة. مع كل هذه المعطيات لم يكن القبارصة قادرين على منافسة الفينيقيين ولا حتى مساواتهم.

كان هناك سبب آخر لإقتباس وإنتشار النص الفينيقي، إذ أن، في كلتا الحضارتين الفينيقيّة والقبرصيّة، كان الأثرياء يحبّون أن يقدّموا الإهداء على المباني والمقابر وحدود الأرض. كانوا يضعون إسمهم على الحجر إلى جانب أشعار تمدحهم. النص الفينيقي كان أسهل لهم في الإستخدام مع أنّه كان خالياً من حروف العلّة. كلّف ملك قبرص أذكى كتّابه بإقتباس النص الفينيقي بحيث يقوى على تسجيل اللغة اليونانيّة. اللغتان الفينيقيّة واليونانيّة كانتا تحتويان على بعض الأحرف والأصوات التي لم تكن موجودة في اللغات الأخرى.

قام هؤلاء الكتبة بالإقتباس وإستخدموا علامات النص الفينيقي لترمز إلى الأصوات اليونانيّة وأدخلوا عليها رموز جديدة لتناسب حروفهم التي لم تكن موجودة في اللغة الفينيقيّة، كما أضافوا أحرف علّة التي لم تكن مستخدمة في النص الفينيقي. بعد إجراء تلك التعديلات قام الكتبة

بعرضها على أصدقائهم ومن ثم على حاكم الجزيرة. كانت هذه أول أبجديّة كاملة والتي في جوهرها أساس الأبجديّة الغربيّة.

عندما بدأ اليونانيون بإستخدام تلك الأبجديّة كانت نتائجها مذهلة. تحديد تاريخ هذه الأحداث كان عسيراً، ولكن مع توازن التفاعلات في حضارات الشرق الأوسط والإنتقال من العصر البرونزي إلى العصر الحديدي، أصبح التاريخ متّفقاً عليه بانّه حصل حوالي عام ١٢٠٠ ق. م.

لكن هذا التاريخ ترك فجوة لم يكن يعرف عنها أي شيء... الفينيقيون كانت لهم أبجديّتهم حوالي عام ١١٠٠ ق. م. والأدلّة الأوّليّة لإستعمال النسخة الأولى للحروف اليونانيّة يعود إلى حوالي عام ٨٠٠ ق. م. ولكن، لماذا هذا التأخير بثلاثمائة سنة؟!

من أعمال البناء والفخّار يبدو أن قبرص إنحدرت وإضمحلّت لمدة قرنين قبل حوالي عام ١٠٠٠ ق. م. حتى المرافىء الكبيرة مثل إنكومي وكيتيون لم تعد قائمة والتي عادت إلى الحياة مع وصول الفينيقيين في حوالي عام ٨٥٠ ق. م.

الأدلّة الأثريّة تقترح تاريخ بداية إستعمال الأبجديّة في حوالي ٨٠٠ ـ ٧٥٠ ق. م. ولكن أين محفوظات تلك الأبجديّة البدائيّة؟ الكثير من العلماء والباحثين يعتقدون بأن الفينيقيين حفظوا سجلّاتهم على ورق البردي الذي لم يقوَ على الزمن وتلاشى إلى الأبد...

هل تبع تلك الفترة عصر ظلام؟!

الكثير من الباحثين يعتقد بأن الكتابة أخذت وقتاً طويلاً لتسود وتتطوّر إذ أن الحضارات آنذاك كانت تعتمد على الشعر والشفهيّة لحفظ

وتوريث المعلومات. ومن المعروف أن شعراء اليونان والعرب كان بإمكانهم حفظ آلاف الأبيات والأقوال.

الأبجديّة دخلت اليونان إمّا عن طريق يوبوا أو قبرص أو مباشرة مع الفينيقيين في ظرف أتاح للأبجديّة بأن تندمج في حضارتهم التي كانت آنذاك تدخل في مرحلة تطوّر هامّة.

الطريقة الشفهيّة بقيت سائدة لزمن طويل، وكان بعض الشعراء يلجأ للكتابة لحفظ أعمالهم فقط وليس لنشرها بين الناس. أول شِعر كُتب بقلم مؤلفه كان في عام ٦٥٠ ق. م. للشاعر أركيلوكوس[١] من مدينة باروس[٢].

فترة التحوّل من القول إلى الكتابة في اليونان إستغرق قرنين أو ثلاثة وكان أوجها في عام ٥٥٠ ق. م حيث أصبح التدوين والتسجيل الطريقة الرئيسيّة لحفظ اللغة. الكتابة فصلت بين المواضيع وصنّفتهم إلى تخصّصات مثل النثر والشعر، والفلسفة والمنطق، والخ...

بسبب الأبجديّة وكتابتها، تكاثرت المعلومات وتراكمت؛ وهذا كان الدافع الرئيسي الذي حثّ الإسكندر المقدوني على تشييد مكتبة الإسكندريّة الشهيرة. عندما جعل بتولومي[٣] الإسكندريّة عاصمة مصر قام بتكليف ديميتريوس[٤] ببناء هذه المكتبة الذي كان حاكم أثينا سابقاً وتلميذاً لأرسطو. إحتوت المكتبة على حدائق ومرصد فلكي وحديقة حيوانات وأجنحة سكنيّة للباحثين والطلّاب. يقال أن هذه المكتبة إحتوت

---

(١) Paros.

(٢) Archilochus.

(٣) Ptolemy.

(٤) Demetrius

على أكثر من نصف مليون مخطوطة وكتاب. في هذه المكتبة قام أرخميديس[١] بإختراع لولبه المسمّى بإسمه، وقام العالم إراتوسثينس[٢] بالإدلاء بأنّه يمكن الإبحار إلى الهند عن طريق إسبانيا، وإدّعى أريستارخوس[٣] بأن الأرض تدور حول الشمس. ولكن... هُدّمت هذه المكتبة وأحرقت في القرن الثالث بعد الميلاد من قبل المغول.

الفينيقيون كانوا منهمكين في إقامة موانيء وقواعد في غرب حوض البحر المتوسّط مثل قرطاجة وأوتيكا[٤]. ولكن الإغريقيين عندما بدأوا بالتوسّع في القرن التاسع قبل الميلاد كان لديهم مخطّطات أخرى ألآو هي الحصول والإستيلاء على الأراضي والبلاد؛ وحيث أنّهم وجدوا إنتشارهم إلى الشرق كان مسدوداً من قبل الفينيقيين والآشوريين توجّهوا غرباً وأقاموا في إيطاليا حوالي عام ٧٧٠ ق. م قرب مدينة نابولي وبدأوا في الإنتشار داخلّا إلى الشمال ومن ثم إلى الجنوب حتّى جزيرة صقلّية.

في هذا المحيط الإيطالي نشر اليونانيون أبجديّتهم ولغتهم، وبالتالي إنتشرت إلى عدّة بلاد أوروبيّة.

لن أدخل في تلك الحقبة من التاريخ والتطوّر في إيطاليا وأوروبا حيث أنني في طريق عودتي إلى فينيقيا للإطّلاع على تأثير أبجديّتها في تلك المنطقة وما حولها...

---

(١) Archimedes.

(٢) Eratosthenes.

(٣) Aristarchos.

(٤) Utica.



نقود فينيقيّة

نقش قدموس في مكتبة الكونغرس
في الولايات المتحدة الأميركيّة



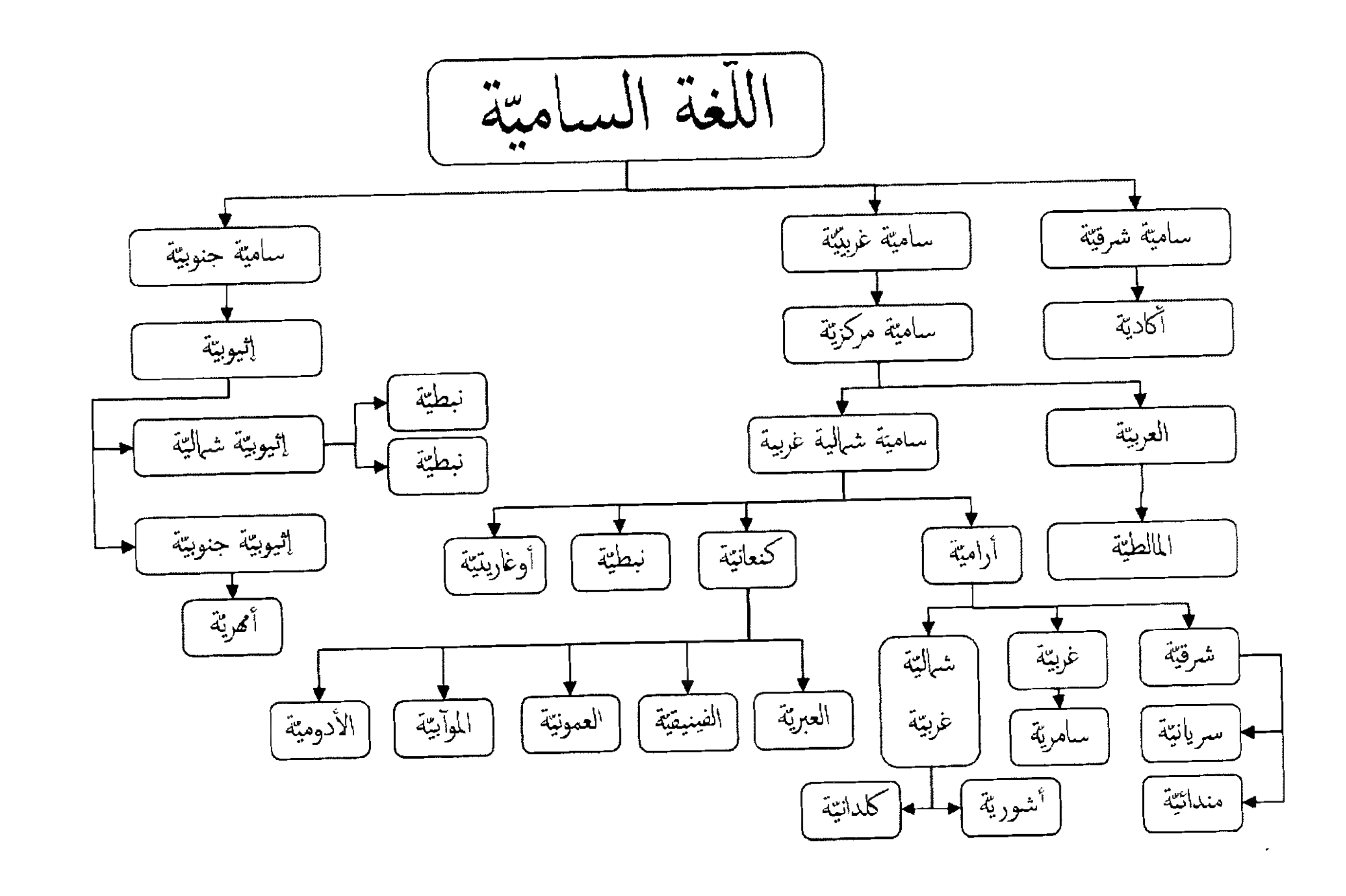
سفينة فينيقيّة تعبر نهر التايمس عند جسر لندن في بريطانيا، تخليداً للفينقيين.



بيبلوس (جُبيل)

اللغات الساميّة

- أسرة اللغات الساميّة
- اللغات الساميّة الحيّة
- أصل اللغات الساميّة
- الساميّة حسب الترتيب الزمني
- الكتابات الحاميّة
- أبجديّات آراميّة


اللّغة السامية
سامية شرقيّة
أكادية
سامية غربيّة
سامية مركزيّة
العربيّة
المالطيّة
سامية شمالية غربية
أراميّة
شرقيّة
سريانيّة
مندائيّة
غربيّة
سامريّة
شماليّة غربيّة
أشوريّة
كلدانيّة
كنعانيّة
العبريّة
الفينيقيّة
العمونيّة
المؤآبيّة
الأدوميّة
نبطيّة
أوغاريتيّة
سامية جنوبيّة
إثيوبيّة
إثيوبيّة شماليّة
نبطيّة
نبطيّة
إثيوبيّة جنوبيّة
أمهريّة

اللغات السامية

من المعروف أن اللغة العربية هي لغة ساميّة وأنها أكبر لغة في أسرة اللغات السامية الحاميّة.

أسرة اللغات السامية الحامية

التسمية:

ظهرت التسمية سنة ١٧٨١ وأطلقها المستشرق النمساوي شلوتزر[١] الذي أخذها عن التصنيف التوراتي للبشر بعد الطوفان؛ أي نسبة لأبناء نوح وهم: سام وحام ويافث. هذا التصنيف خاطئ في جميع الأحوال لأنه يعتبر الفينيقيين ـ وهم ساميون ـ حاميين لأنه كان بينهم وبين اليهود الذين دونوا التوراة عداوة. أضف إلى ذلك أن الزنوج إعتُبروا من سلالة حام الملعون، لأن التوراة تنسب إلى نوح عليه السلام لعنته على حام الذي لم يغط عورة أبيه، مما عرّض ذريّته للعبودية فيما بعد.

النظرية السائدة في الدراسات الساميّة الحامية أن تلك اللغات أصلها من الجزيرة العربية، حيث هاجر أهلها منها بعد أن إمتدّت الصحراء في بداية الألفية الخامسة قبل الميلاد، فقصدوا مواطن الماء

---

(١) Sclutzer.

والكلأ على ضفاف دجلة والفرات والعاصي في الشام.

كانت بداية الهجرة من الجزيرة في بداية الألفية الرابعة قبل الميلاد، حيث خرجت قبائل من الجزيرة العربية إلى مصر والمغرب العربي الكبير، وإختلطت بالسكان الأصليين في الشمال الإفريقي، فنتج عن هذا الإختلاط القبائل التي كونت الحاميين فيما بعد. فالشعب المصري القديم، والشعب الأمازيغي، تولّدا من إختلاط القبائل الساميّة المهاجرة إلى شمال إفريقية، بالقبائل الأصلية فيها.

أما الهجرة الثانية فكانت في منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد، وهي هجرة الأكاديين إلى بلاد الرافدين. أما الهجرة الثالثة فكانت هجرة الأوغاريتيين إلى غربي سورية في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد. ويغلب الظن أن الأوغاريتيين كانوا عرباً إستعمروا غربي سورية وكانت حاضرة ملكهم في رأس شمرا غربي سورية.

ثم تلت بعد ذلك هجرة الآراميين والكنعانيين إلى بلاد الشام في بداية الألف الثالث قبل الميلاد. والكنعانيون هم: الفينيقيون والمؤابيون والعبران.

ثم هاجر نفر من عرب الجنوب إلى إفريقية في بداية الألف الأول قبل الميلاد وإختلطوا بالسكان الأصليين.

تتكون أسرة اللغات السامية من ثلاثة فروع:

١ ـ الفرع الجنوبي: يتكون من اللغة العربية البائدة (لغة جنوب الجزيرة العربية أو العربية الجنوبية، بالإضافة إلى الثمودية واللحيانية) والعربية الفصحى (أو العربية الشمالية) والحبشية (الجعزية والأمهرية).

٢ ـ الفرع الشمالي الشرقي: يتكون من الأكادية بلهجتيها البابلية والأشورية.

٣ ـ الفرع الشمالي الغربي: يتكون من اللغات الأوغاريتية والآرامية واللغات الكنعانية (الفينيقية والمؤابية والعبرية) وكذلك الإبلاويّة (على إختلاف بين علماء الساميات في ذلك).

وهنالك لهجات كثيرة تفرّعت عن اللغات السامية المذكورة أعلاه.

أما اللغات الحامية فتتكون من المصرية القديمة ولهجاتها اللاحقة كالقبطية، ومن اللغة الأمازيغية (الإسم الصحيح للبربرية) والكوشية (لغة محكيّة في تشاد ومالي) وبعض اللهجات الأخرى.

تُعتبر اللغة الأكادية أقدم اللغات السامية من حيث التدوين لأنها أول لغة سامية دُونت بالكتابة المسمارية التي أخذها الأكاديون عن السومريين الذين هم أقدم الأقوام المعروفين الذين سكنوا جنوب بلاد الرافدين وبنوا فيه أول حضارة في تاريخ البشرية وإخترعوا الكتابة المسمارية التي هي أول كتابة في التاريخ أيضاً. من المعروف أن إختراع الكتابة كان الحد الذي يفصل بين الحقبة التاريخية وحقب ما قبل التاريخ.

اللغة العربية الفصحى أو الشمالية (لغتنا الحالية) تُعتبر آخر لغة سامية دُوّنت. أما العربية الجنوبية (لغة ممالك سبأ وقتبان وحضرموت وحِمير) فقد سبق تدوينها قبل اللغة العربية الشمالية بقرون كثيرة، وتُسمى الكتابة التي تكتب بها بخط المسند، وهي أبجدية مكونة من تسعة وعشرين حرفاً.

على الرغم من أن العربية الشمالية هي آخر اللغات السامية تدويناً إلا أنها إحتفظت بجل خصائص اللغة السامية الأم، كالإعراب الذي إختفى من كل اللغات السامية باستثناء الأكادية.

ويعلّل ذلك بسبب العزلة النسبية التي عاشتها القبائل العربية التي بقيت في الجزيرة العربية بينما تأثرت لغة القبائل السامية المهاجرة باللغات الأخرى غير السامية التي إتصلت بها وأخذت منها وأعطتها، الشيء الذي أدّى إلى حدوث تغيرات لغوية أبعدتها عن الأصل السامي، وهذا ما وقع للأكادية والعبرية والحبشية وغيرهم.

اللغات السامية الحامية الحية:

لقد إندثرت معظم اللغات السامية والحامية ولم يبق منها اليوم إلا اللغات التالية:

١ ـ اللغات السامية الحية:

١ ـ اللغة العربية الفصحى ـ لم تتغير صوتا وصرفا ونحوا منذ تدوينها حتى اليوم.

٢ ـ العبرية الحديثة ـ تم إحياؤها على يد اللغوي اليهودي اِلِيعَزَر بن يهودا[١] في بداية القرن العشرين، وتبنّت ذلك الحركة الصهيونية.

٣ ـ اللغة الأمهرية ـ لغة إثيوبيا اليوم، وتكتب بكتابة مقطعية مشتقّة من خط المسند الحميري.

٤ ـ اللغة الآرامية ـ يتحدّث بها اليوم حوالي ثلاثة ملايين شخص متوزعين كما يلي:

---

(١) Elizar Ben Yehuda.

• السريانية: يتحدث بها اليوم في معلولا وصيدنايا في سورية. ويسمى المتحدثون بها بالمسيحيين السريان.

• الكلدانية: يتحدث بها اليوم في القامشلي والمالكية في شمال شرق سورية وفي شمال العراق في منطقة الموصل وزاخو وبطنايا وفي شرقي تركيا في منطقة حسنة وما جاورها. يُسمّى المتحدثون بها بالمسيحيين الكلدان.

• المندعية (المندائيّة): يتحدث بها في شمال العراق، في منطقة وادي لالش، ويسمى المتحدثون بها بالمندعيين/الصابئة، وهم المعروفون في العراق بإسم اليزيديين.

٢ ـ اللغات الحامية الحيّة:

إذا استثنينا القبطية، وهي لغة كَنَسيّة، فإن اللغة الحامية الوحيدة التي لا تزال محكية هي اللغة الأمازيغية المحكية في الجزائر والمغرب وما إليهما من بعض المناطق الصحراوية. تتوزع اللغة الأمازيغية اليوم على اللهجات التالية:

١ ـ الجزائر: الأمازيغية ـ يتحدث بها في نواحي كثيرة من الجزائر، وأفصحها اللهجة الزّواوِيَّة المحكية في منطقة تِيزِي وِزُّو التي شهدت نشاطا كبيراً لإحيائها.

٢ ـ الصحراء: القبائلية ـ يتحدث بها قبائل الطوارق المنتشرين في الصحراء بين المغرب والجزائر.

٣ ـ المغرب:

ـ الأمازيغيّة/السوسيّة (تاسوسيت): يتحدث بها في جنوب المغرب؛

ـ الشِّلحة (تاشلحيت): يتحدث بها في جبال الأطلس؛

ـ الريفيّة (تاريفيت): يتحدث بها في شمال المغرب.

٤ ـ مالي وتشاد:

ـ الكوشيّة: يتحدث بها في بعض نواحي تشاد ومالي.

أصل اللغات السامية

بعض الباحثين يعتقد أن السامية نشأت في شرق أفريقيا وإنتقلت عن طريق الجزيرة العربية إلى الشرق الأوسط. وهناك رأي آخر يعتقد أن اللغة السامية الأم نشأت في شبه الجزيرة العربية ومن ثم هاجر ناطقوها شمالا وجنوبا. غير أن أغلب العلماء يتفقون على أن اللغات السامية نشأت في الهلال الخصيب.

اللغات السامية

هي لغات تتبع العائلة الشمالية الشرقية للغات الأفريقية الآسيوية. وهي فرع إستقل تدريجياً ليشكل ما يفترضه اللغويون من لغة سموها اللغة السامية الأم. تنسب هذه اللغة للساميين الذين ينسبون إلى «سام بن نوح»، الذي هو أبو الشعوب التي تتحدثها حسب الميثولوجيا الدينية اليهودية، وهو ما لم يعد متناسبا مع النظريات اللغوية الحديثة.

يتحدث باللغات السامية حاليا حوالي ٤٦٧ مليون شخص، ويتركز متحدثوها حاليا في الشرق الأوسط وشمال وشرق أفريقيا. أكثر اللغات السامية إنتشارا في العصر الحالي هي العربية إذ يفوق متحدثيها ٢٠٠ مليون متحدث. تليها الأمهرية بـ٢٧ مليون متحدث تليها التيغرينية بحوالي ٦،٧ ملايين متحدث، ثم العبرية بـ ٥ ملايين متحدث.

تتميز اللغات السامية بكونها أولى اللغات التي إستعملت الأبجدية في كتابتها ومنها إنتقلت إلى اليونانية واللاتينية. وجدت كتابات أكادية سامية تعود للألفية الثالثة قبل الميلاد أي قبل حوالي ٥ آلاف سنة مما يجعلها من أقدم اللغات المكتوبة في العالم. إنقرضت معظم لغات الشرق الأوسط غير السامية ولم تبق إلا في النصوص الدينية فقط.

لغة سامية أم

اللغة السامية الأم، هي عبارة عن لغة إفترض وجودها علماء اللغويات، وذلك تطبيقا للتسلسل المنطقي، الذي تقوم عليه اللغات بالعادة بحيث يفترض أنها تبدأ من لغة أم تنقسم إلى لهجات تأخذ شكل لغات منفصلة، وهو ما ينطبق على اللغات السامية التي تتشابه فيما بينها بشكل عام. هذا التشابه يزداد ويتسع كلما كانت المجموعة اللغوية تنتمي إلى منطقة جغرافية واحدة ومتقاربة كمجموعة اللغات الكنعانية في بلاد الشام.

تأريخ اللغة السامية الأم

إفترض علماء اللغويات على أن اللغة السامية الأم كانت موجودة في حقبة الألفية الرابعة قبل الميلاد أي أنها كانت موجودة منذ أكثر من ٦٠٠٠ عام، وهي الفترة التي يفترض وجود اللغة الهندو ـ أوروبية الأم فيها أيضًا.

أماكن تواجدها وأصولها

هناك إختلاف بين المؤرخين حول موقع إنتشار اللغة السامية الأم في القدم، وهذه الآراء كالتالي:

١ ـ تميل بعض الآراء إلى أنها كانت تنتشر في منطقة الشرق الأوسط وذلك بسبب الإنتشار الواسع للغات السامية في هذه المنطقة منذ القدم.

٢ ـ بعض الآراء تعتبر أنها أتت من منطقة إثيوبيا.

٣ ـ تذكر بعض الآراء أن اللغة السامية الأم كانت في أفريقيا ثم دخلت إلى منطقة الشرق الأوسط.

٤ ـ هناك آراء تعتبر أن اللغة السامية الأم موطنها هو الهلال الخصيب، وما يجب ملاحظته أن هذه المنطقة كان تنتشر بها منذ أكثر من ٤٠٠٠ عاماً اللغة الأكادية وهي أقدم اللغات السامية.

٥ ـ مؤخرا، ظهر رأي لأحد اللغويين وهو يعتبر أن اللغة السامية الأم كانت متواجدة في مناطق جنوب فلسطين والبحر الأحمر ومناطق الشمال (سوريا والعراق).

إنقسمت اللغة السامية الأم إلى عدة لغات والتي بدورها أيضاً إنقسمت إلى لغات أخرى:

١ ـ لغات سامية شرقية.

٢ ـ لغات سامية غربية.

٣ ـ لغات سامية الوسطى.

٤ ـ اللغات السامية الشمالية الغربية.

٥ ـ اللغات العربية.

٦ ـ اللغات السامية الجنوبية الغربية.

٧ ـ اللغات السامية الجنوبية الشرقية.

الأبجديات السامية حسب الترتيب الزمني

الأبجدية الأوغاريتية

هي أقدم كتابة أبجدية سامية ظهرت إلى الوجود في غربي سورية في بداية الألفية الثانية قبل الميلاد. إشتق الأوغاريتيون أشكال أبجديتهم من الكتابة المسمارية. ويعتقد إعتقادا قوياً أن الأوغاريتيين كانوا عرباً.

خط المُسند

لا ندري على وجه التحديد متى تم وضع خط المسند، ولا يعرف شيئاً عن مراحل تطوره. يعتقد أنه أقدم كتابة أبجدية سامية على الإطلاق. فهو أقدم من الأبجدية السينائية (١٥٠٠ ق. م.)، وقد يكون أقدم من الأبجدية الأوغاريتية (٢٠٠٠ ق. م.). في الواقع هنالك إختلاف شديد بين مؤرخي الأبجديات بخصوص تاريخ خط المسند. زد على ذلك أن هنالك لغزاً محيطاً بهذا الخط وهو عدم تشابهه مع أي من الكتابات القديمة بإستثناء تشابه الجيم مع الجيم في الأبجدية اليونانية. نحن نستطيع أن نتابع تطور الكتابة الفينيقية، المشتقة من الكتابة الهيروغليفية، ولكننا لا نستطيع ربط خط المسند بأي من الكتابات القديمة. ولخط المسند شكلان: الشكل القديم والجديد.

الأبجدية الفينيقية

إشتقّت الأبجدية الفينيقية من الكتابة المصرية القديمة، الهيروغليفية. إشتقّها الفينيقيون وطوّروها في القرن الخامس عشر قبل الميلاد.

ويعتقد عالم الآثار اليهودي أولبرايت[1] أن الذين طوروا الأبجدية الفينيقية بناء على الصور الهيروغليفية كانوا «عبيداً ساميين» إستعبدهم الفراعنة وإستخدموهم في مناجم الفيروز في صحراء سيناء، وذلك دون تحديد هويتهم لأن ذلك غير ممكن. وربما أراد أوابرايت نسبة إختراع الأبجدية الفينيقية إلى اليهود بربط ذلك برواية الخروج من مصر التوراتية. ومهما يكن، إن اكتشاف الأبجدية الأوغاريتية في غرب سورية ـ وهي أقدم من الفينيقية ـ أفسد على أولبرايت فكرته التي لم يأخذ بها أحد من علماء الساميات وتاريخ الكتابة.

تتكون الأبجدية الفينيقية، شأنها في ذلك شأن الأبجديات الكنعانية، من إثنين وعشرين حرفاً فقط، بعكس الأبجدية العربية والسبئية والأوغاريتية التي تتكون من ثمانية/ تسعة وعشرين حرفاً تحتوي على جميع الأصوات السامية الأصلية.

الأبجدية الآراميّة

إشتقّت الأبجدية الآراميّة من الأبجدية الفينيقية، التي طوّرها الآراميون في القرن العاشر قبل الميلاد.

من الجدير بالذكر أن الأبجدية الآرامية القديمة إنتشرت إنتشاراً

---

(١) William F. Albright.

كبيراً في الشام والعراق بعد سقوط الدولة الآشورية في القرن السادس ق. م. وإستعملها أقوام كثيرة ولذلك يختلط الأمر على غير المتخصصين بشأن تسميتها.

إستعمل العبران في القرن الثامن قبل الميلاد أيضاً هذه الأبجدية الآرامية/السامرية ودونوا فيها بعض نقوشهم القديمة، ولذلك تسمى هذه الأبجدية أحيانا بالأبجدية العبرية القديمة، وهذه التسمية غير دقيقة أيضاً. فهذه الأبجدية التي إستعملها الآراميون والسامريون والعبران هي الأبجدية الآرامية القديمة.

الأبجدية الآرامية المربّعة

تعرف هذه الأبجدية بالكتابة اليهودية أو الكتابة المربّعة نظراً لأشكال حروفها التي تشبه كثيراً المربعات المجرّدة. أما اليوم فتسمى بالكتابة العبرية أو اليهودية.

لم يطوّر اليهود أبجدية مخصوصة بهم بل أخذوا عن الآراميين كتابتهم ودوّنوا بها، إبتداء من القرن الثامن قبل الميلاد، أسفار العهد القديم (٨٠٠ ـ ٥٠٠ ق. م.) ثم المشناة (القرن الميلادي الأول) ثم التلمودين البابلي والمقدسي (القرن الثاني حتى السادس الميلادي).

تتكون الأبجدية العبرية، شأنها في ذلك شأن كل الأبجديات الشمالية الغربية ما عدا الأوغاريتية، من إثنين وعشرين حرفاً فقط كلها حروف صامتة. إستعار اليهود والسريان عن العرب نظامَيْ الإعجام والحركات وضبطوا بهما أصوات لغتهم في القرن التاسع الميلادي.

الأبجديّة النبطيّة

الأنباط هم قبيلة عربية كانت تشتغل بالتجارة بين الجزيرة العربية والشام، وكانت عاصمة دولتهم «التجارية» في سلع المعروفة اليوم بالبتراء في الأردن. (البتراء ـ كشآ٧ؤ ـ هي الترجمة اليونانية لكلمة سلع العربية وتعني الصخر).

إشتقت الأبجدية النبطية من الأبجدية الآرامية كما توحي بذلك أشكال الحروف، وظهرت إلى الوجود في القرن الثاني قبل الميلاد. إتخذ بعض حروفها أشكالاً قريبة من الكتابة العربية كما ظهرت في النقوش التي عثر عليها عشية ظهور الإسلام وبداية العصر الإسلامي. وهذا أمر طبيعي لأن الأنباط هم الذين طوّروا كتابتنا العربية الحالية.

الأبجدية السريانية

ظهرت الأبجدية السريانية إلى الوجود في بداية القرن الثاني للميلاد، وهي أبجدية مشتقة من الآرامية القديمة، عبر النبطية. تعرف الأبجدية السريانية التي ظهرت في القرن الثاني للميلاد بإسم «كتابة الإسترانجيلو»، وهي تسمية يونانية تعني «الكتابة المستديرة». إستعملها المسيحيون السوريون في كتاباتهم الدينية وخصوصاً في ترجمتهم أسفار الكتاب المقدس المعروفة باسم «بْشِيتا»، أي «الترجمة البسيطة»، والتي سُميت هكذا لحرفية النقل عن العبرية، وذلك لتمييز كتابة الإسترانجيلو من «الكتابة المربعة» التي إستعملها اليهود في تدوين أسفارهم.

بعد الإنشقاق الذي وقع في القرن الخامس للميلاد بين صفوف السريان إلى يعاقبة ونساطرة، وهروب النساطرة من البيزنطيين إلى بلاد

فارس، تفرّع عن كتابة الإسترانجيلو كتابتان: «كتابة السِّرْطا» (و تعرف اليوم بإسم «كتابة السِّرْطو») التي يستعملها اليعاقبة، و«الكتابة النسطورية».

من الجدير بالذكر أنه لم يكن لكتابة الإسترانجيلو نظام حركات لتشكيل الكلمات وضبط الأصوات، وأن اليعاقبة إستعاروا عن اليونانيين أحرفهم الصوتية لضبط أصوات لغتهم.

الأبجدية العربية الشمالية

إن الأبجدية العربية الشمالية، أبجديتنا الحالية، هي آخر الأبجديات السامية ظهوراً، إشتقها عرب الشمال من أبجدية إخوانهم الأنباط، الذين إشتقوا أبجديتهم من الأبجدية الآرامية القديمة، وذلك في القرن الخامس الميلادي.

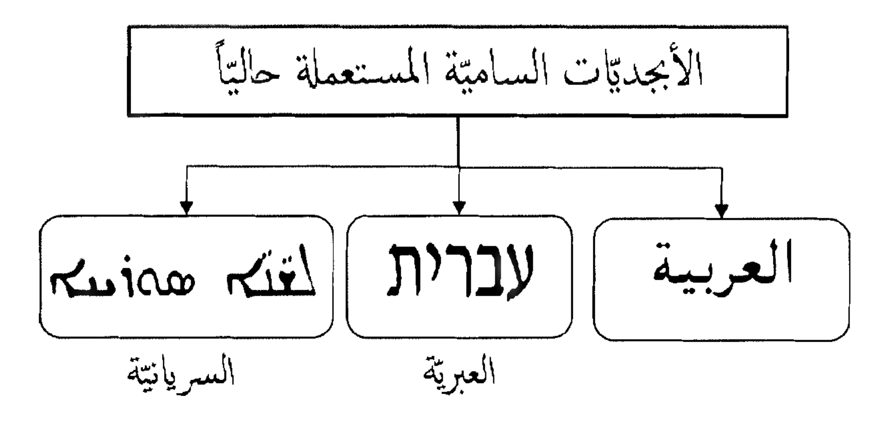
كانت الأبجدية العربية تتبع ترتيب أبجد هوز، إلاّ أن إضافة نظام الإعجام إليها في القرن السابع للميلاد أدّى إلى تغيير ترتيبها إلى الترتيب الحالي. وقد إحتفظ العرب بالترتيب الأول الذي إستعملوه في حساب الجمل المعمول به في سائر الأبجديات السامية المستعملة اليوم (أ = ١، ب = ٢، ج = ٣، د = ٤، هـ = ٥... الخ). الأبجدية العربية الشمالية هي الأبجدية السامية الوحيدة التي إستعملت حروف العلّة للدلالة على الحركات الطويلة بإضطراد لأن ذلك نادر في العبرية والسريانية اللتين لم تكونا تثبتان الحركات الطويلة كتابةً إلا نادراً. أما الحركات القصيرة، وهي الفتحة والضمة والكسرة، بالإضافة إلى علامة السكون والشدّة، فقد أضيفت في القرن السابع أيضاً ليتم بذلك تطوير

الأبجدية العربية نهائياً، وهو ما أوحى لليهود والسريان بتطوير أبجدياتهم المستعملة نهائياً أيضاً، فأخذوا عن العرب نظامَي النقاط والحركات.

الأبجدية العربية أكثر الأبجديات السامية إنتشاراً، وهي أكثر الأبجديات إنتشاراً في العالم بعد الأبجدية اللاتينية، وأن حروفها إتخذت أشكالا كثيرة حسب موقعها من الكلام. طوّر العرب فن الخط العربي ليصبح من أهم الفنون الإسلامية.

ܟ ܟ	ܝ	ܛ	ܚ	ܙ	ܘ	ܗ	ܕ	ܓ	ܒ	ܐ
ܟܦ	ܝܘܕ	ܛܝܬ	ܚܝܬ	ܙܝܢ	ܘܐܘ	ܗܐ	ܕܠܬ	ܓܡܠ	ܒܝܬ	ܐܠܦ
kap	yodh	téith	héith	zâyn	waw	he	dalâth	gamâl	béith	alâp
k, k̲/kh	y	t	h	z	w	h	d, d̲/dh	g, ğ/gh	b, b̲/bh	'
[k, x]	[j]	[ŧ]	[ħ]	[z]	[w]	[h]	[d, ð]	[g, ɣ]	[b, v]	[ʔ]
20	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
ܬ	ܫ	ܪ	ܩ	ܨ	ܦ	ܥ	ܣ	ܢ ܢ	ܡ ܡ	ܠ
ܬܘ	ܫܝܢ	ܪܝܫ	ܩܘܦ	ܨܕܐ	ܦܐ	ܥܐ	ܣܡܟܬ	ܢܘܢ	ܡܝܡ	ܠܡܕ
taw	sheen	résh	qop	sadhé	pé	'ain	simkâth	nun	meem	lamâdh
t, t̲/th	sh	r	q	s	p, p̄/ph	'	s	n	m	l
[t]	[ʃ]	[r]	[q]	[sˤ]	[p, f]	[ʕ]	[s]	[n]	[m]	[l]
400	300	200	100	90	80	70	60	50	40	30

كتابة الإسترانجيلو



الكتابات الحاميّة

الكتابتان الحاميتان الوحيدتان هما الكتابة الهيروغليفية وكتابة التيفيناغ.

كتابة التيفيناغ

كتابة التيفيناغ هي الكتابة التي دُوّنت فيها النقوش الأمازيغية القديمة في المغرب الكبير. توحي التسمية (تيفيناغ = الكتابة الفينيقية) بأن الأمازيغ أخذوها عن الفينيقيين في قرطاجة وهي كبرى مستعمرات الفينيقيين في المغرب العربي الكبير. يحاول اليوم بعض الناشطين الأمازيغ إحياء كتابة التيفيناغ.

الكتابة الهيروغليفية

ظهرت اللغة الهيروغليفية لأول مرة بعد المسمارية بفترة بسيطة. وكلمة هيروغليفية تعني بالإغريقية نقش مقدّس. في هذه الكتابة إستخدمت الرموز لتعبّر عن أصوات أوليّة. أخذت الهيروغليفية صورها من الصور الشائعة في البيئة المصرية. وكانت تضم الأعداد والأسماء وبعض السلع. وفي عصر الفراعنة إستعملت الهيروغليفية لنقش وزخرفة النصوص الدينية على جدران القصور والمعابد والمقابر وسطح التماثيل والألوح الحجرية المنقوشة والألواح الخشبية الملونة. وظلّت الهيروغليفية متداولة حتى القرن الرا بع ميلادي. ظهرت الهيراتيكية كنوع من الكتابة لدى قدماء المصريين، وهي مشتقة من الهيروغليفية ولكنها مبسّطة ومختصرة، ومؤهلة للكتابة السريعة للخطابات والوثائق الإدارية والقانونية. كانت هذه الوثائق تكتب بالحبر على ورق البردي. وظلّت هذه

اللغة سائدة بمصر حتى القرن السابع ق. م. بعدما حلت اللغة الديموتكية مكانها.

أبجديات من أصول آرامية

إشتقت الأبجدية الآراميّة من الأبجدية الفينيقية، وطوّرها الآراميون في القرن العاشر قبل الميلاد.

من الجدير بالذكر أن الأبجدية الآرامية القديمة إنتشرت إنتشاراً كبيراً في الشام والعراق (بعد سقوط الدولة الآشورية في القرن السادس ق. م.)

أول من إستعملها هم أصحابها الآراميون، ثم أخذها عنهم السامريون في القرن الثامن قبل الميلاد وعدّلوها تعديلاً طفيفاً ودونوا فيها بعض نقوشهم القديمة؛ ولذلك تسمى هذه الأبجدية أحيانا بالأبجدية السامرية وهذه التسمية غير دقيقة. ثم إستعمل العبرانيون في القرن الثامن قبل الميلاد أيضاً هذه الأبجدية الآرامية/السامرية ودوّنوا بها بعض نقوشهم القديمة؛ ولذلك تسمّى هذه الأبجدية أحيانا بالأبجدية العبرية القديمة، وهذه التسمية غير دقيقة أيضاً. فهذه الأبجدية التي إستعملها الآراميون والسومريون والعبرانيون هي الأبجدية الآرامية القديمة.

يبدو أن الأحرف الآرامية (السورية القديمة) هي أساس أهم أبجديات آسيا. ففي القرن السابع قبل الميلاد، إعتمدت الدولة الفارسية الأحرف الآرامية كأحرف رسمية. ومن الآرامية تطوّرت الأبجديات الأسيوية:

١ ـ **الأبجديه العبرية**: إنطلقت العبرية الحديثة من العبرية القديمة والتي تعتبر من تشكيل للأحرف الآرامية المحلية.

٢ ـ **الأبجدية العربية**: تطورت الأبجدية العربية الحديثة عن الآرامية عن طريق الأبجدية النبطية التي إزدهرت في جنوب الأردن.

٣ ـ **الأبجدية السريانية**: تطورت الأبجدية السريانية من الآرامية بعد القرن الثالث الميلادي.

٤ ـ **الأبجدية الجورجية**: لايوجد أي توثيق للغة الجيورجية إلاّ أن لها خصائص من الفارسية الآرامية وبعض ملامح الإغريقية.

٥ ـ **أبجدية البراهمة**: جذورها تعود إلى الآرامية وهي تستعمل في شبه القارة الهندية ومنها إنتشرت إلى التيبت ومنغوليا والهند والصين وأرخبيل الملايو مع إنتشار الديانة البودية.

اللغة العربيّة

- الأبجديّة العربيّة
  - اللغة العربيّة
    - لهجات لغة المسند
    - العرب الأنباط
    - الأبجديّة العربيّة
    - الحميريّة
    - الثموديّة
    - الصفائيّة
    - العربيّة الشماليّة
    - لهجات الجزيرة العربيّة
    - تطوّر اللغة العربيّة
    - خصائص اللغة العربيّة

الخط العربي

- تسميات الخطوط العربيّة
- الكوفي
- الثلث
- النسخ
- الإجازة والتوقيع
- التعليق
- الفارسي
- الديواني
- الطغرا
- التاج
- الرقعة
- المغربي
- المسلسل
- النستعليق

الأبجديّة العربيّة

الكتابة والأبجدية العربية جاءت متأخرة بعض الوقت عن باقي الأبجديات لعدم إهتمام العرب بالكتابة في عصر الجاهلية وذلك لأن معظم القبائل العربية كانت من البدو ولم يكونوا بحاجة إلى ثقة بالكتابة. لكن بعد نزول القرآن الكريم ودخول الإسلام الجزيرة العربية أخذت الكتابة العربية مكانها بين القبائل وبالأخص عندما قرر الخلفاء الراشدون تدوين القرآن الكريم وكان ذلك في عهد الخليفة عثمان بن عفّان. مع إنتشار القرآن الكريم والدعوة الإسلامية في عموم الأقطار، إنتشرت الكتابة العربية إنتشارا واسعا، كما إستعملت في لغات عديدة غير العربية منها الفارسية والأفغانية والباكستانيّة والتركية.

الأبجدية العربية في الأصل مشتقّة عن الكتابة الساميّة التي إشتقت بدورها من الأبجدية الفينيقية التي تألفت أصلا من ٢٢ حرفا هجائيا ووصلت إلى العرب عن طريق الأنباط الذين سكنوا شمال الجزيرة العربية في بترا وتدمر.

تُكتب الحروف العربية من اليمين إلى اليسار، بنمط يعتمد على وصل حروف الكلمة الواحدة ببعضه. تشمل هذه الأبجدية ٢٨ حرفا أساسيا. تعتبر بعض الحركات الصوتية جزءا من الأبجدية العربية أيضاً لأنه يُشار إلى هذه الحركات برموزٍ إختيارية.

نشأتها:

هنالك العديد من الآراء والروايات حول أصل العربية لدى قدامى اللغويين العرب، فيذهب البعض إلى أن يعرب كان أول من أعرب في لسانه وتكلم بهذا اللسان فسميت اللغة بإسمه. وورد في الحديث الشريف أن نبي الله إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام أول من فُتق لسانه بالعربية المبينة، وهو إبن أربع عشرة سنة بينما نَسِي لسان أبيه. أما البعض الآخر فيذهب إلى القول أن العربية كانت لغة آدم في الجنة، إلا أنه لا وجود لبراهين علمية أو أحاديث نبوية ثابتة ترجح أي من تلك الإدعاءات.

كانت مكة منذ عهود قبل الإسلام بيئة مقدسة يفد إليها العرب من كل النواحي ليحجّوا إليها. أدّى هذا إلى إجتماع فرق كثيرة من العرب في هذه المدينة واختلطوا بأهلها؛ ومن هذا الإختلاط نشأ ما يسمى باللغة المشتركة. هذه القبائل لم تفد إلى مكة للحج والعبادة فقط وإنما ليشهدو ا كذلك تلك الأسواق التي تقام حول مكة للبيع والشراء وكانت تعقد في تلك الأسواق ندوات ادبية للخطباء والشعراء. في هذا المحيط وتلك الظروف نبتت البذرة الأولى للغة مشتركة بين هؤلاء القبائل وقد حملت هذه الوفود تلك اللغة المشتركة إلى مواطن قبائلها فإنتشرت في أنحاء الجزيرة العربية. وقد إزدهرت هذه اللغة نموا وإزدهارا بنزول القرآن الكريم.

بعض العلماء نسب الصفة العربية إلى مدينة «عربة» في بلاد تهامة، وقيل إنها نسبة إلى يعرب بن يشجب بن قحطان وهو أبو العرب العاربة، وأول من تكلّم العربية على صورتها المعروفة. وقيل أيضًا أنهم

سمّوا كذلك نسبة إلى فصاحة لسانهم في الإعراب، وقد وردت تسمية «العربية» منذ منتصف القرن التاسع قبل الميلاد، إذ وردت في نصوص شلمنصر الثالث الآشوري.

لو إعتمدنا المنهج العلمي وعلى ما توصلت إليه علوم اللسانيات والآثار والتاريخ فإن اللغة العربية، بجميع لهجاتها، إنبثقت من مجموعة من اللهجات التي تسمى بلغات شمال الجزيرة العربية القديمة. أما لغات جنوب الجزيرة العربية فتختلف عن اللغة العربية الشمالية التي إنبثقت منها اللغة العربية، ولا تشترك معها إلا في كونها من اللغات السامية. وقد كان علماء المسلمين المتقدمين يدركون ذلك حتى قال أبو عمرو بن العلاء ٧٧٠ م: «ما لسان حِمير بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا».

كانت الكتابة في الأبجدية العربية تُكتب بلا تنقيط أو ترميز بالحركات الصوتية ونحوها، حتى حصل الفتح الإسلامي ودخل العرب في الدين الجديد مع غيرهم، فارتأبو الأسود الدؤلي، بعد مشورة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، أن يضع قواعد الكلام، ووضع الحركات كمعين لمعرفة أحوال الكلام العربي بين الرفع والنصب والخفض والجزم من جهة الإعراب.

في القرن الثاني الهجري وضع الخليل بن أحمد طريقة أخرى، بأن جعل للفتحة ألفًا صغيرة مُضطجِعة فوق الحرف، وللكسرة ياءً صغيرة تحته، وللضمَّة واوًا صغيرة فوقه، وكان يُكرِّر الحرف الصغير في حالة التنوين، ثم تطوَّرت هذه الطريقة إلى ما هو شائع اليوم.

أما إعجام الحروف، فتمَّ في زمن عبد الملك بن مروان، وقام به نصر بن عاصم الليثي ويحيى بن يَعْمُر العَدْواني، كما قاما بترتيب

الحروف هجائيًّا حسب ما هو شائع اليوم، وتركا الترتيب الأبجدي القديم «أبجد هوَّز».

ثم جاء زمن الحجاج بن يوسف فرأى أيضًا خلط العجم في القرآن، وكان متقنا للقرآن والعربية، فأمر العلماء بإحصاء آيات القرآن وحروفه ثم وضع التنقيط المعروف مع إختلاف بين تنقيط أهل المشرق وأهل المغرب وهو لا يكاد يذكر.

صنّف علماء الآثار النقوش العربية الشمالية القديمة المكتشفة حتى الآن إلى أربع مجموعات هي الحسائية (نسبة إلى الأحساء) والصفائية والديدانية والثمودية.

أبرز ما يميّز هذه اللهجات عن اللغة العربية إستخدامها أداة التعريف «هـ» أو «هنـ» بدلاً من «الـ». يعود تاريخ أقدمها إلى عدة قرون قبل الميلاد.

أقدم النقوش باللغة العربية بطورها المعروف الآن هما:

- نقش عجل بن هفعم الذي عثر عليه في قرية الفاو (قرب السليل)، وقد كتب بخط المسند ويعود إلى القرن الأول قبل الميلاد.
- نقش عين عبدات في صحراء النقب، الذي يعود تاريخه إلى القرن الأول أو الثاني بعد الميلاد، وقد كتب بالحرف النبطي.

من أشهر النقوش العربية نقش النمارة الذي إكتشف في الصحراء السورية، وهو نص مؤرخ بتاريخ ٣٢٨ م ومكتوب بنوع من الخط النبطي القريب من الخط العربي الحالي، وهو عبارة عن رسم لضريح ملك الحيرة إمرئ القيس بن عمرو وُصف فيه بأنه «ملك العرب».

لم يُعرف على وجه الدقة متى ظهرت كلمة العرب؛ وكذلك جميع المفردات المشتقة من الأصل المشتمل على أحرف العين والراء والباء، مثل كلمات: عربية وأعراب وغيرها. أقدم نص أثري ورد فيه إسم العرب هو اللوح المسماري المنسوب للملك الآشوري شلمانصر الثالث في القرن التاسع قبل الميلاد، ذكر فيه إنتصاره على تحالف ملوك آرام ضده بزعامة ملك دمشق، وأنه غنم ألف جمل من جنديبو من بلاد العرب. ويذكر البعض من علماء اللغات أن كلمة عرب وُجدت في بعض القصص والأوصاف اليونانية والفارسية وكان يُقصد بها أعراب الجزيرة العربية. ولم يكن هناك لغة عربية معينة، لكن جميع اللغات التي تكلمت بها القبائل والأقوام التي كانت تسكن الجزيرة العربية سُميت لغات عربية نسبة إلى الجزيرة العربية.

اللغة العربية من اللغات السامية التي شهدت تطورًا كبيراً وتغيراً في مراحلها الداخلية. للقرآن الكريم فضل عظيم على اللغة العربية حيث بسببه أصبحت هذه اللغة الفرع الوحيد من اللغات السامية الذي حافظ على توهّجه وعالميته؛ في حين إندثرت معظم اللغات السامية، وما بقي منها عدا لغات محلية ذات نطاق محدود مثل العبرية، والحبشية. اللغة العربية يتكلم بها الآن قرابة ٤٢٢ مليون إنسان كلغة أم، كما يتحدث بها من المسلمين غير العرب قرابة العدد نفسه كلغة ثانية.

فصل اللغويون اللغة العربية إلى ثلاثة أصناف رئيسية:

- التقليدي أو العربي القياسي: العربي التقليدي هو الشكل للغة العربية الذي يوجد بشكل حرفي في القرآن، من ذلك اسم الصنف. العربية القرآنية استعملت فقط في المؤسسات الدينية وأحياناً في

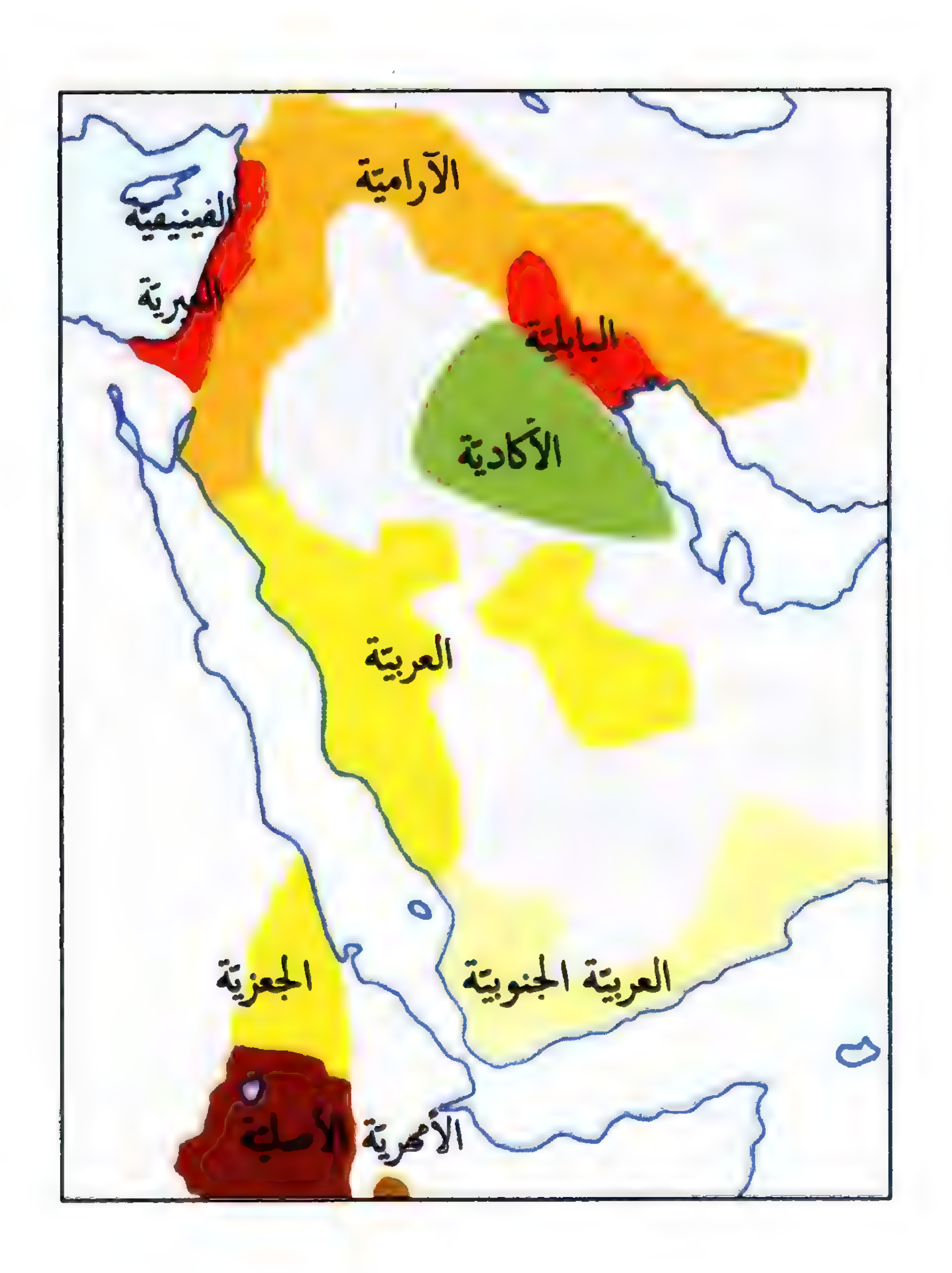
التعليم، لكن لم تتكلّم عموماً.

- الرسمي: هي اللغة الرسمية في الوطن العربي وهي مستعملة في الأدب غير الديني.
- المنطوقة أو لغة عربية عامية: يتكلّمها أغلبية الناس كلهجتهم اليومية. العربية العامية مختلفة من منطقة إلى منطقة، تقريبا مثل أيّة لهجة مماثلة لأيّة لغة أخرى.

أما أحدث النظريات التي بحثت نشأة اللغة العربية فهي النظرية التي قدّمها اللغوي عبد المنعم المحجوب في كتابه «ما قبل اللغة: الجذور السومرية للّغة العربية واللغات الأفرو ـ آسيوية»، في عام ٢٠٠٨، حيث إفترض وجود لغة أفرو ـ آسيوية متوالية تبدأ من السومرية وتنتهي بالعربية. وقد قام بتتبّع التغيرات الصوتية التي أصابت سلسلة الألسن الأفروآسيوية، باللجوء إلى مقارنة أساسية بين السومرية والعربية. وبالرغم من الفكرة السائدة عن عزلة اللغة السومرية إلاّ أن الباحث لجأ إلى تفكيك الجذور العربية ليثبت أنها تتكون من مقاطع سومرية، ولكن غلبت عليها السِمة الجذريّة فذابت تلك المقاطع في التلفظ العربي للكلمات. هذه الدراسة لم تتعرّض بعد للفحص والدراسة وليس هنالك دراسات أخرى مشابهة لها.

الإعتقاد بأن الأبجدية النبطية تحولت إلى العربية كما يلي:

- ما بين قرني السادس والخامس ق. م هاجرت القبائل السامية إلى الشمال وأنشأوا مملكة تمركزت حول بترا، الموجودة حاليا بالأردن. ويسمى هؤلاء الناس بالأنباط نسبة إلى إسم قبيلتهم (نبطو)، ويعتقد بأنهم كانوا يتكلمون أحد أشكال اللغة العربية.


الآراميّة
الفينيقيّة
البابليّة
الأكاديّة
العربيّة
الجعزيّة
العربيّة الجنوبيّة
الأمهريّة

- في القرن الثاني الميلادي تم تسجيل ظهور أولى أشكال الأبجدية النبطية المكتوبة داخل اللغة الآرامية (و التي كانت لغة الاتصال والتجارة)، ولكن كان بها بعض خصائص اللغة العربية: فالأنباط لا يكتبون اللغة التي ينطقونها. فهم يكتبون بأبجدية أرامية والتي هي في طور التطور، وقد إنقسمت إلى قسمين: إحداهما أعدت للنقوش التي على النصب النبطية الضخمة، والأخرى للأحرف السلسة والمتصلة وللكتابة السريعة، والموجودة على أوراق البردي. وقد أثرت تلك الكتابة السلسة على الكتابة الضخمة شيئاً فشيئا حتى تحولت تدريجيا إلى الأبجدية العربية.

خَطَت العربية خطواتها الأولى نحو العالمية في الثلث الأخير من القرن الأول الهجري، وذلك حين أخذت تنتقل مع الإسلام إلى المناطق المحيطة بالجزيرة العربية. وفي تلك الأمصار أصبحت العربية اللغة الرسمية للدولة، وأصبح إستخدامها دليلاً على الرُّقي والمكانة الإجتماعية. وظلَّت لغة البادية حتى القرن الثاني الهجري الحُجَّة عند كلِّ اختلاف. وكان من دواعي الفخر للعربي القدرة على التحدُّث بالعربية الفصحى كأحد أبناء البادية. أما سُكان الأمصار الإسلامية، فقد بدأت صلتهم بلغاتهم الأصلية تضعف شيئًا فشيئًا، وأخذ بعضهم يتكلَّم عربية مُوَلَّدة متأثِّرة باللغات الأم. وقد كانت منطقة الشام أُولى المناطق تعرُّبًا. ويُلاحَظ إختلاف لهجات أهل الأمصار في العربية تبعًا لإختلاف القبائل العربية الوافدة، ومن هنا كان إختلاف لهجات الكوفة والبصرة والشام والعراق ومصر بعضها عن بعض.

قبيل نهاية العصر الأُموي، بدأت العربية تدخل مجال التأليف

العلمي بعد أن كان تراثها مقصورًا على الشِعْر والأمثال والقصص ويجري على ألسنة الرُّواة.

المُسنَد

كلمة المسند في اللغة العربية تعني «المُدعم». أمّا في مجال الأشكال الحرفية والكتابة فهي تعني العمودي أو الشاقولي. وقد كُتب المسند، مثله مثل الآرامية والفينيقية، بحروف منفصلة وبأشكال موحدة عموما للحرف. ورغم تعدد إتجاهات كتابته إلاّ أن الإتجاه الغالب كان من اليمين إلى اليسار. وكما كان الحال بعد قرون من إستخدام الأبجديات الآرامية، شهد المسند العديد من الأبجديات المشتقة. كان أبرزها اللحياني، والصفوي، والثمودي.

لقد كشفت نقوش المسند للقرن الثالث الميلادي أشكال حرفية موصولة لدرجة عالية مما يبين بوضوح مرونة وتأقلم كتابة المسند. فقد إستخدمت هذه الكتابة الموصولة في اليمن، والمعروفة بإسم المسند الشعبي، في تدوين الوثائق اليوميه على الألواح الخشبيه. أما المسند الرسمي فقد إستخدم أساسا للكتابة على القطع الصخرية.

كان اليمن دوما عمق عرب الجزيرة الحضاري ومركزهم التقليدي. فعندما أراد النبي محمد (صلعم) في عام ٦١٥ م حماية أتباعه من إضطهاد قادة مكة، أمرهم بالتوجه جنوبا نحو اليمن والحبشة. وكما أن اليمن كان، ولا يزال، مرجعية الأنساب العربية، كانت أبجدية المسند مرجعيتهم الأبجدية أيضاً، أينما إستقروا. فعرب الجنوب لم يحملوا شمالا لغتهم وآلهتهم فقط وإنما حروفهم أيضا.

من المسند إلى الجزم

يعتقد الكثير أن الحروف العربية كانت قد إستعملت للمرة الأولى في منطقة الأنبار والحيرة في العراق وكلاهما كانا تحت السيطرة الساسانية خلال تلك الفترة. العديد من الكتاب يتحدث عن الخط الكِندي في الحيرة إلى جانب خط الجزم في الحجاز. حتى أن غالبية النظريات التي استعرضها ابن النديم أدرجت أسماء عربية سبقت الإسلام من هذه المنطقة على أنها أسماء المصممين الأوائل للأبجدية العربيه القديمة.

من الشائع اليوم ان بُشر بن عبد الملك الكِندي، ويعتقد أنه من المسيحيين العرب، كان أول من جلب خط الجزم إلى مكة. وبُشر هو شقيق الأكيدر، أحد قادة مدينة دومة الجندل التاريخية قرب مدينة سكاكة شمال المملكة العربية السعودية، والواقعة ٣٢٠ كم جنوب غرب الحيرة. دومة الجندل هي أقدم مدينة عربية شمالية حيث يعود تاريخها إلى القرن العاشر قبل الميلاد. وقد كانت في ذلك الوقت، بين القرنين السادس والسابع الميلاديين، عاصمة مملكة كِندة العربية.

لابد ان يكون لكلمة الجزم، ككلمة المسند، معنى مرتبط مباشرة بأشكالها الحرفية. وقد جاءت العديد من القصائد الشعرية قبل الإسلام على ذكر الإثنين. ويعني الفعل «جزّ» في اللغة العربية «قُطع من» بما يشير إلى أن سبب إستخدام كلمة الجزم كان للإشارة إلى أن الكتابة الجديدة مقطوعة من كتابة ثانية وذلك عبر تبسيطها وإختزال عدد أشكالها الحرفية. وهذا بالضبط ما قام به الجزم عند مقارنته بالمسند.

كانت عملية تطور أبجدية الجزم عملية مستمرة إمتدت على مدى عدة قرون. النقوش المبكرة قبل وبعد ظهور الإسلام شملت أشكالا

متصلة ومنفصلة لنفس الحروف. فالجزم لم يستقر بأشكاله الراهنة حتى ظهور الخط الكوفي. وبالمناسبة، رغم أن هذا الخط سمي بعد مدينة الكوفه في العراق، إلاّ أن نقوش مؤرخة إلى ٤ هجري (٦٢٥ ميلادي) أظهرت أنه إستخدم أولاً في المدينة المنورة. إبن النديم (٩٢٩ ـ ٩٩٦ ميلادي)، وهو مؤرخ ومكتبي ولد في بغداد في أوائل القرن الثاني للخلافة العباسية وتوفي بها. وقد كان لديه إطلاع مباشر على محتويات المكتبات الرئيسية في عهده، بما في ذلك المخطوطات النادرة في مكتبة قصر الخليفة المأمون. أما والده فقد كان تاجر كتب ناجح. في مقدمة كتابه، الفهرست، وهو فهرس موسوعي ضم الآلاف من الكتب والمؤلفين في عصره، إستعرض إبن النديم النظريات المتعددة لأصل الكتابة العربية. هذه النظريات، رغم إختلافاتها في التفاصيل، إتفقت على ما يبدو، أن العربية الحديثة تطورت في مناطق القبائل العربية الشمالية، وخاصة في الحيرة والأنبار.

كتب إبن النديم أن «الحميريين إستخدموا في كتابة المسند، أشكالاً متعددة، لحروف الألف والباء والتاء». والحميريين هم سكان اليمن القدماء؛ و أضاف قائلاً أن «أول خط عربي كان خط مكة، ثم المدينة، ثم البصرة، ثم الكوفة. إذ أن الأليف في خطوط مكة والمدينة كتبت باستدارة اليد نحو اليمين وتطويلها أفقيا، وذلك بما جعلها مائلة قليلا».

ثم أعطى مثالا توضيحيا لذلك:

قال إبن النديم: «أول من كتب بالعربية ثلاثة رجال من بولان، وهي قبيلة؛ سكنوا الأنبار، وأنهم إجتمعوا فوضعوا حروفاً مقطّعة

وموصّلة، وهم: مُرامِر بن مرة، وأسلم بن سِدْرة، وعامر بن جَدْرَة».

و قال: «وسئل أهل الحيرة ممن أخذتم العربي فقالوا من أهل الأنبار.....»..

وأضاف: «قرأت في كتابة مكة لـعمر ابن شبه وبخطه: أخبرني قوم من علماء مصر قالوا: الذي كتب هذا العربي الجزم رجل من بني مخلد بن النضر بن كنانة، فكتبت حينئذ العرب».

هذا النص يلفت النظر، ففيه أولاً: ورود كلمة «الجزم»، يعني هذا أن العرب إقتطعوا وإختزلوا حروف الخط المسند اليمني، وإستنبطوا منه الأبجدية العربية، لعل إبن خلدون كان أوضح الكتّاب العرب في بيان الصلة بين الخط الحميري والخط العربي حينما قال: «وقد كان الخط العربي بالغاً مبالغه من الإحكام والإتقان والجودة في دولة التبابعة، لما بلغت من الحضارة والترف، وهو المسمى بالخط الحميري، وإنتقل إلى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر نسباء التبابعة في العصبية، والمجددين لملك العرب بأرض العراق....».

يمكن في الواقع أن نعتبر منشأ الخط العربي ناتجاً من تحوير وإختزال الخط المسند.

أبجدية المسند العربية كما عرضها إبن النديم (توفي عام ٩٩٠ ميلادي) في كتابه الفهرست، رتبت الحروف وفق تسلسل الحجاز وتهامة القديمين وهو مشابه للتسلسل المستخدم اليوم في القواميس.

إعتقدت عدة شخصيات إسلامية مهمة أن الجزم مشتق من المسند. من بين هؤلاء إبن خلدون والقلقشندي. فقد ذهب كلاهما إلى أن الجزم عُرف اولا في اليمن باسم «الخط الحميري» قبل انتقاله إلى الحيرة والأنبار في العراق ومن ثم إلى مكة.

حتى يومنا هذا، تم إكتشاف سبعة نقوش للجزم فقط لفترة ما قبل ظهور الإسلام. وقد عثر على أقدمها قرب جبل الرمّ إلى الشرق من العقبة. ويرجع تاريخه إلى العام ٣٢٨ ميلادي. أما النقوش التالية في القدم فهي النقشان المكتشفان في سكاكة، شمال المملكه العربية السعودية. ويعودان إلى القرن الرابع أو اوائل القرن الخامس الميلاديين. من المحتمل أن يكون النقش الثاني في القدم هو نقش أم الجمال العربي المكتشف جنوب دمشق، رغم اعتقاد المؤرخين من انه يعود إلى القرن الخامس الميلادي.

ṯ	ṣ	n	h	ḫ	ġ	z	f	s²	s³	t	q	ḍ	ʾ
k	s¹	b	ʿ	l	y	m	r	g	w	ḥ	ṭ	d	ḏ

المسند القديم

ḏ	m	l	k	y	t	ḥ	z	w	ḫ	h	d	g	b	ʾ
	t	g	ṯ	r	q	s	f	ʿ	z	s³	s²	s¹	z	n

الشكل الجديد لخط المسند عام ٦٠٠ ق. م

	نبطي	عربي جزم	عربي مسند: صفوي	ثمودي	لحياني	سبأي	متصل
ا							
ب							
ت							
ث	N/A						
ج							
ح							
خ	N/A						
د							
ذ	N/A						
ر							
ز							
س							
ش							
ص							
ض	N/A						
ط							
ظ	N/A						
ع							
غ	N/A						
ف							
ق							
ك							
ل							
م							
ن							
ه							
و							
ي							

جدول بأشكال حروف المسند بتعدد فروعه وأشكال حروف الجزم الأولى، كما كشفتها النقوش الحديثة، إلى جانب الأشكال النبطية. أشكال المسند بأشكالها المدونة على يد علماء العهد العباسي، ابن النديم والهمذاني، المرفقة اعلاه.

كُتب أقدم نقشين بالعربية بعد ظهور الإسلام بالخط الكوفي وهما يعودان إلى العام الرابع الهجري (٦٢٥ ميلادي). وقد تم إكتشاف النقشين في مغارات جبلية في المدينة المنورة. وكذلك من العقد الهجري الأول لدينا رسالتين من النبي محمد (صلعم)، ويقال أنهما كتبا بخط الإمام علي بن أبي طالب (ع). أحدهما للمنذر بن ساوي ملك البحرين والإحساء، والأخرى لهرقل (هراكيولس) إمبراطور الروم. وقد شملت هاتان الرسالتان أشكال حرفية قيمة، مثل حرفي العين والهاء، بما يمكننا إستخدامها لتسليط الضوء على جذور الأشكال الحرفية العربية الأولى. من المعتقد اليوم ان النبي محمد (صلعم) كان قد أرسل خمسة إلى ثمانية رسائل لقادة المناطق المجاورة.

الخلاصة

كانت أبجدية الجزم العربية في قرونها الأولى، على الأغلب، نسخة محلية لأبجدية المسند الموصولة الحروف المستخدمة بين القبائل العربية الشمالية. من الواضح أن المسند لم يبق ثابتا عبر القرون الطويلة، بينما تطورت أشكال أبجدياته الشقيقة، الآرامية والفينيقية، إلى مجموعة متنوعة من الأبجديات المشتقة. نظرا لطبيعتها البدوية، كانت القبائل العربية الشمالية قد تعرضت للعديد من الأبجديات المجاورة وتأثرت بها. ورغم أن اشكال حروف الجزم كانت مستقرة نسبيا قبل ظهور الإسلام، إلا انه ومن الواضح أن دورة تطورها كانت دورة طويلة لأنها لم تكن مستخدمة رسمياً في أروقة دولة مركزية.

تجاذبت عربية الجزم البدائية لفترة طويلة مع أبجدية المسند

والأبجديات الآرامية الأكثر تطورا والمنتشرة حولها.

ليس واضحاً بعد من هي القبائل العربية الشمالية التي إستخدمت الجزم أولا.

مما لاشك فيه، كان لظهور مكة قبل الإسلام كمركز بارز للتجارة والعبادة في الجزيرة العربية دوراً رئيسيا في إنتشار الجزم حتى أنه أصبح معروفا بالخط الحجازي.

ربما كان عرب الحيرة والأنبار هم من إبتدع أبجدية الجزم. أو ربما كانوا هم من طوّرها وحسّنها عبر إدخال منحنيات وإيقاعات شكلية سلسة لإحتكاكهم بأبجديات بلاد ما بين النهرين إبان القرون الساسانية. كتابة المسند لم تتطور إلى أشكالها النهائية المستقرة حتى ظهور الخط الكوفي وبعد أن أصبحت الأبجدية الرسمية والدينية للدولة الإسلامية.

كانت أبجدية الجزم العربية القديمة نظاما كتابيا ذو أشكال حرفية مرنة وقوية. ولأنها نتاج بيئة مختلطة ومتضمنة لأشكالا حرفية قريبة للمسند والأرامية في آن واحد، تطورت أبجدية الجزم سريعا بعد الإسلام لتصبح قوة هامة في توحيد أوصال الجزيرة العربية وشمال أفريقيا وبلاد فارس. وبعد قرنين من الإسلام، وهي فترة وجيزة نسبيا، أصبحت الكتابة العربية كتابة عالمية ذات تقاليد خطية غنية.

كان العرب يكتبون قديما في أكتاف الإبل، وفي العُسُب وهو جريد النخل يكشفون الخوص عنه ويكتبون في الطرف العريض منه كما كانوا يكتبون في اللخاف وهي الحجارة البيضاء الدقيقة، ويكتبون أحياناً في الجلد وقطع الخزف وألواح الخشب، وفي القرطاس المصري أي البردي.

في القرن الثاني الهجري وضع الخليل بن أحمد طريقة أخرى، بأن جعل للفتحة ألفًا صغيرة مُضطجِعة فوق الحرف، وللكسرة ياءً صغيرة تحته، وللضمَّة واو صغيرة فوقه، وكان يُكرِّر الحرف الصغير في حالة التنوين. ثم تطوَّرت هذه الطريقة إلى ما هو شائع اليوم.

أما إعجام الحروف (تنقيطها) فتم في زمن عبد الملك إبن مروان، وقام به نصر بن عاصم الليثي ويحيى بن يَعْمُر العَدْواني، كما قاما بترتيب الحروف هجائيًّا حسب ما هو شائع اليوم، وتركا الترتيب الأبجدي القديم (أبجد هوَّز).

لهجات لغة المُسند في الجزيرة العربية

١ ـ لهجات جنوب الجزيرة العربية:

١ ـ لهجة المعينية: لهجة شعب منطقة الجوف باليمن قبل القرن ١٥ ق. م.

٢ ـ اللهجة السبئية: لهجة شعب شرق اليمن ما بين القرنين ١٥ قبل الميلاد

و٥ بعد الميلاد.

٣ ـ اللهجة الحضرميَّة: لهجة شعب جنوب شرق الجزيرة العربية وما زال هذا الشعب يسكنها.

٤ ـ اللهجة القتبانيَّة: لهجة الشعب القتباني الذي كان يسكن منطقة شرق اليمن التي تعرف اليوم بـ«بيحان».

٢ ـ لهجات شمال الجزيرة العربية:

١ ـ المعينيّة الشمالية: لهجة الشعب الذي نزح من جنوب اليمن في

عصور مبكرة وإستوطن واحة الدادان التي تسمّى حالياً «العلاء».

٢ ـ الدادانيّة: لهجة مملكة عربية قديمة قامت بالعلاء، شمال غربي الجزيرة العربيّة، وقد نشأت قبل القرن السادس.

٣ ـ اللحيانيّة: لهجة شعب اللحياني الذي كان يسيطر على الأرض الممتدة غربي النفود، من شمال يثرب إلى ما يحاذي خليج العقبة، من القرن الرابع ق. م حتى القرن الثاني بعد الميلاد.

٤ ـ الثموديّة: لهجة الشعب الثمودي الذي عاش شمال الجزيرة العربية، من الجوف شمالاً إلى الطائف جنوباً، ومن الإحساء شرقاً إلى يثرب وأرض مدين غرباً، وفي المسالك المؤدية إلى العقبة والأردن وسوريا، وحتى أرض حضرموت من جنوب الجزيرة العربية. من المحتمل أن يكون الشعب الثمودي يمثل السكان الأصليين لشمال الجزيرة العربية. ولعلَّ القرآن الكريم خصَّهم بالذكر لهذا السبب، دون ذكر اللحيايين والدادانيين والأنباط وغيرهم.

٥ ـ الصفويّة: نسبة إلى «الصفويين» العرب الذين أقاموا بجبل الصفا جنوب شرق دمشق، منذ القرنين الثاني والثالث ق. م

الأقوام الذين تكلموا العربية هم:

١ ـ العرب البائدة: هم قبائل طسم، وجديس، والعماليق، وأهل الحجر، وقوم هود وصالح عليهما السلام، وغيرهم. وهولاء لم يصل لنا شيء من أخبارهم.

٢ ـ العرب العاربة: هم القحطانيون ومن ينحدر منهم.

٣ ـ العرب المستعربة: هم أبناء إسماعيل العدنانيون.

بإنتشار الإسلام وحضارته إرتفعت مكانة اللغة العربية، وأصبحت

لغة السياسة والعلم والأدب لقرون طويلة في الأراضي التي حكمها المسلمون، وأثّرت العربية تأثيرًا مباشرًا أو غير مباشر على كثير من اللغات الأخرى في العالم الإسلامي، كالتركية والفارسية والأرديّة (الأورديّة).

يطلق العرب على اللغة العربية لقب «لغة الضاد»؛ ذلك لأنها الوحيدة بين لغات العالم التي تحتوي على حرف الضاد. وهي اللغة الرسمية في كل دول العالم العربي، إضافةً إلى كونها لغة رسمية ثانية في دول أخرى، مثل: السنغال، ومالي، وتشاد، وإريتريا. وقد إعتُمدت العربية كإحدى لغات منظمة الأمم المتحدة الرسمية الست.

العرب الأنباط

الأنباط هم قبائل عربية ظهرت لأول مرة في القرن السادس قبل الميلاد، في الصحراء الواقعة في شرقي الأردن، وقد قدمت من جنوب شرقي جزيرة العرب. نزلت هذه القبائل أولاً في سلع (البتراء) ثم إمتدت منازلها إلى حوران والشام وكانت بُصرى عاصمتهم.

قيل أنهم من نسل (بنايوط = بنايوت) بكْر إسماعيل بن إبراهيم، وقيل أنه كان لإسماعيل إثنا عشر ولدا ألفوا قبيلة، ونزل أكثرهم في نجد، أما ولده نابت (بنايوت) فسكن الحجاز مع جرهم. وقيل أن نابت هذا إستلم سدانة الكعبة.

وقيل أن أبا الأنباط لما رحل بهم نزلوا في جبل شُمّر في أواسط بلاد العرب، ولما داهمهم آشور بانيبال لجأوا إلى وادي عربة (الغور) ما بين البحر الميت وخليج العقبة.

الأنباط هم قبائل عربية رحلوا عن ديارهم في القصيم من نجد متجهين نحو الشمال الغربي، وأغاروا على بلاد آرام، وتأثروا كثيراً بحضارتها. كتب الأنباط بحروفها المشتقة من الخط الفينيقي الكنعاني ثم طوروا الخط الآرامي إلى ما صار يعرف بالخط النَّبطي، الذي إستقل وبعُدَ عن الخط الآرامي. إقتبس الأنباط عن الحضارة الآرامية ما يعرف بحساب الجمّل ولعل الآراميين إقتبسوا هذا الحساب من الفينيقيين.

كانت لغتهم الوطنية لهجة عربية شمالية؛ ويلاحظ في كتاباتهم الأثرية ذكر أسماء علي، وحبيب، وسعيد، وكلمات عربية أخرى مثل قبر وغيرها. وفي كتابات أثريّة عديدة يكاد النص كلّه يكون عربياً، مع أن الكتابة كانت بالحروف الأرامية. في حوالي منتصف القرن الأول قبل الميلاد أصبح للكتابة النبطية صفتها المميزة. يُستدل من دراسة الكتابات الأثرية العربية القديمة أن الأبجدية العربية إنحدرت مباشرة من الحروف النبطية.

ظلّ الأنباط حتى القرن الرابع قبل الميلاد رحّل يعيشون في الخيام، ويتكلمون العربية، ولا يهتمون بالزراعة. في القرن الثاني تركوا حياة الرعي وإستقروا وعملوا في الزراعة والتجارة؛ وبعدها، في أواخر القرن الثاني، تحولوا إلى مجتمع منظّم متطوّر.

ذكر المؤرخ اليوناني هيرودوت الأنباط وعدَّد بعض معبوداتهم، ومنها الإله أوراتول. أول تاريخ ثابت في عهد الأنباط هو عام ٣١٢ ق. م حين نجحوا في صدّ هجمات حملتين من سورية بقيادة انتيفونس أحد خلفاء الإسكندر الكبير. ثم أصبحت عاصمتهم محطة للقوافل عند ملتقى

طرق التجارة التي كانت تنقل اللبان والتوابل. هذا الملجأ الصخري دُعي البتراء قبل عهد الأنباط والتي كانت مدينة يلتجيء إليها الآدوميون، وكانت محفورة في قلب صخر رملي يظهر ألوان قوس قزح، ولذلك كانت تشكل مزيجاً فريداً من الفن والطبيعة. كلمة بتراء = بطرا هي كلمة يونانية معناها «صخرة»، وفي العربية الفصحى «الرقيم» (أرض مرقومة أي بها نبات قليل).

وسّع الأنباط سلطتهم، وبرعوا في إستخراج المياه الجوفية، وفي إستخدام مياه الأمطار. عندما أصبحت لهم قوة تهاب، أنشأوا دولة تولاها ملوك كثيرون دعي معظمهم بإسم (الحارث = اريثاس) ومنهم الحارث الثاني ايروتيموس، حوالي ١١٠ ـ ٩٦ ق. م، الذي حاصر أورشليم. ومنهم الحارث الثالث الذي تغلّب على سورية، وأصبح ملك دمشق برضا أهلها سنة ٨٥ ق. م، ولقَّبه السلوقيون «فيلهلين» أي «محب اليونان». ومنهم أيضاً الحارث الرابع (٩ ق. م ـ ٤٠ م) الذي نشر الحضارة الرومانية في بلاده.

آخر ملوك الأنباط كان مالكو الثاني الذي في عهده سقطت دمشق في أيدي الرومان والذي بموته إنتهى عصر الأنباط الذهبي الذي بدأ في عام ٥٠ ق. م. بقيت دولة الأنباط قائمة رغم الإحتلال الروماني لسورية سنة ٦٤ ق. م حتى كانت سنة ١٠٦ للميلاد عندما قرّر الإمبراطور تراجان أن يخضعهم لسيطرته، فوجّه إليهم حملة إحتلت بلادهم وقضت على دولتهم وجعلت من مناطقهم ولاية رومانية عرفت بإسم الولاية العربية الرومانية.

كانت حضارة الأنباط عربية في لغتها، آرامية في كتابتها، سامية في ديانتها، ويونانية ـ رومانية في فنّها وهندستها المعمارية.

برع الأنباط في الفن الحربي وبخاصة في رمي النبال؛ وسيطروا على تجارة الشرق، وأقاموا كثيراً من القلاع والأبراج. ووصلت قوافلهم إلى إيطاليا وفرنسا.

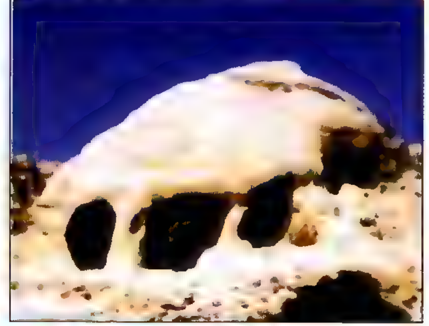
منذ القرن الرابع قبل الميلاد هيمن الأنباط على ملتقى طرق التجارات العالمية، التي تربط بين تجارات الهند وفارس والعراق من الشرق، ومصر من الغرب، والشام والروم واليونان من الشمال، والحجاز واليمن والحبشة من الجنوب. وأشهر قواعد الأنباط هي: البتراء (الرقيم) في الشمال، والحِجْر (مدائن صالح) في الجنوب. بعد أن إحتل الرومان بلاد الأنباط ضمّوها بعد بضع سنوات إلى دولتهم في عام ١٢٢م. وفي الأنباط يقول ابن حجر في فتح الباري: «وهم قوم من العرب دخلوا في العجم والروم، وإختلطت أنسابهم وفسدت ألسنتهم، وكان الذين إختلطوا بالعجم منهم ينزلون البطائح بين العراقين، والذين إختلطوا بالروم ينزلون في بوادي الشام، ويقال لهم النَّبَط بفتحتين... والأنباط، قيل: سمو بذلك لمعرفتهم بإنباط الماء، أي إستخراجه، لكثرة معالجتهم الفلاحة».

k y t h z w n d g b .
t š r q s p . s n m l

الكتابة النبطيّة

نبطي ـ آرامي وجد في موقع أم الجمال ـ سوريا







صور من زيارتي إلى بترا، الأردن، في كانون الثاني (يناير) ٢٠١٠

نبطي	اسم	عربي	نبطي	اسم	عربي
	لام	ل		ألف	ا
	ميم	م		بيت	ب
	نون	ن		گمل	گ/ج
	سين	س		دال	د
	عين	ع		ها	ه
	فا	ف		واو	و
	صلا	ص		زين	ز
	قاف	ق		حا	ح
	را	ر		طا	ط
	شين	ش		يا	ي
	تا	ت		كاف	ك

الأبجديّة العربيّة

الحِميريّة

هي لغة قبيلة حِمير اليمنية، وهي مشتقة من اللغة السبئية والكويشيّة. وقد فسدت اللغة الحميرية بسبب مجاورة الحميريين للأحباش.

لا تزال النسخة المهريّة من اللغة الحميرية تتحدث بها قبيلة المهرة في منطقة الربع الخالي، الذي يحد محافظة مهرة من اليمن شمالاً. يمتد إستخدام هذه اللغة المهرية إلى مناطق القبائل المهرية بظُفار في عُمان، بينما تكاد تكون منقرضة في باقي أجزاء الجزيرة العربية، عدا منطقة جبل فيفا.

قال أبو عمرو بن العلاء: «ما لسان حمير بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا».

قال الطبري في تفسيره: «كانت العرب وإن جمع جميعها إسم أنهم عرب، أنهم مختلفو الألسن بالبيان متباينو المنطق والكلام. وأن ألسنتهم كانت كثيرة بحيث يُعجَز عن إحصائها».

وقال إبن جني: «وبعد فلسنا نشك في بعُد لغة حمير ونحوها عن لغة بن نزار».

وقد إندثرت لغات القبائل الحميرية، ولم يبق منها إلّا نُسخٌ مختلفة عن النسخة المهرية في مناطق نائية، مثل:

١ ـ لغة سكان الربع الخالي.

٢ ـ لغة اهل فيفا.

٣ ـ لغة سكان جزيرة مهرة في بحر العرب جنوب اليمن.

٤ ـ لغة سكان جزيرة سقطرى ببحر العرب جنوب اليمن

٥ ـ اللغة الشحرية في ظفار بعُمان.

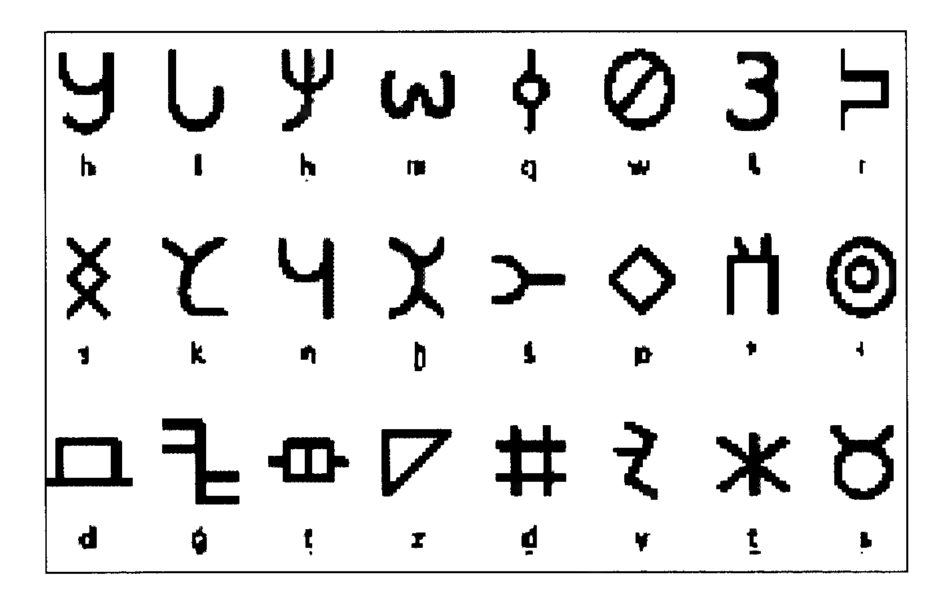
الحقيقة أن اللغة الحميرية مرَّت بتغيرات كثيرة حيث أنها مشتقة من اللغة السبئية، وتأثرت كثيراً بلغة الأحباش المستعمَرين.

الثموديّة

إن الثمودية تسمية جامعة لعدد كبير من النقوش المكتشفة والمكتوبة في شبه الجزيرة العربية وما جاورها، وتعود إلى ما بين ٢٧٠٠ و٢٠٠ قبل الميلاد. هذه التسمية لا يقصد بها لغة محدّدة بل تم الإصطلاح عليها من قبل المختصّين لمجموعة من النقوش المكتوبة بخط متشابه ريثما يتم فك رموزها وتصنيفها، وهي مكتوبة بعدة لهجات عربية قديمة في الجزيرة العربية القديمة. سُميت باسم الثمودية نسبة إلى مدينة ثمود باليمن حيث اكتشفت أولا.

توجد على الصخور والكثير من الجبال نقوش وكتابة بحروف عربية ثمودية متنوعة وأكثرها في محافظة شبوة في جنوب اليمن والحجاز، وشمال شبه الجزيرة العربية. الحروف الأبجدية الثمودية هي نفس حروف الأبجدية العربية القديمة مع نقص حرف واحد هو حرف الظاء (ظ)، مع

إختلاف في رسم الحروف إذ بعضها يكتب مقلوباً والبعض الأخر معكوساً. ولا يوجد نمط محدد للكتابة أو النقش فقد تبدأ من أعلى الحجر أو الصخرة أو تبدأ من أسفله، وأيضاً قد تكون من اليمين أو اليسار. وبصفة عامة فإن اللغة الثمودية، وكما يوضح المتخصصون، هي لغة عربية أتت من اليمن ولا تختلف كثيراً عن عربية الجاهلية وعربية الإسلام. الكثير من كلماتها نستخدمها في وقتنا الحالي.



الأبجديّة التموديّة

الصفائية

الصفائية أو الصفوية تسمية جامعة لعدد كبير من النقوش المكتشفة في بادية الشام وما جاورها العائدة إلى ما بين ١٠٠٠ ق. م و٤٠٠م، نسبة إلى تلال صفا الواقعة شرقي اللجاة في حوران.

إكتشفت أول مرة في عام ١٨٥٧ في المنطقة الجنوبية الشرقيةِ لسوريا. حتى الآن تم تسجيل ٣٠،٠٠٠ نقش إكتشفوا في سوريا والأردن فقط. وتلك تمثل لهجة عربية شمالية. من الأفعال المنقولة منها: ندم، تشوّق، لعن، نهل، سمع، قتل، ورعى. ومن الأسماء: فرس، ضأن، خال، خِلّ، خمسة، كبير، مِعْزَى، سطر، عشيرة، ضيف، رواح، ثلج، قبر، وضريح. ومن أسماء الأعلام: أذينة، إياس، جمال. همام، وهب، ورد، حبيب، سالم، سميع، سريّ، وسعد.

تتميز تلك اللهجة، مع الثمودية، بأداة التعريف، التي هي في الثمودية والصفوية (الهاء)، وفي العربية النبطية (الألف واللام)، فنستطيع أن نفرّق إذاً بين لهجات الهاء ولهجات الألف واللام. مثال ذلك (هـ م ل ك) عند أهل ناحية الصفاة بمعنى الملك، ولكن كان النبط يستعملون الألف واللام مع الكلمات والأسماء العربية المعرّفة.

من البديهي حين تكون اللغة مجهولة يكون فك رموزها عسيراً جداً ويتوقف هذا الأمر عموماً على إكتشاف وثيقة كتب النص فيها بلغتين كانت إحداها لغة معروفة. وهذا مكّن جان شامبليون (١٧٩٠ ـ ١٨٣٢) من فك رموز حجر رشيد من المصرية القديمة لليونانية وحلّ أسرار الهيروغليفية المصرية وإحياء معرفة تلك اللغة التي كانت منسيّة طيلة ١٥٠٠ عام. وفي الخمسينات إستطاع مايكل فنتريز (١٩٢٢ ـ ١٩٥٦) أن يفك رموز الكتابة المقطعية المينوية المعروفة بالخط المستقيم.





نقوش صفائيّة

الكتابة العربية الشمالية

أخذ الآراميون، أشقاء العرب الذين كانوا يقطنون بلاد الشام ويجاورون أشقاءهم الكنعانيين، الكتابة عن الفينيقيين وأعطوها شكلا مربعا، فدعيت بالكتابة الآرامية المربعة، فدوّن بها السريان والتدمريون وثائقهم. ثم لجأ الأنباط إلى طريقة جديدة للكتابة بالحروف الآرامية الأصل حين وصلوا بين حروفها، إذ كانت الآرامية ومثلها الفينيقية تكتب الحروف منفصلة عن بعضها، وكذلك فعل السريان تسهيلا للكتابة وتوخيا للسرعة، فنشأ القلم النبطي، والقلم الآرامي والسرياني.

إطّلع العرب الشماليون على القلم السرياني، كما إطّلعوا على القلم النبطي وعلى القلم اليمني المسمّى «المسند». ثم مالوا إلى الكتابة بالقلم النَّبطي، كما بدا من خلال النقوش العربية الأوليّة.

إن المقارنة بين حروف الكتابات العربية وحروف الكتابات النبطية المتأخرة والتأكد من القرابة الواضحة بين القلمين، إضافة إلى الموقع الجغرافي الذي ظهرت فيه الكتابات العربية القديمة، هو ما دعا الباحثين إلى الإعتقاد بأن أصل القلم العربي، ولا سيما الحجازي (النسخي)، هو نبطي. بينما يميل بعض الدارسين إلى القول بأن القلم السرياني ذا الشكل الهندسي، والمعروف بإسم القلم الإسترنجيلي، هو أصل الخط العربي الكوفي، الذي يتميّز بهندسة حروفه، ويظهر قرابة شديدة من الأسترنجيلي. القلم العربي ذو أصلين، أحدهما نبطي والآخر سرياني، والأصلان كلاهما من منبع واحد هو القلم الآرامي الذي يعود إلى القلم الفينيقي. وإشتقت العربية من القلمين النسخي والكوفي أشكالا متعددة،

مثل: الثلث، والرقعة، والديواني والفارسي، وما زالت تنشأ أشكال حديثة عنهما.

أما قلم المسند اليمني الذي تعود آثاره إلى بداية الألف الأولى قبل الميلاد يميل الباحثون إلى الإعتقاد بأن نشأته كانت مستقلة. ويرى بعضهم أنه نشأ عن الأصل السينائي مباشرة. ويُستبعد أن يكون مقتبسا عن الفينيقية كغيره من الأقلام الألفبائية، لبعد التشابه بين أشكال حروفه وأشكال الحروف الفينيقية.

تعد الحروف اليمنية ٢٩ حرفا، كالعربية الشمالية، بل وتزيد عليها بحرف السين السامي. يُعتقد بأن هذا الصوت يشكل صوتا بين السين والشين، كانت العربية تعرفه قديما، ثم أهملته، كما يهمل أبناء العربية اليوم لفظ الأصوات الأسنانية: الثاء، الذال، الظاء، ويتهانون في لفظها لفظا صحيحا. ولم يكتب الإنتشار لهذا القلم في غير الجنوب العربي، كما أنه إنقرض وحلّت محلّه العربية الشمالية وبقي منه قلم مشتق هو القلم الإثيوبي حتى عصرنا الحالي.



نقش ثمودي ـ اليمن



لوح من المرمر مكتوب بخط المسند يعود لمملكة سبأ للقرن الثامن قبل الميلاد محفوظ في متحف اللوفر، ويتحدث عن أله القمر لدى العرب القدامى



نقش خط المسند

עברית

آرامي	سرياني	عبري
مندأي	عربي جنوبي	سبأي
أوغاريتي	بوني	فينيقي

فينيقي

إغريقي أوّلي

روماني

خصائص اللغة العربية

١ ـ الأصوات

٢ ـ المفردات

٣ ـ التلفّظ والتهجّي

٤ ـ الصَرف

٥ ـ النحو

٦ ـ الخط العربي

(١) ـ الأصوات

١ ـ أصوات الإطباق: الصَّاد، الضَّاد، الطَّاء، الظَّاء، والقاف.

٢ ـ الأصوات الخلفية: الحاء والعين .

ـ الصَّوت القصي الطَّبقي: الغين.

٤ ـ الصَّوت القصي اللهوي: القاف.

٥ ـ الصَّوت الحنجري: الهمزة.

(٢) ـ المفردات

يُعَدُّ مُعجم العربية أغنى معاجم اللغات في المفردات ومرادفاتها (الثروة اللفظية)؛ إذْ تضُمُّ المعاجم العربية الكبيرة أكثر من مليون مفردة. حَصْرُ تلك المفردات لا يكون بحَصْر مواد المعجم؛ ذلك لأن العربية

لغة إشتقاق، والمادة اللغوية في المعجم العربي التقليدي هي مُجرَّد جذْر، والجِذْر الواحد تتفرَّع منه مفردات عديدة. فالجذْر «ق» و«م» مثلاً تتفرَّع منه المفردات: قام، أقام، قوّم، قوم، قاوم، مقام، قيام، قامة، مقاومة، إقامة، وغيرهم.

العربية تتطوَّر كسائر اللغات؛ فقد ماتت مفردات منها وإندثرت، وأُضيف إليها مفردات مُولَّدة ومُعَرَّبة ودخيلة. وقامت مجامع اللغة العربية بجهد كبير في تعريب الكثير من مصطلحات الحضارة الحديثة، ونجحت في إضافتها إلى المعجم المستَخدَم، مثل: سيَّارة، قطار، طائرة، هاتف، برقيَّة، برّاد، وغيرهم.

(٣) ـ التلفُّظ والتهجِّي

تتكوَّن الألفباء العربية من ٢٨ حرفًا، فضلاً عن ألف المد. كان ترتيب الحروف قديمًا كالآتي: أبجد هوَّز حطِّي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ. تعتمد اللغة العربية على ضَبْط الكلمة بالشَّكْل الكامل لتؤدِّي معنًى محدَّدًا؛ فالكلمات: عَلِمَ، عُلِم، عَلَّمَ، عِلْمٌ، وعَلَمٌ، هذه الكلمات كلها مُتَّفِقة في التَّهجِّي، مختلفة في التَّلفُّظ والمعنى؛ إلاّ أن مُجيد العربية يمكنه أن يفهم معنى الكلمة دون ضَبْطٍ من خلال السِّياق.

من سِمات العربية أن تهجِّي الكلمة فيها موافقٌ للتلفُّظ بها، وهذه ميزة تمتاز بها العربية عن معظم اللغات الأوربية. وهي ظاهرة عامة في العربية، إلا في بعض الحالات القليلة، كنُطق ألف لا يُكتب، مثل: هَذَا، ولكنْ، وكتابة الألف اللَّيِّنة على هيئة ياء، مثل: مَضَى الفَتَى.

(٤) ـ الصرف

تقوم الصِّيغ الصَّرفية في العربية على نظام الجِذْر، وهو ثلاثي غالبًا، رباعي أحيانًا. ويُعبِّر الجِذْر عن المعنى الأساسي للكلمة، ثمَّ يُحدَّد المعنى الدقيق للكلمة ووظيفتها بإضافة الحركات أو مقاطع من أحرف مُعيَّنة في صَدْر الكلمة أو وسطها أو آخرها.

تُقسِّم العربية الإسم إلى جامد ومُشتق، ثم تُقسِّم الجامد إلى أسماء الذَّوات المادية مثل: شجرة، وأسماء المعاني مثل: قراءة، ومصادر الأسماء المشتقَّة مثل: قارئ، ومقروء. العربية لا تعرف الأسماء المركَّبة إلا في كلمات نادرة تُعَبِّر عن الأعلام، مثل: «حَضَرَمَوْت» المركَّبة تركيبًا مَزْجيًّا، و«جاد الحقّ» المركَّبة تركيبًا إسناديًّا؛ إلاّ أن المضاف والمضاف إليه يرتبطان إرتباطًا وثيقًا، يصل أحيانًا إلى حالة شبيهة بالتركيب، وخاصة في الأَعلام، مثل: عبد الله، وصلاح الدِّين.

تتميَّز العربية عن لغات كثيرة بوجود صيغة للمُثنَّى فيها. وتنفرد هي والحبشية عن سائر اللغات السَّامية بإستعمال جمع التَّكسير، فإلى جانب الجمع السَّالم الذي ينتهي بنهاية تلحق الإسم، كما هي الحال في اللغات الأوربية، تصوغ هاتان اللغتان جمع التَّكسير بتغيير الإسم داخليًّا. تُصنِّف العربية أسماءها إلى مذكَّر ومؤنَّث، وتترك المذكَّر دون تمييزه بأيِّ علامة. تتميّز الأسماء المؤنَّثة:

إمَّا بالتَّاء مثل شجرة،
وإمَّا بالألف المقصورة مثل ليلى،
وإمَّا بالألف الممدودة مثل صحراء،
وإمّا دون علامة مثل شَمْس، ونَفْس.

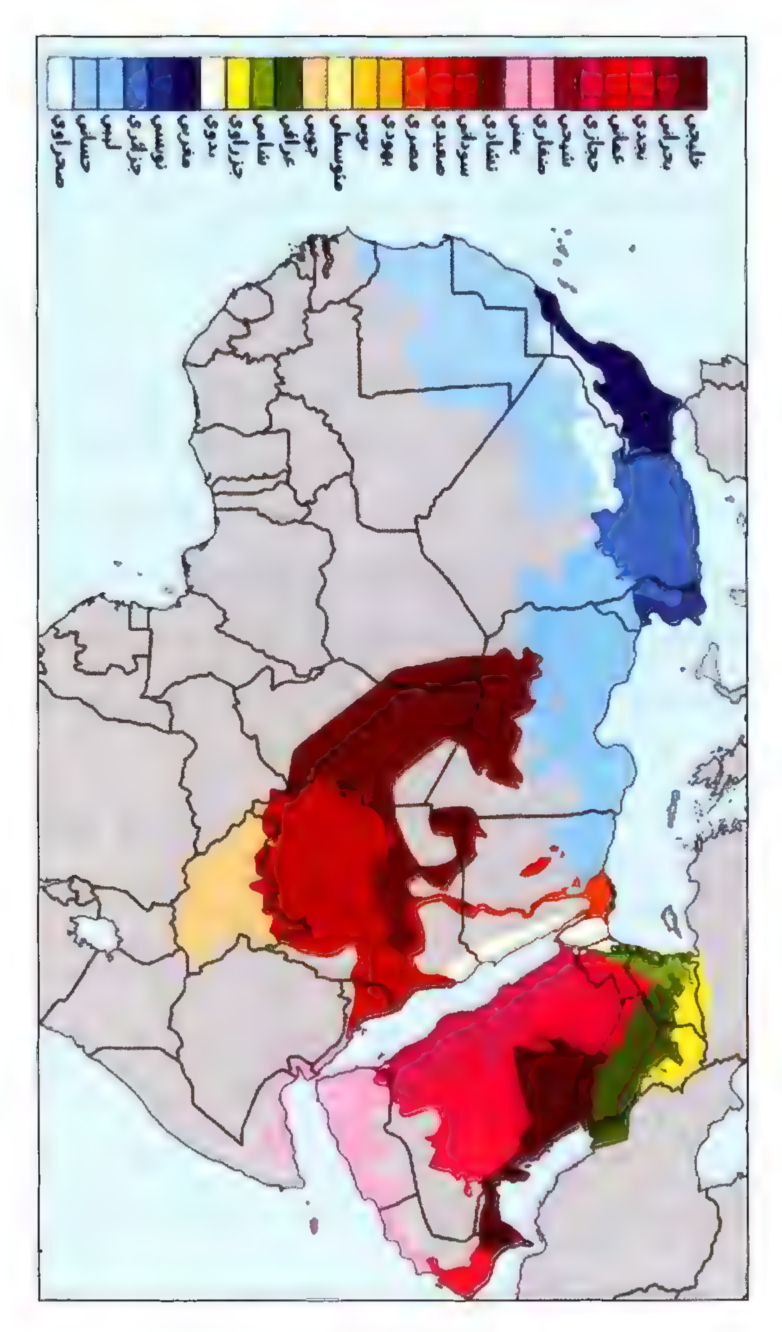
(٥) ـ النَّحو

من خصائص درس النحو الإسناد الذي هو نواة الجملة العربية، ويُمثِّل في ذاته جملةً بسيطة: إسميَّة أو فعليَّة. يتكوَّن الإسناد إما من مبتدأ وخبر، وإما من فعل وفاعل أو نائب فاعل، ثم يمكن تنمية تلك الجملة البسيطة بالفضلات أو المكمِّلات المفردة، ثم تتكوَّن الجملة المركَّبة من جملتين بسيطتين أو أكثر، ويتمُّ هذا بالربط بين الجمل البسيطة بأدوات معيَّنة أو بالضمائر، فتنشأ من ذلك الربط دلالاتٌ كالشَّرط أو الملابسة أو الوصفيّة أو العطف أو غيرها.

العربية من اللغات السَّامية القليلة التي إحتفظت بنظام الإعراب. يستطيع مُجيد العربية أن يقرأ نصًّا غير مضبوط، وينطق العلامات الإعرابية نُطقًا صحيحًا، كما يستطيع من خلال ذلك أن يفهم النص فهمًا تامًّا.

(٦) ـ الخط العربي

يحتلُّ الخطُّ العربيُّ مكانة فريدة بين خطوط اللغات الأخرى من حيث جماله الفنِّي وتنوُّع أشكاله، وهو مجالٌ خصب لإبداع الخطَّاطين، حيث بَرَعُوا في كتابة المصاحف، وتفنَّنوا في كتابة لوحات رائعة الجمال، كما زَيَّنوا بالخطوط جدران المساجد وسقوفها. ظهرت أنواع كثيرة من الخطوط على مرِّ تاريخ العربية، والشَّائع منها الآن: خطوط النَّسخ والرُّقعة والثُّلُث والفارسيّ والدِّيواني، والكوفي والخطوط المغربية.



اللهجات العربيّة

الخط العربي

الكوفي البسيط ـ المزهّر ـ المورّق ـ المضفّر ـ المشجّر ـ الهندسي ـ المربّع المدوّر ـ المائل ـ المعقّد ـ المنحصر ـ المعشّق ـ الموشّح ـ المحرّر المتداخل ـ المتشعّب ـ الشطرنجي ـ الفاطمي ـ المشرقي ـ المغربي

الثلث

النسخ

المصحفي

الإجازة والتوقيع

التعليق

الفارسي

الشكسته ـ المتناظر ـ التعليق ـ النستعليق

الديواني

الديواني العادي ـ الديواني الجلي

الطغرا

الرقعة

الرقعة الأول ـ الرقعة الحديث

المغربي

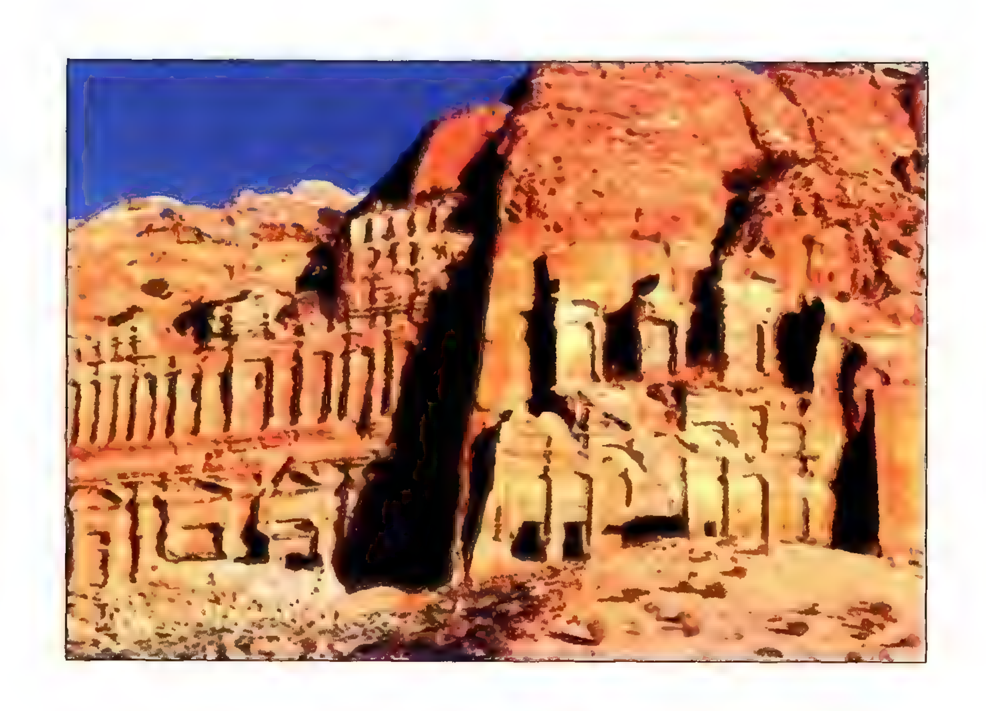
المسلسل

التاج

الخط العربي

العرب كغيرهم من الأمم إستخدموا الكتابة في التعبير عن آرائهم ومشاعرهم، ولكنهم كانوا يعتمدون أيضاً على الذاكرة إعتماداً كبيراً، مما جعلهم يحرصون على حفظ جميع ما يسمعونه من الشعر والأدب والأساطير القديمة وعلم الأنساب وغيرها. ولذلك قلّ إهتمامهم بالخط والكتابة بإستثناء بعض المدن القديمة في الجزيرة العربية التي راجت فيها الكتابة والقراءة. هناك روايات تشير إلى أن الخط العربي كان معروفاً قبل الإسلام عند المناذرة واللخميين بالحيرة وعند الغساسنة في تخوم الشام، وكذلك عند القرشيين بمكة والأوس والخزرج واليهود بالمدينة وثقيف بالطائف، وفي بعض مدن شمال الجزيرة العربية كدومة الجندل. المعلّقات، التي نسمع عنها كثيراً، مثال جليّ على إهتمام العرب بالكتابة والخط؛ فقد كان العرب في أيام الجاهلية يعلقون على جدران الكعبة القصائد الشعرية المتميزة بالروعة الأدبية والبلاغية.

أثبت البحث العلمي أن العرب أخذوا طريقتهم في الكتابة من أبناء عمومتهم الأنباط الذين كانوا في الجاهلية يستوطنون حوران والبتراء ومعان، ويجاورون العرب الحجازيين في تبوك ومدائن صالح في شمال الحجاز. كانت مملكة الأنباط تمتد من سيناء إلى جنوب سوريا. وقد عثر



آثار مدائن صالح



على بعض النقوش النبطية التي تشبه إلى حد كبير أقدم النقوش العربية المعروفة، والنقوش الكتابية من عهد الأنباط مثل نقش أم الجمال المؤرخ سنة ٢٥٠م ونقش النمارة المؤرخ سنة ٣٢٨م ونقش زبد المؤرخ سنة ٥١٢م. ولكنه يمكننا، على ضوء دراسة النقوش العربية التي عثر عليها من تلك الفترة، أن نرجع الكتابات العربية إلى أصلين إثنين وهما التربيع والتدوير، وهما من أصول الكتابة العربية في جاهليتها وإسلامها. ويرجح أن الخطوط العربية في الحجاز كانت تعتمد على التدوير والليونة منذ بداية نشأتها في مدن تلك المنطقة، ولم تكن الفروق بين هذه الخطوط في الخصائص ولكنها كانت فروق تجويد، ذلك أن العرب عندما عرفوا فن الكتابة كانوا أهل بداوة ولم يكن لديهم من أسباب الإستقرار ما يدعوهم إلى الإبتكار في الخط الذي تعرّفوا عليه. لما ظهر الإسلام في تلك البلاد بلغت الكتابة والخطاطة مبلغ الظاهرة الفنية، حيث صار للعرب دولة تعددت فيها المراكز الثقافية ونافست هذه المراكز بعضها بعضا على نحو ما آثار مدائن صالح حدث في الكوفة والبصرة والشام ومصر ومراكز الثقافة الإسلامية الأخرى في المشرق والمغرب.

مما لا شك فيه أن الإسلام كان له أثر عظيم في إنتشار الكتابة العربية وتطورها وإزدهارها فقد شجّع على القراءة والكتابة، وكانت الآية الأولى التي نزلت على المسلمين من كتاب ربهم تتضمّن الأمر بالقراءة «إقرأ بإسم ربّك الذي خلق».

إبن النديم على سبيل المثال لم يذكر عن هذه الخطوط إلا الشيء القليل فيما يتعلق بخصائص الخطين المكي والمدني، كما أنه أشار إليهما بإعتبارهما خطاً واحداً إذ يقول: «فأول الخطوط العربية الخط

المكي وبعده المدني ثم البصري ثم الكوفي، فأما المكي والمدني ففي ألفاته تعويج إلى يمنة اليد وأعلى الأصابع، وفي شكله إنضجاع يسير». من ذلك نفهم أنه لم تكن هناك فروق خصائصية واضحة بين الخط المكي والخط المدني. ويذكر إبن النديم أن من أنواع الخط المدني المدور والمثلث والتئم، وقد تكون صفة كل من المدور والمثلث مفهومة من إسميهما كما قد يكون التئم جمعاً بين النوعين.

عندما إنتقل مركز النشاط السياسي والثقافي من الحجاز إلى العراق في أواخر الخلافة الراشدة، عرفت جميع الخطوط في تلك المنطقة بإسم الخط الحجازي بإعتبار مصدر نشأتها. الخط الحجازي كان يميل إلى الليونة أو شبه الليونة. ولكن مع إنتقال مركز النشاط السياسي إلى العراق كان هناك إتجاه إلى إستخدام الخط الجامد، حيث إزدهر هذا الخط وبشكل خاص في مدينة الكوفة. عني أهالي الكوفة بهذا الخط عناية خاصة، وأجادوا أصوله وهندسته وأشكاله، ومططت عراقاته وإستقامت حتى بدأ هذا الخط يتميز عن الخطوط الحجازية تميزا واضحا، وإستحق أن ينفرد بإسم خاص به وهو الخط الكوفي. هذا الخط لم يكن في الكوفة فقط بل كان يستخدم في معظم أنحاء العالم الإسلامي، ولكن الإسم الكوفي أصبح إسماً عاماً لًهذا الخط اليابس سواء كان في الكوفة أو المدينة المنورة أو في غيرهما. وكانت تكتب به المصاحف واللوحات التذكارية وشواهد القبور، وتحلى به المباني وتصكّ به النقود. أما الخط الحجازي الليّن فكان غالباً ما يستخدم في المراسلات السريعة والحسابات والأغراض اليومية المتنوعة، وقد تزامن ظهور وإستخدام الخطين الكوفي والحجازي، وكان لكل منهما خصائص

متفردة من البداية، وهما يعدان من أقدم الخطوط ظهوراً في الإسلام.

تنوعت الأقلام في عصر الدولة الأموية وبدأت هندسة الحروف وتجويدها في الفترة الأولى من العصر العباسي بالعراق، ولكن على الرغم من ذلك فإن الخط الكوفي بقي سائداً على الخطوط الأخرى إلى أن إستبدل بالخط النسخي في أواخر القرن الخامس الهجري وخاصة في بلاد الشام ومصر. إستمر إستخدام الخط الكوفي حتى نهاية العصر الفاطمي، ثم بدأ الأيوبيون في الإعتناء بالخط النسخي حتى شاع في جميع أنحاء العالم الإسلامي. ومن الملاحظ أن الخط العربي قد تنوعت أشكاله منذ بداية رحلته، وإزدهرت هذه الأشكال في أيام العباسيين فظهر الكثير من الأقلام والخطوط الجديدة مثل الجلي والطومار والبديع المنسوب والإجازة والتوقيع والثلثين. لم ينتشر إستخدام هذه الخطوط بين أفراد الشعب. من أشهر هذه الخطوط الخط المثلث الذي وصل إلى مناطق بعيدة في الأقطار الإسلامية حتى إنه إستخدم في بعض النقوش العربية في البنغال.

لم يتوقف التنوّع والتطوّر في الخطوط العربية في أية فترة من الفترات التاريخية، بل كانت تدخل فيه الإبتكارات والإبداعات الجديدة بإستمرار إلى أن وصل إلى درجة كبيرة من الجودة والإتقان. مع أن الخط العربي وجد متأخراً بالنسبة لبعض الخطوط الأخرى كالخط السنسكريتي والخط اليوناني إلا أنه انتشر بسرعة فائقة، ولم يكن انتشاره محدوداً في بلاد العرب بل تعدّى ذلك إلى اللغات الأخرى وإستخدمته بعض شعوب أوروبا لفترة محدودة في بلاد البلقان.

بدأ إستخدام اللغة العربية في الهند منذ الأيام الأولى للفتح

الإسلامي للسِند وذلك في عام ٨٩ ه ـ ٧٠٨ م. أول نقش عثر عليه في الهند هو نقش المسجد الجامع في بنبهور والمؤرخ سنة ١٠٧هـ ـ ٧٢٧م، وهو أقدم النماذج التي إستخدم فيها الخط العربي للكتابة على الأحجار في العصور الإسلامية. هذا النقش عبارة عن لوحة كتبت بالخط الكوفي وهي تخلو من الشكل والإعجام، ولكنها كتبت بخط جميل واضح روعيت فيه القواعد الفنية مما يدل على تطور الكتابة العربية في تلك المنطقة في ذلك الزمان.

من الخطوط الرئيسة أيضاً في الهند خط النستعليق الذي إستخدم في وقت متأخر نسبياً. مع أن هذا الخط شاع إستخدامه في الهند بعد قدوم المغول إلا أنه يعتقد بأن فناني الهند كانوا يعرفونه قبل العصر المغولي، وقد تطور هذا الخط وبلغ درجة عالية من الجودة والإتقان عند الفنانين الإيرانيين في القرنين الثامن والتاسع الهجريين. من أشهر أولئك الخطاطين سلطان علي مشهدي ومحمد علي اللذان عاشا في مدينة هرات. ومن الطريف أن بعض أعمالهم قد وصلت إلى بلاد البنغال، ولا يزال المتحف الوطني في بنغلاديش يحتفظ بنسخة من شرح رباعيات كان سلطان علي مشهدي قد نسخها بخط النستعليق في عام ٨٨٢هـ ـ ١٤٧٨م.

وقد كانت أيام حكم المغول فترة إزدهار لهذا الخط إذ إهتم المغول بهذا الخط إهتماماً كبيراً، وبدأ إستخدام هذا الخط يسود في جميع الميادين على حساب الخطوط الأخرى. فإستخدم في كتابة الدواوين والمراسلات الرسمية والمخطوطات المتنوعة والنقوش الحجرية وفي صكّ النقود أيضاً، والمتاحف في بنغلاديش والهند وباكستان وبعض البلدان الأخرى.

لما كانت اللغة الفارسية هي اللغة الرسمية في ذلك العصر وكانت

تكتب بخط النستعليق شاع إستخدام هذا الخط وازداد الإهتمام به. أما اللغة العربية فكانت تكتب بخط النسخ في معظم الأحيان، ومن أمثلة ذلك ما وجد في بعض النقوش العربية المكتوبة بخط النستعليق في مقابر أسرة معصوم خان بمدينة بهكر في السند والتي تعرف أيضاً باسم گورخانة.

بدأ إستخدام خط النستعليق في البنغال بعد إستقرار حكم المغول وذلك في عهد الإمبراطور أكبر، ويندر أن تجد نموذجاً لهذا الخط في النقوش التي ترجع إلى الفترة السلطانية، ويوجد في مستودع المتحف الوطني في مدينة دهاكا ببنغلاديش ثلاثة نقوش ترجع إلى عهد الإمبراطور أكبر ومؤرّخة سنة ١٠٠٠هـ/ ١٥٩١م، تدل الكتابة في هذه النقوش على بداية تأثر الكتابات بخط النستعليق في البنغال، وقد كتبت معظم النقوش بعد هذا النقش بخط النستعليق ولكن مع المحافظة على إستخدام الخطوط الأخرى في النقوش واللوحات. ومن خصائص حروف النستعليق في هذه الفترة أن الخطاطين كانوا يضعون ثلاث نقاط تحت حرف السين في بعض الأحيان، وكذلك نلاحظ أن حرف «گ» باللغة الفارسية قد ورد في بعض النقوش على شكل ك.

إستخدمت خطوط أخرى في النقوش الكتابية في فترات متعددة أثناء الحكم المغولي، ومن أشهر هذه الخطوط الطغرا (الطُغرى)؛ وكانت في بداية الأمر أسلوباً زخرفياً إستخدمه الفنانون للزخرفة في الكتابة بخطي الثلث والنسخ، ثم أصبحت خطاً مستقلاً لكثرة إستخدامها. وقد بدأت مظاهر هذا الخط تتضح في النقوش التذكارية في منطقة البنغال منذ بداية الحكم الإسلامي فيها في بداية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، فالخطوط العمودية للحروف الرأسية كالألفات واللامات

تطول إلى أعلى الإطار بشكل منتظم ومتناسق لغرض جمالي.

من الخطوط العربية التي تميّزت بها شبه القارة الهندية الخط البهاري، وهو من الخطوط التي ندر إستخدامها في العالم العربي، وينسب البعض إسمه إلى ولاية بهار في شرق الهند. لا نستطيع أن نحدّد على وجه التحقيق زمن نشأة هذا الخط أو مكان إبتكاره. من خصائص هذا الخط أنه كان يكتب بزاوية خاصة من القلم للتحكم في سماكة الحرف في أجزائه المتعددة. فالحرف يبدأ بنقطة رفيعة في أوّله ثم تزداد سماكته تدريجياً إلى أن يصل إلى وسطه، ثم تقلّ السماكة تدريجياً إلى أن ينتهي الخط مرة أخرى على شكل نقطة رفيعة، وتمدّ في هذا الخط بطون الحروف الأفقية مثل حرف السين والياء السيفية أو الراجعة أكثر منها في الخطوط الأخرى. تمتاز حروف هذا الخط بالميل كما في خط الثلث، أما الحروف الرأسية كالألفات واللامات فتكتب بخط رفيع. يعدّ هذا الخط جافاً جامداً إذا ما قورن بخط النستعليق أو الخط النسخي، ولذلك فقد ذهب بعض العلماء إلى إعتباره نوعاً من أنواع الخط الكوفي.

من الخطوط المستخدمة أيضاً خط الرقاع، وقد وجد في بعض النقوش المبكرة في الهند، ومن أمثلته بعض النقوش التي عثر عليها في مقاطعة كيمبي في ولاية گجرات، ومعظمها ترجع إلى بداية القرن السابع الهجري، وكذلك في منطقة كيرا لا في جنوب الهند. من أجمل نماذج خط الرقاع في تلك المناطق نقش قصر حاتم خان المؤرخ سنة ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م، وهو موجود حاليا في مدينة بهار شريف. من خصائص هذا النقش أن جميع حروفه متصلة ببعضها في شكل متناسق ومتسلسل، ولذلك كان يطلق على هذا الخط «الرقاع المتسلسل».

من الخطوط النادرة التي لم تستخدم كثيراً في بلاد الهند خط الإجازة. من خصائص هذا الخط أنه كان يجمع بين مميزات خط الثلث والخط النسخي، وقد يكون له هو الآخر أثر فيهما. وخط الإجازة يحتمل التشكيل كخط الثلث، وتبدأ حروفه وتنتهي ببعض الإنعطاف، وهو شبيه بالخط الريحاني.

من الخطوط النادرة أيضاً خَط التوقيع، ويحتفظ متحف أبحاث ورندره بمدينة راجشاهي بنموذج رائع له مؤرخ سنة ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م، ويبدو أنه كان من إنتاج أحد الفنانين البارعين، حيث تدل كتابته على نضج الخط وإتقانه. في هذا النقش نجد الحروف متصلة ببعضها وتخلو من الشكل والإعجام. لما كان هناك تسلسل وتشابك في الكتابة سمي الخط في هذا النقش بخط «التوقيع المتشابك».

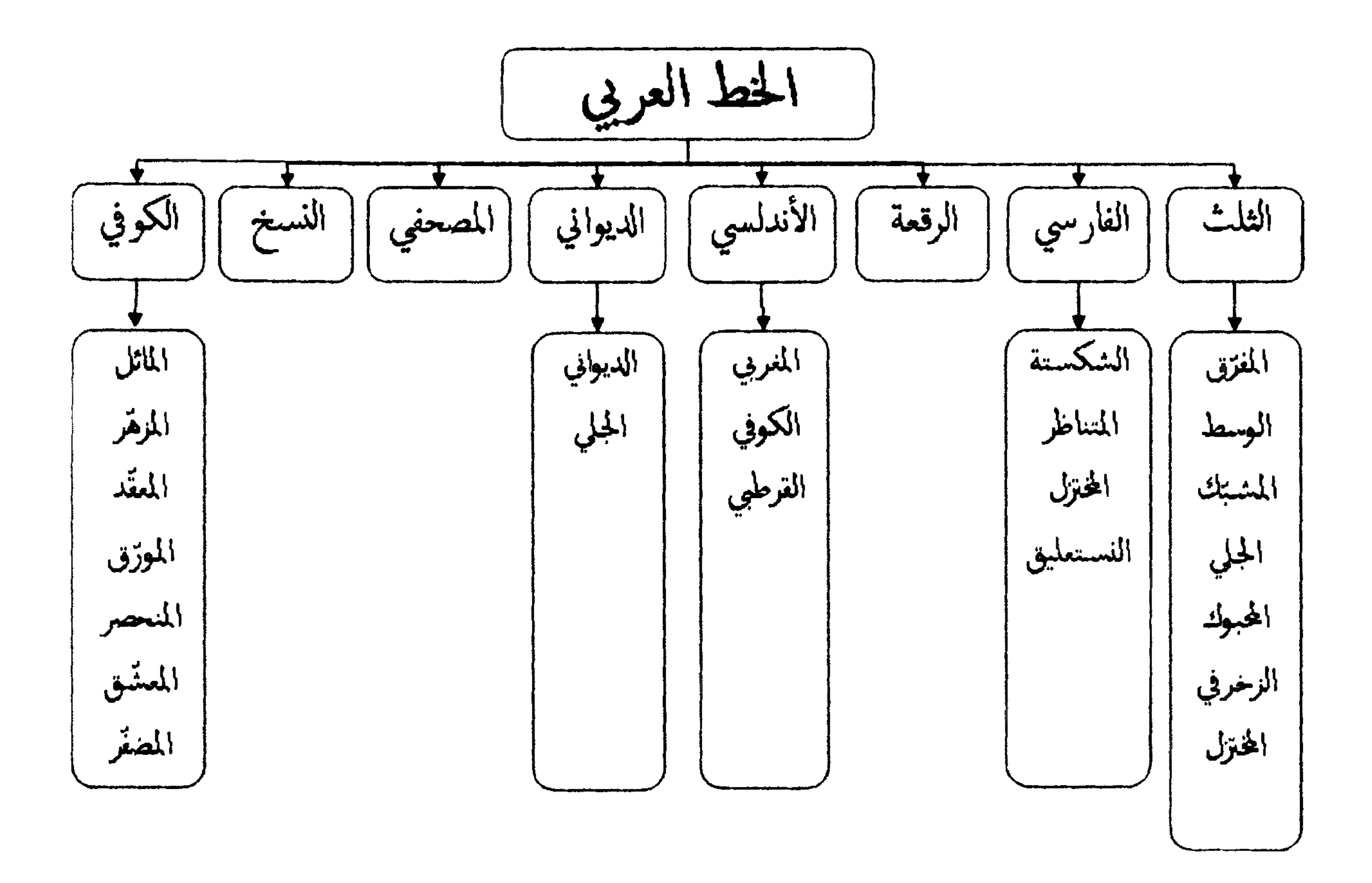
إستخدم كذلك خط الشكسته والخط الديواني في كتابة المخطوطات والمراسلات اليومية وفي الدواوين إبان الفترة المغولية في الهند، لكنهما نادراً ما إستخدما في الكتابة على اللوحات الحجرية. يلاحظ أن خط النستعليق الذي كتب به نقش ضريح شاه مخدوم في عهد شاه جهان والمؤرخ سنة ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٤م يشبه إلى حد ما خط شكسته والخط الديواني، حيث أن أذناب بعض الحروف فيه طوّلت إلى الأسفل مع الميل إلى اليسار.

أصل كلمة الطغرا مرادف للكلمة الفارسية نشان أو نيشان أو نشانة وتعني علامة وهي مرادفة للكلمة العربية «التوقيع». ولقد ذهب إبن خلكان إلى أن هذه الكلمة ليست عربية الأصل حيث يقول في كتابه «وفيات الأعيان»: «وهي الطرّة التي تكتب في أعلى الكتب فوق البسملة

بالقلم الغليظ، ومضمونها نعوت الملك الذي صدر الكتاب عنه، وهي لفظة أعجمية».

ليس من السهل أن نتعرف على الطريقة التي وصلت بها الطغرا إلى البنغال، إلا أنه لا يخفى أن هجمات المغول على المراكز الحضارية الإسلامية في وسط آسيا والشرق الأدنى والإضطرابات السياسية في تلك البلدان قد أدّت إلى هرب كثير من الفنانين والخطاطين المسلمين إلى البلدان الإسلامية البعيدة المأمونة والتي لم تتأثر من هذه الهجمات مثل مصر والبنغال. كان بعد البنغال عن ساحة الحرب المغولية سبباً في إختيار كثير من الفنانين لها كملجأ آمن، وكذلك فإن حكام البنغال كانوا يرحّبون بالفنانين ويستقبلونهم خير إستقبال، ويقومون بتشجيعهم في الإستمرار في أعمالهم الفنية. نتيجة ذلك أنتجت البنغال أرقى وأنفس التحف الفنية. وأغلب الظن أن الطغرا وصلت البنغال عن طريق هؤلاء الفنانين الذين تعرفوا عليها من السلاجقة، ثم إستخدموها في البنغال إلى أن أصبحت أكبر مظهر للزخرفة الكتابية في البنغال في ذلك الوقت.

مع نهاية القرن التاسع الهجري بدأ أسلوب الطغرا يختفي شيئاً فشيئاً إلى أن دخل المغول البنغال وتوقف إستخدامها بالكلية، ولم يعثر على أي نموذج لهذا الخط منذ بداية العصر المغولي، غير أن الطغرا في الدولة العثمانية ظلت تحتفظ بمكانة خاصة لمدة طويلة. ومعلوم أن الطغرا العثمانية لم تكن إلا صورة من تلك الصور الزخرفية التي أبدعها الخطاطون العثمانيون من جملة ما أبدعوه من صور جميلة للخط العربي، ولم يقتصر إستعمالهم لها على التوقيع على الفرمانات، بل إتخذوها أيضاً أساساً لكتابة بعض العبارات الدينية كالبسملة والشهادتين وغيرهما.


الخط العربي
الثلث
المغرّق
الوسط
المشبّك
الجلي
المحبوك
الزخرفي
المخترل
الفارسي
الشكستة
المتناظر
المخترل
النستعليق
الرقعة
الأندلسي
المغربي
الكوفي
القرطبي
الديواني
الديواني
الجلي
المصحفي
النسخ
الكوفي
المائل
المزهّر
المعقّد
المورّق
المنحصر
المعشّق
المضفّر

الخط العربي القديم - المُسْنَد

عرف المؤرخون واللغويون القدماء كلمة المسند، وكان معناها واضحاً لديهم على نحو محدد. قال إبن منظور: «و المُسند خط لحمير مخالف لخطنا هذا، كانوا يكتبونه أيام ملكهم». وقال إبن خلدون: «المسند، وهو كتابة حمير وأهل اليمن الأقدمين، وهو يخالف كتابة العرب اللاحقين من مصر».

وأشار بعض المؤرخين المتقدمين إلى أن المسند قد زال من الإستعمال قبل الإسلام. وهو أمر أكده الدارسون المحدثون؛ إلاّ أن فرعا من المسند لا يزال مستخدما الآن، وهو الكتابة الحبشية.

المسند من الأقلام العتيقة، وهو أقدم الأقلام التي عرفت في شبه جزيرة العرب حتى الآن. ويبدو أنه كان معروفا في كل شبه جزيرة العرب قبل الأسلام؛ وربما كان القلم العام للعرب قبل المسيح، أي قبل ظهور أقلام أخرى ولدت على ما يظن بعد الميلاد، ومن ثم سماه بعض المحدثين بالقلم العربي الأول، أو القلم العربي القديم. تسمية المسند بخط حمير لا تدل إلا على أنهم آخر من كتب به، فقد سبقهم إلى إستعماله في اليمن المعينيون ثم السبئيون، كما إستعمله أقوام عربية أخرى سكنت في أنحاء شبه الجزيرة الشمالية، وتركت نقوشا كثيرة مكتوبة بخط متحدر من المسند. أقدم هذه النقوش إشتهر بين العلماء بإسم النقوش الثموديّة واللحيانيّة والصفويّة، نسبة إلى قبائل ثمود ولحيان وهي قبائل عربية قديمة إستوطنت شمالي الجزيرة العربية. أما الصفويّة إسمها مأخوذ من جبل الصفاة الموجود في بادية الشام، حيث عثر على

تلك النقوش في المنطقة القريبة منه.

درس الباحثون تاريخ خط المسند وتغيّراته و يستخلص من دراستهم للموضوع أربعة آراء في أصل المسند، هي:

(١) ـ المسند مشتق من الأبجديات السامية الشمالية، السينائية، أو الفينقية، أو الكنعانية، وهذا يقتضي أن تكون تلك الأبجديات أقدم تاريخا من المسند، وهو أمر غير مقطوع به تماما.

(٢) ـ المسند هو أقدم الأبجديات المعروفة، وأن الخطوط السامية الشمالية قد إشتقت منه، وهذا رأي يفتقر إلى الأدلّة أكثر من الرأي السابق.

(٣) ـ المسند والخطوط السامية الشمالية قد إشتقا من أصل قديم واحد، وقد غابت عنا تفاصيل ذلك، أو لم يحن وقت لكشفها بعد.

(٤) ـ من الدارسين من قال: إن من الصعب البت في الوقت الحاضر في موضوع أصل المسند، لأن صور الأبجديات القديمة الواصلة الينا لا تزال قليلة، ولا نجد بين صورها وبين صور المسند تشابها كبيراً بحيث يمكن أن نستنبط من هذا التشابه حكماً يفيدنا في تعيين أصل المسند.

الخط العربي الشمالي

أما الخط العربي الشمالي الذي نكتب به حتى يومنا الحاضر، فقد كان معروفا منذ قرنين أو ثلاثة قرون قبل الإسلام، لكن النقوش المعروفة منه من تلك الفترة قليلة، على عكس المسند الذي وجد الباحثون مئات النصوص منه.

قال هشام بن محمد السائب الكلبي: «إن أول من وضع الخط العربي قوم من الأوائل من العرب العاربة، وكانوا نزولا عند عدنان بن أد، أسماؤهم: أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، وقرشت؛ فوضعوا الكتاب العربي على أسمائهم، فلما وجدوا حروفا في الألفاظ ليست في أسمائهم ألحقوا بها، وسموها الروادف، وهي الثاء، الخاء، الذال، الضاد، الظاء، والغين».

قال هشام الكلبي أيضاً: «أن أول من وضع الخط العربي ثلاثة رجال من تولان، حي من طي، سكنوا الأنبار، وقيل بقّة، وهما من القرى العربية الكائنة على الفرات غربي العراق، قبل الإسلام إجتمعوا فوضعوا الكتابة العربية، وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية، وهم: مُرامر بن مُرَّة، وأسلم بن سِدْرة، وعامر بن جَدَرة. مرامر وضع الصور، وأما أسلم ففصل ووصل، وعامر وضع الإعجام». بعض المصادر ترفع الخبر إلى إبن عباس.

كان الخط العربي قديما يسمى «الجزم»، وقد نقلت كتب اللغة والمعاجم القديمة تفسيرا لهذه التسمية، عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني البصري وذكرت أنه قال: «سمّي جزما لأنه جزم عن المسند، أي أخذ منه». قال إبن جني: «معنى جزم: أي قطع منه وولد عنه».

إبن خلدون قال في المقدمة: «و قد كان الخط العربي بالغا مبالغه من الإحكام والإتقان والجودة في دولة التبابعة، لما بلغت من الحضارة والترف، وهو المسمى بالخط الحميري. وإنتقل منها إلى الحيرة لما كان

بها من دولة آل المنذر نسباء التبابعة في العصبية، والمجددين لملك العرب بأرض العراق. ولم يكن الخط عندهم من الإجادة كما كان عند التبابعة، لقصور ما بين الدولتين، فكانت الحضارة وتوابعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك».

نجد أنظار أكثر الدارسين متجهة إلى قبول النظرية القائلة بأن الخط العربي منحدر عن الخط النبطي، وقلّة منهم تأخذ برأي إبن خلدون وتحاول أن تؤكده بأدلة جديدة.

الأنباط الذين يذكر الباحثون المحدثون أن خطّهم هو أصل الخط العربي ليسوا النبط الذين تذكرهم المصادر العربية القديمة، لأن هؤلاء كانوا من الأقوام النازلة في العراق والشام وقت الفتح الإسلامي، أما أولئك فإنهم عاشوا في بادية الشام الجنوبية والمناطق المحاذية لشمالي الجزيرة العربية، قبل الإسلام بقرون كثيرة. جاءت معظم المعلومات عنهم من خلال الآثار الباقية في مدنهم، التي كان أشهرها بُصرى وسلع (البتراء) والحجر، وما عثر عليه من كتابات على الصخور في تلك الأنحاء.

الأنباط كونوا دولة لهم، وأول ملك نبطي يعرفه التاريخ هو حارثة الأول الذي حكم في حدود سنة ١٦٩ ق. م، ثم تعاقب ملوك الأنباط حتى كان آخرهم رب إيل الثاني، الذي إستولى الرومان في عهده على عاصمة ملكهم سلع (البتراء) سنة ١٠٦م، وزال بذلك الكيان السياسي للأنباط. لكن دورهم الحضاري إمتد بعد ذلك عدة قرون في ظل الإحتلال الروماني لبلاد الشام.

كان إستخدام الأنباط للكتابة الأرامية بداية لنشوء الخط العربي الشمالي، فعلى أيديهم تطورت أشكال الحروف الآرامية، وصار لهم خط قديم تبدو عليه ملامح الأصل على نحو واضح، وخط متأخر إمتاز بميله إلى ربط حروفه بعضها ببعض، حتى إكتسب شكلا يمكن لقراء القلم العربي الشمالي أن يتعرفوا عليه بسهولة.

من أشهر النقوش النبطيّة المتأخرة التي تظهر فيها ملامح التطور نحو الخط العربي بشكل واضح، هو نقش النمارة. ومن النقوش العربية القديمة التي يظهر فيها الخط العربي وقد تكاملت خصائصه، وتخلص من ملامح أصله النبطي ـ الآرامي نقش جبل أسيس ونقش حران.

نقش النمّارة:

عثر على هذا النقش المستشرقان دوسو(١) وماكلر(٢) سنة (١٩٠١م) على بعد كيلومتر واحد من النمّارة، القائمة على أنقاض قصر روماني شرقي جبل الدروز، وهو شاهد قبر ملك عربي إسمه امرؤ القيس بن عمرو، المتوفي سنة٣٢٨ م.

عرف هذا النقش بنقش النمّارة نسبة إلى إسم الموضع الذي عثر عليه. وهذه كلمات النقش مرسومة بحروف كتابتنا العربية على نحو ما قرأها الذين درسوا هذا النقش. علما أن هناك إختلافا بينهم في قراءة بعض الكلمات أو تفسير معناها:

١ ـ في نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التج.

---

(١) René Dussaud.
(٢) Frédéric Macler.

٢ ـ وملك الأسرين ونزرو وملوكهم وهرب محجو عكدي وجأ

٣ ـ بزجي في حجج نجرن مدينت شمر وملك معدو ونزل بنيه

٤ ـ الشعوب ووكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه

٥ ـ عكدي هلك سنت ٢٣ يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده

لهذا النقش أهمية تاريخية ولغوية تتمثل بقدمه؛ فهو مؤرّخ بسنة ٢٢٣ من تاريخ بُصرى الذي يبدأ سنة ١٠٥م، السنة التي سقطت فيها مدينة بصرى على يد الرومان، الموافق لسنة ٣٢٨ من التاريخ الميلادي. وتتمثل بشكله الكتابي الذي يعتبر حلقة الإتصال أو نقطة التحول من الخط النبطي ذي الملامح الآرامية إلى الخط العربي الذي إنفصل عن أصله وتميّز بخصائص جديدة جعلت منه خطا مستقلا. بعد أن كُتب به القرآن الكريم وإتخذته الدولة العربية الإسلامية خطا رسمياً لها أصبح كتابة عالمية.

نقش جبل أسيس

عثرت على هذا النقش بعثة ألمانية للتحري عن الآثار في سوريا في حزيران سنة ١٩٦٥م، في منطقة تبعد ١٠٥ كم جنوب شرقي دمشق عند جبل أسيس. هذا نص كلماته بحروف كتابتنا التي نستخدمها اليوم:

١ ـ إبراهيم بن مغيرة الأوسي

٢ ـ أرسلني الحرث الملك على

٣ ـ سليمن مسلحة سنت

٤ ـ ٤٢٣ (٤٢٣ هـ = ٥٢٨ م)

نقش حرّان

عثر بعض المستشرقين سنة١٨٦٤م في منطقة حرّان اللجا، في المنطقة الشمالية من جبل الدروز، على كتابة مدوّنة باليونانية والعربية على حجر موضوع فوق باب كنيسة، وهو مؤرخ بسنة ٤٦٣، وهذه كلمات النص مكتوبة بحروف كتابتنا:

١ ـ أنا شرحبيل بن ظلمو بنيت ذا المرطول

٢ ـ سنة ٤٦٣ بعد مفسد

٣ ـ خيبر

٤ ـ عم

القراءة الكاملة للنص: «أنا شرحبيل بن ظالم، بنيت ذا المرطول (الكنيسة) سنة ٥٦٨م، بعد مفسد خيبر بعام». مفسد خيبر قد يشير إلى غزوة قام بهاالحارث بن أبي شمر أحد بني غسان لخيبر، على ما يذهب إليه بعض الدارسين.

ومن كل هذه الملاحظات يتضح لنا مدى الجدل حول هذا النص وذلك يعكس أهميته الكبرى في التحول من النبطية إلى العربية.

نقش القاهرة

إكتشف هذا النقش في سنة ١٩٢٩م وهو اليوم محفوظ في متحف الفن الإسلامي في القاهرة. يطلق بعض الباحثين عليه نقش أسوان أحيانا، على أساس أنه عثر عليه في مقابر أسوان في جنوبي مصر. لكن النقش لرجل دفن بالقرافة بظاهر الفسطاط في القاهرة.

وقد إتفق الباحثون على قراءة كلمات هذا النقش ما عدا كلمتين أو

ثلاثة، إختلفوا في قراءتها لأن النص غير منقّط في الأصل، مثل النقوش الجاهلية، وهذه قراءة النص:

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم هذا القبر

٢ ـ لعبد الرحمن بن خير الحجري اللهم اغفر له

٣ ـ وأدخله في رحمة منك واننا معه

٤ ـ استغفر له إذا قرأ هذا الكتب

٥ ـ وقل آمين وكتب هذا ا

٦ ـ لكتب في جمدي الآ

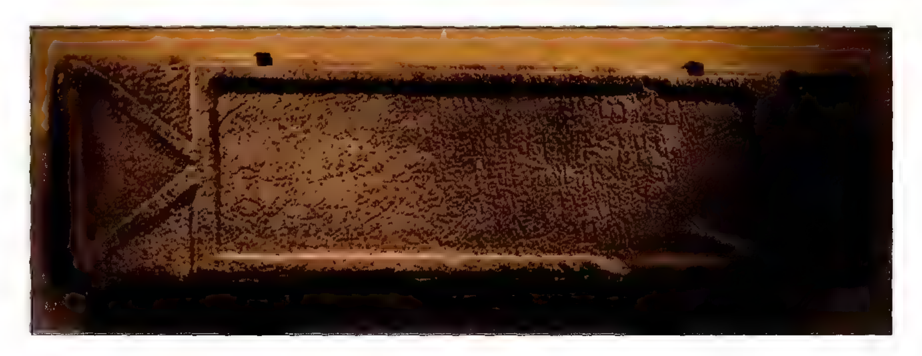
٧ ـ خر من سنت إحدى و

٨ ـ ثلثين

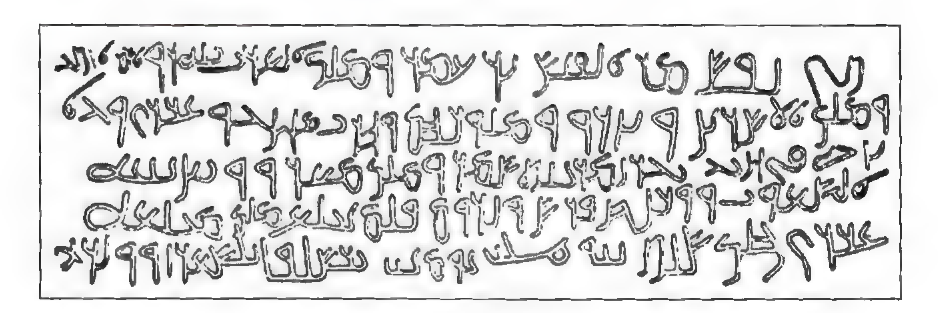
إختلف الباحثون في قراءة كلمة «خير» في السطر الثاني، فقرأها بعضهم جبر، وكذلك قرأ بعضهم «الحجري» في السطر ذاته الحجازي. وكذلك إختلفوا في قراءة كلمة «واننا» في السطر الثالث، فقرأها بعضهم وآتنا، وقرأها آخرون وإيانا(*).

(*) ملاحظة:
دراسة جديدة للباحث العراقي الأمريكي سعد الدين أبوالحب في نيويورك (تشرين الأول/أوكتوبر ٢٠١٢) تصحّح قراءة المستشرقين للحروف النبطية لنقشي النمّارة وأم الجمال الأول وتقدّم عبر الأدلة الملموسة ترجمة حرفية جديدة وقراءة عربية فصحى واضحة ومتماسكة لغويا لكلا النقشين، بما يدل بشكل قاطع على إستخدام العربية الفصحى لقرون طويلة قبل الإسلام. وقد بيّنت الدراسة أن حجر نقش أم الجمال الأول الذي قال المستشرقون إنه شاهد قبر لشخص إسمه «فهر بن سالي»، كان في الواقع، وحسب قراءة الباحث التصحيحية الموثقة بالصور التفصيلية لنقش الحجر، شاهد قبر «فرأ بن سالي» أحد القادة العسكريين للملك جديمة الأبرش وهو خال الملك امرئ القيس.

حسب هذه القراءة الجديدة أيضاً سجّل هذا النقش أن الملك جُذيمة تحديدا كان مؤسس مملكة تنوخ، تماما كما كتبت المصادر التاريخية لعلماء الحضارة العربية الإسلامية.



نقش النمارة: شاهد قبر إمرئ القيس بن عمرو ملك الحيرة



من خلال دراسة وتحليل أشكال الحروف في النقوش السابقة وغيرها رجح الدارسون النظرية القائلة بتطور الكتابة العربية عن الخط النبطي، ويؤيدون ذلك بأمرين آخرين هما:

١ ـ **ترتيب الحروف**: إستخدام العرب القدماء لألفاظ أبجد هوز... الخ في تعليم الحروف دليل على إشتقاق الخط العربي من القلم النبطي المتفرّع من الخط الآرامي، حيث كان الآراميون يستعملون هذا الترتيب الذي أخذوه عن الفينيقيين. وحكاية الحروف الروادف التي

مرّ ذكرها في الروايات العربية القديمة تشير إلى أن علماء الخط العربي الأوائل، الذين لا نعرف عنهم شيئاً يذكر، قد ألحقوا الحروف التي تنفرد بها العربية في آخر ذلك الترتيب. أما ترتيب أ ب ت ث فجاءت في الكتابة العربية بعد الإسلام.

٢ ـ **أسماء الحروف**: حيث تتميز أسماء الحروف بوجود نطق الحرف في أول إسمه، فحين تقول جيم، فأول حروف الإسم جيم، وحين نقول كاف فأول ما ننطق به كاف، وهكذا. وجود هذه الظاهرة في أسماء الحروف العربية دليل على إرتباط الأبجدية العربية بالأبجديات التي كانت سائدة في منطقة الشام، التي تتميز فيها أسماء الحروف بهذه الظاهرة أيضاً، وهي أقدم وجودا من الكتابة العربية.

خصائص الكتابة النبطية المتأخرة والكتابة العربية الجاهلية كما تبدو في النقوش:

١ ـ كانت الكتابة خالية من نقاط الإعجام، حيث يشترك أكثر من حرف برمز كتابي واحد، والسياق هو الذي يحدد الحرف المقصود.

٢ ـ لم تكن للحركات علامات خاصة بها.

٣ ـ حذف الألف المتوسطة، وكذا الياء والواو في بعض الحالات. ولا تزال بقايا من هذه الظاهرة في كتابتنا إلى اليوم مثل: لكن، وهذا، وداود، وغيرها.

٤ ـ إرتباط الحروف بعضها ببعض في الكلمة الواحدة، ما عدا الحروف الستة، وهي الألف، الراء الزين، الواو، الدال، والذال، فإنها لا ترتبط بما بعدها.

٥ ـ رسم تاء التأنيث في آخر الأسماء بالتاء وليس بالهاء، مثل مدينت وسنت.



صور من زيارتي إلى بُصرى، سوريا، في كانون الثاني (يناير) ٢٠١٠

٦ ـ زيادة واو في آخر أسماء الأعلام، في الكتابة النبطية، وظلّت بقايا من هذه الظاهرة في الكتابة العربية في كلمة «عمرو».

هذه الخصائص الكتابية ظهرت بشكل واضح في رسم المصحف في صورته القديمة الأولى، قبل أن يعمل العلماء على تنقيطه ووضع علامات للحركات فيه.

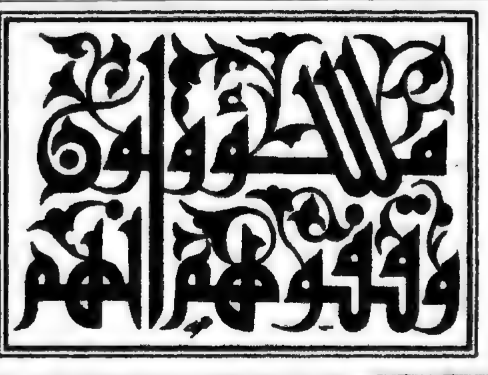
الخط العربي	خط الرقعة
الخط العربي	خط النسخ
الخط العربي	خط الديواني
والخط العربي	خط جلي ديواني
الخط العربي	خط الثلث
الخط العربي	خط النستعليق
الخط العربي	خط الشكسته

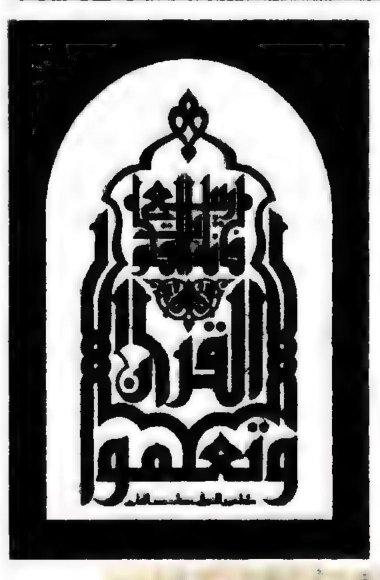
تسميات الخطوط العربيّة

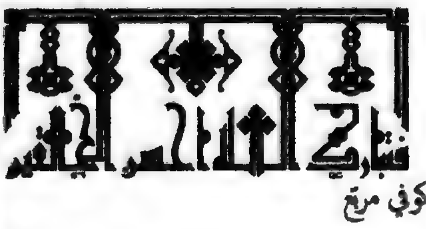
أخذت الخطوط العربية مناهج عدة في التسمية، فسمّيت إما نسبة إلى أسماء المدن كالنبطي والكوفي والحجازي والفارسي، أو أسماء مبدعيها، كالياقوتي (المستعصمي)، والريحاني والرياسي، والغزلاني، كما سميت أيضاً نسبة إلى مقادير الخط، كخط الثلث والنصف والثلثين، إضافة إلى تسميته نسبة إلى الأداة التي تسطره، كخط الغبار، وكذلك نسبة إلى هيئة الخط كخط المسلسل.



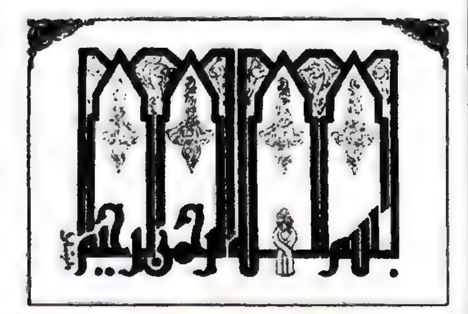
خط الكوفي



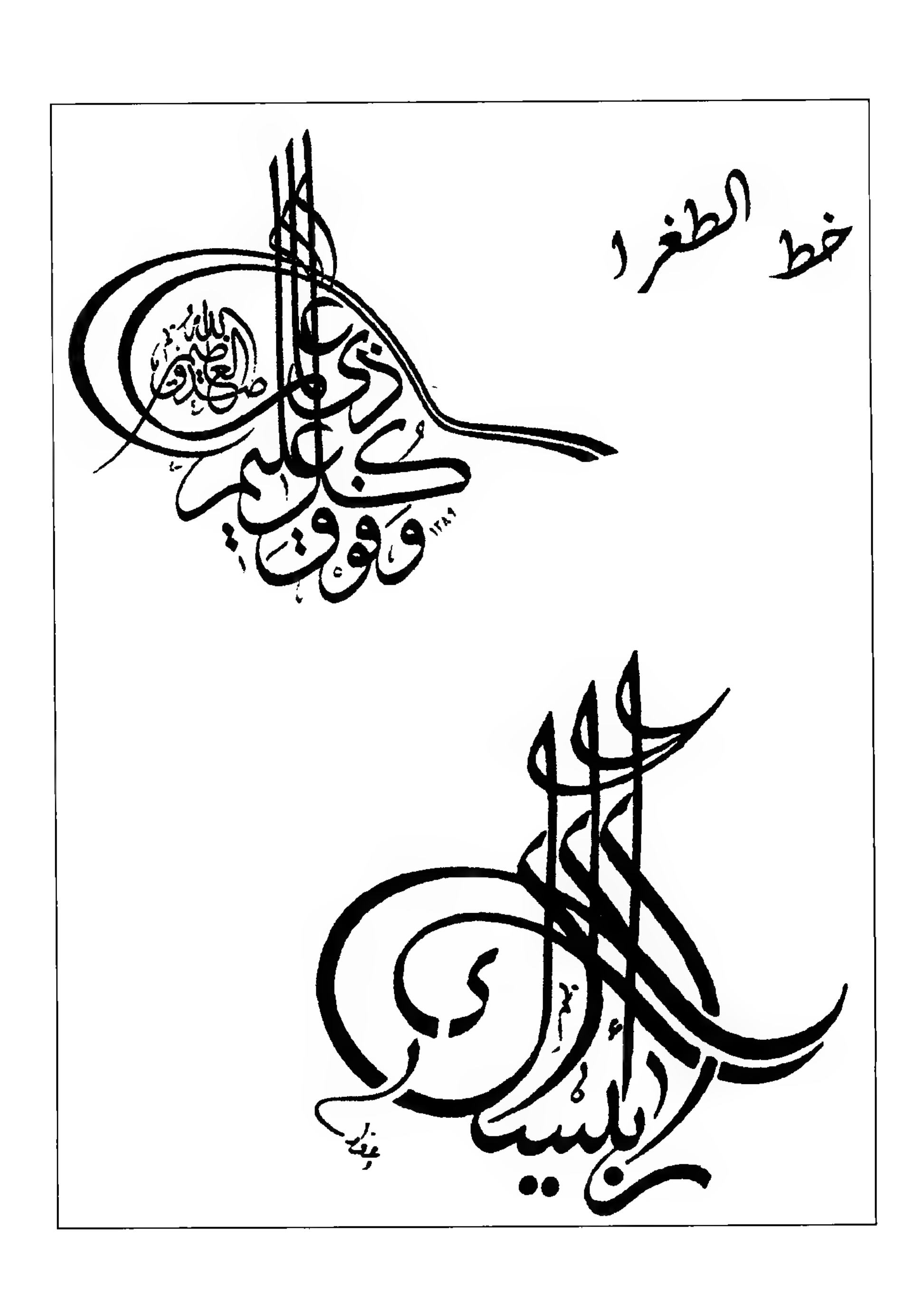




كوفي مربع






خط الطغرا

خط ديواني





خط الرقعة

سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله

إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله تعالى ، ورجل قلبه معلق في المساجد

ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال

فقال إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله

ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه .

خط مغربي

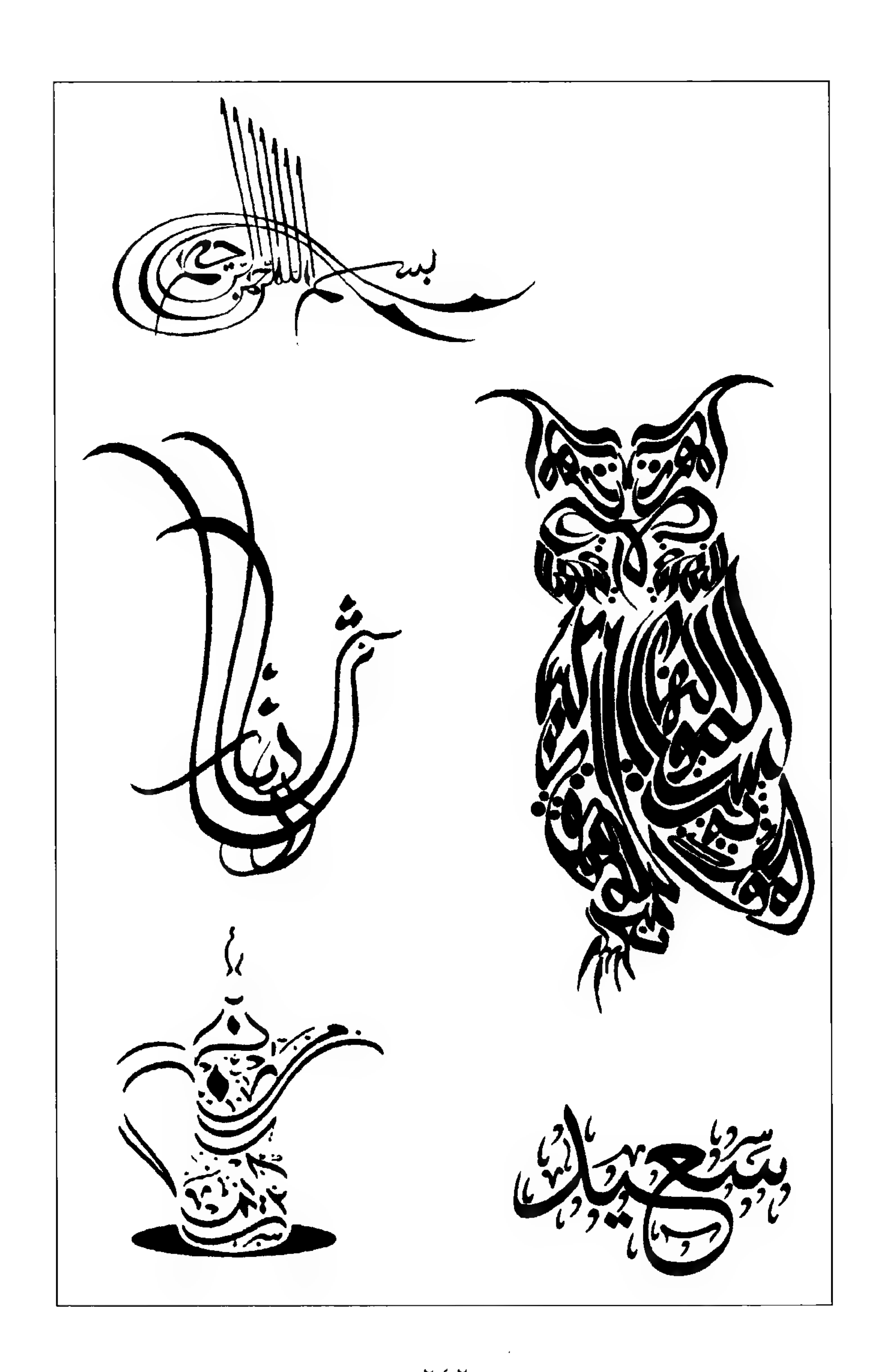
العلم قال الله قال رسول
قال الصحابة هم أولي
العرفان

خط فارسي

سلام هي حتى مطلع الفجر

وعاشر معروف وسامح من اعتدى




بسم الله الرحمن الرحيم
سعيد

أنواع الخط العربي

الخط الكوفي

قديما سمّيت الخطوط نسبة إلى الأقاليم التي نشأت فيها مثل النبطي والأنباري والحيري، التي نشأت في بلاد الحيرة والأنبار وكذلك المكي والمدني، الذي إنتشر قديما في جزيرة العرب. بعدها ظهر الخط الكوفي ونشأ في الكوفة ولهذا سمي بالكوفي. وقد عرف الخط العربي قديما بالخط الكوفي (أي لم تكن تطلق كلمة خط عربي) لأنه بدأ وإنتشر من الكوفة إلى جميع البلدان العربية والإسلامية.

الخط الكوفي هو الخط المدني أو المكي الذي إنتشر في عهد الخلفاء الراشدين. ويقوم هذا الخط المصحفي على إمالة في الألفات واللامات نحو اليمين قليلاً وهو خط غير منقط ثم ظهر خط المشق في عهد عمر رضي الله عنه وفيه إمتداد واضح لحروف الدال والصاد والطاء والكاف والياء الراجعة. في هذا الخط صنعة وإبداع وتجويد ولقد إستمر من القرن الأول حتى القرن الثاني وبه نسخت أكثر المصاحف التي تعود إلى ذلك العهد. وتلا ذلك الخط المحقق وهو كوفي مصحفي تكامل فيه التجويد والتنسيق وأصبحت الحروف متشابهة والمدّات متنامية وزيّن بالتنقيط والتشكيل وتساوت فيه المسافات بين السطور وإستقل كل سطر

بحروفه. أما الكوفي الحديث فهو متنوع بتنوع المناطق الإسلامية.

الخط الكوفي هو خط عربي قديم، نشأ في بداية ظهور الإسلام في مدينة الكوفة بالعراق. يُعتقد أنه بُدئ في إستعماله قبل نحو ١٠٠ عام قبل إنشاء الكوفة، أي نشأ في الحيرة التي كانت قرب الكوفة (الكوفة أنشئت عام ١٨هـ بأمر من عمر بن الخطاب). هو أقدم الخطوط العربية وأعرقها على الإطلاق. نشأ وإعتمد في عصر النبوة لحاجة المسلمين لتدوين القرآن الكريم ولا زال يعرف حتى يومنا هذا بالكوفي المصحف ونسب إلى أول مدينة أنشأها المسلمون وهي الكوفة ومنه نسب وهو خط يابس هندسي زخرفى يحتاج إلى دقه ودرايه ومن حظ هذا الخط العريق أنه يحمل صبغة تاريخيه حيث ينسب إلى دول وبلدان وممالك وحقب تاريخية هامة في الأمة مثل «الكوفي المملوكي» و«الكوفي الأيوبي» و«الكوفي الفاطمي» و«الكوفي الأندلسي» كما ينسب إلى الأقاليم مثل «الكوفي النيسبوري» و«الكوفي القيرواني» وغيرها من الكوفي المتعرف عليه مثل «الكوفي المورّق».

وقد إستخدم في الكتابة، وفي كتابة المصحف بشكل خاص. جميع المصاحف التي نُسخت قبل القرن الرابع الهجري كتبت بالكوفي، الذي أجاد فيه خطاطو الكوفة، ثم إنتشر في العراق كله.

كما إستُخدم في النقش على جدران المساجد والقصور وغيرها من خوالد فن العمارة الإسلامية. يقوم هذا الخط المصحفي على إمالة في الألِفات واللامات نحو اليمين قليلا، وهو خط غير منقط.

في النصف الأوّل من القرن الأوّل الهجري ظهر منه خط «المَشْق»

وفيه إمتداد واضح لحروف الدال والصاد والطاء والكاف والياء الراجعة. في هذا الخط صنعة وإبداع وتجويد، وإستمرّ حتّى القرن الثاني، وبه نُسخت أكثر المصاحف التي تعود إلى ذلك العهد. تلا ذلك الخط «المحقَّق»، وهو كوفي مُصْحَفي تكامل فيه التجويد والتنسيق، وأصبحت الحروف فيه متشابهة والمدّات متنامية، وزُيّن بالتنقيط والتشكيل، وتساوت فيه المسافات بين السطور، وإستقلّ كلّ سطر بحروفه.

من الملاحظ أن هذا الخط إبتدأ عفوياً ثمّ دخلت عليه الصنعة والتنميق، ثمّ تطوّر فأصبح ليّناً مُقوَّراً، أو يابساً مبسوطاً، أو وسطاً بينهما كالمصحفي. هذه الأنواع من الخط الكوفي الحديث ليست لها قاعدة ثابتة كالكوفي الذي كتبت به المصاحف. وهمُّ الخطاط فيه أن يحقق التنسيق والتماثل ومَلء الفراغات. وفيه تدخل زخاف هندسية ونباتية، ويختلط الرَّقش بالخط.

يُكتب الكوفي بقصبة ذات قَطّة موحدة، وأنواعه:

- مائل.
- مُزهَّر.
- مُعقَّد.
- مُورَّق.
- منحصر.
- مُعشَّق.
- مُضفّر.
- مُوشّح.

الجدير بالذكر أن أجمل ما كُتب بهذا الخطّ في صدر الإسلام هو كتابة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. من الباحثين من يذهب إلى أن الإمام هو الذي أبدع الخط الكوفي وأوجده. وحتّى إذا لم يكن مبدعه فمن المؤكّد أن له فضلاً كبيراً في ترتيب وتركيب الأحرف وفي الفصل والوصل بينها؛ عمله أضفى على الخط الكوفي لطافة ومتانة. إنّ نموذج الخط الكوفي الذي يعود للإمام عليّ موجود في مكتبة متحف «قصر طوب قابي» في تركيا.

• الكوفي البسيط

هو خط لم يلحقه توريق أو تصغير، بل مادته كتابية بحتة كان يستخدم في القرون الهجرية الأولى، وقد إنتشر في العالم الإسلامي شرقاً وغرباً. أشهر مثال على إنتشاره وجوده على قبّة الصخرة المشرفة في القدس، وكتابة مقياس النيل في القاهرة.

• الكوفي المزهّر (المخمل)

يقوم هذا الخط علي تحوير الورقة النباتية التي عرفت في الخط المورق إلى ورقتين تتألف من فصوص ثلاثية يحتضنها الغصن النباتي الذي يخرج من رؤوس ونهايات الحروف ثم يمتد بعيداً عن مكان إتصاله بالحروف وينثني قليلا بعدما تنشق أوراقه لتزين بألازهار. يعتبر هذا الخط في نظر المختصين وعلماء الآثار العربية الإسلامية إبتكارا من إبتكارات العرب المهمة وإضافة جديدة للفنون المزدهرة في الحضارة العربية الإسلامية. إشتهر في إيران.

- **الكوفي المورّق**

يعرف عن هذا النوع من الخط بأن الكتابة تخرج من أطراف حروفها سيقان نباتية دقيقة وتزخرف نهاياتها ورقة نباتية تمتد إلى أبدان الحروف نفسها مما يعطيها صفة جمالية مضافة. هو النوع الذي تلحقه زخارف تشبه أوراق الأشجار. أول ما ظهر في مصر.

- **الكوفي المضفّر أو المضفور (المعقّد أو المترابط).**

يتميز عن غيره من الخطوط الأخرى بكون زخرفته في ترابط حروفه مع بعضها في تداخل وتشابك، كما يميل إلى التعقيد إلى حد يكاد يذهب بمعالم الكتابة بحيث تصعب قراءتها في بعض الأحيان ولا يمكن للقارئ أن يعرف أين تبدأ الكلمة وأين تنتهي.

- الكوفي المشجّر

في هذا الخط ينحو فيه الفنان منحىً جديداً وذلك من خلال الإستعانة بصور الإنسان والحيوان والنبات ليتخذ منها أشكالا كتابية ويعتمد أحيانا في رسمه للحروف أجزاء من جسم الإنسان كاليد أو الساق أو الكف أو العين أو غيرها. ويتخذ في مرات أخرى رسوم بعض الحيوانات للدلالة على حروف معينة.

الكوفي الهندسي. يعتمد على الأشكال الهندسية (مربع، مثلث،.. إلخ). ويتميز بشدّة الإستقامة وحدّة الزوايا.

الكوفي المربّع. هذا الخط الكوفي هو أقدم صور الخطوط التي وصلت إلينا منسوخا بها القرآن الكريم. تاريخ الخط العربي يبين لنا التطور الذي مر به الخط الكوفي عبر العصور.

الخط الكوفي الحديث خط زخرفي ليست له قاعدة ثابته كالخط الكوفي الذي كتبت به المصاحف. هم الخطّاط فيه أن يحقق التنسيق والتماثل وإملاء الفراغات وفيه تدخل زخارف هندسية ونباتية ويختلط الرقش بالخط وأطلق على هذا النوع الكوفي المزهّر أو المورق أو المعشق أو الموشح.

خط الثلث

ليس لهذا الخط علاقة مباشرة بالخط الكوفي وهو نتيجة لإبداع الخطاطين ـ المحرّر إسحق بن إبراهيم وقبله كان إبن مقلة ٣٢٨ه ـ ٩٤م والمهلهل معاصرة ثم اليزيدي وإبن سعد ثم إبن البواب (ت٤١٣هـ ـ ١٠٢٢م).

الثلث هو أصعب الخطوط وأكثرها جمالاً ويمتاز بالمرونة ومتانة التركيب وبراعة التأليف وحسن توزيع الحليات. لهذا الخط أساليب متنوعة بحسب الخطاطين ويبدو ذلك في طريقة التشكيل والتجميل والتركيب الذي يبدو خفيفاً أحياناً وثقيلاً أحياناً أخرى.

كان هذا الخط للمصاحف ثم حلّ محله النسخ وإقتصرت كتابته على بعض الآيات والعناوين. هذا الخط هو أصل الخط المنسوب أي الخط الخاضع لضوابط وقواعد النسبة الفاضلة ومن الثلث كان خط المحقق ويفترق عنه بزيادة الطول والإستقامة. ولقد إختفى هذا الخط منذ القرن ١٧ ولم يبق منه إلا البسملة التي ما زالت متداولة ومنه الريحان وهو مصغّر عن الثلث.

يعتبر خط الثلث من أروع الخطوط منظرا وجمالًا وأصعبها كتابة

وإتقانا، كما أنه أصل الخطوط العربية، والميزان الذي يوزن به إبداع الخطاط. ولا يعتبر الخطاط فنانًا ما لم يتقن خط الثلث، فمن أتقنه أتقن غيره بسهولة ويسر، ومن لم يتقنه لا يُعدّ بغيره خطاطًا مهما أجاد. ويمتاز عن غيره بكثرة المرونة إذ تتعدد أشكال معظم الحروف فيه؛ لذلك يمكن كتابة جملة واحدة عدة مرات بأشكال متعددة، ويطمس أحيانا شكل الميم للتجميل. يقل إستعمال هذا النوع في كتابة المصاحف، ويقتصر على العناوين وبعض الآيات والجمل لصعوبة كتابته، ولأنه يأخذ وقتًا طويلًا في الكتابة.

إستعمل الخطاطون خط الثلث في تزيين المساجد، والمحاريب، والقباب، وبدايات المصاحف. وخطّ بعضهم المصحف بهذا الخط الجميل، وإستعمله الأدباء والعلماء في خط عناوين الكتب، وأسماء الصحف والمجلات اليومية والأسبوعية والشهرية، وبطاقات الأفراح والتعزية، وذلك لجماله وحسنه، ولإحتماله الحركات الكثيرة في التشكيل سواء كان بقلم رقيق أو جليل، حيث تزيده في الجمال زخرفة ورونقًا.

يعتبر إبن مقلة المتوفي سنة ٣٢٨هـ، واضع قواعد هذا الخط من نقط ومقاييس وأبعاد، وله فضل السبق عن غيره، وجاء بعده إبن البواب علي بن هلال البغدادي المتوفى سنة ٤١٣هـ، فأرسى قواعد هذا الخط وهذّبه، وأجاد في تراكيبه، ولكنه لم يتدخل في القواعد التي ذكرها إبن مقلة من قبله فبقيت ثابتة إلى اليوم. أشهر الخطاطين المعاصرين الذين أبدعوا في خط الثلث هو المرحوم هاشم محمد البغدادي.

خط الثلث هو أحد أوضح الخطوط العربية على الإطلاق ويستخدم في كتابة المطبوعات اليومية والكتب التعليمية والمصاحف والمواقع اللاإلكترونية. ويعتبر أول خط يتعلمه النشء في العالم العربي والإسلامي ويعتبر أسهل الخطوط قراءة وكتابة.

سمي بعدة تسميات: البديع، المقور، المدور، وهو من الخطوط العربية الستة، ويجمع بين الرصانة والبساطة ومثلما يدل عليه إسمه فقد كان النساخون يستخدمونه في نسخ الكتب.

أول من وضع قواعد خط النسخ الوزير إبن مقلة، ٣٢٨ه، وجوّده الأتابكة فعرف بإسم خط النسخ الأتابكي. وتفنن في تنميقه الأتراك الذين أبدعوا فيه وعلى رأسهم الحافظ عثمان الذي وضع ميزان الحروف لهذا الخط ومحمد عزيز الرفاعي الذي نقل هذا الخط إلى مصر ثم ماجد الزهدي الذي نقله إلى العراق.

خط النسخ (النسخي)

أول من وضع قواعده إبن مقلة وأخذه عن خط الجليل والطومار وهو أسهل من الثلث. إزدهر هذا الخط في عصر الأتابكة (٥٤٥ه ـ ١١٥٠م) وكان الخط المعتمد في كتابة المصاحف بعد أن توقف الخط الكوفي. بمقارنة هذا الخط بالثلث يبدو لنا أن مساحة حروفه تساوي ثلث مساحة خط الثلث.

و قد سمي بعدة تسميات: البديع، المقور، المدور. وهو من الخطوط العربية الجميلة ويجمع بين الرصانة والبساطة؛ ومثلما يدل عليه إسمه فقد كان يستخدمه النساخون في نسخ الكتب.

يعود الفضل إلى إبن مقلة في إبداع ووضع أسس هذا الخط في أوائل القرن الرابع الهجري (أواخر القرن ٩ م). وقد ساهم فيه بعد إبن مقلة العديد من الخطاطين الأتراك والعرب وصولا إلى الفترة المعاصرة؛ وجودّه الأتابكة (فعرف بإسم خط النسخ الأتابكي).

أُطلق عليه اسم خط النسخ لكثرة إستعماله في نسخ الكتب ونقلها، لأنه يساعد الكاتب على السير بقلمه بسرعة أكثر من غيره، ثم كتبت به المصاحف منذ العصور الإسلامية الأولى، وإمتاز بإيضاح الحروف وإظهار جمالها وروعتها.

إعتنى الخطاطون المسلمون بهذا الخط كونه إستخدم في كتابة القرآن الكريم.

تستعمل الصحف والمجلاّت هذا الخط في مطبوعاتها، فهو خط الكتب المطبوعة اليوم في جميع البلاد العربية.

طوّر المحدثون خط النسخ للمطابع والآلات الكاتبة، ولأجهزة التنضيد الضوئي في الحاسوب، وسمّوه «الخط الصحفي» لكتابة الصحف اليومية به.

وتفنن في تنميقه الأتراك الذين أبدعوا فيه وعلى رأسهم الحافظ عثمان الذي وضع ميزان الحروف لهذا الخط ومحمد عزيز الرفاعي الذي نقل هذا الخط إلى مصر ثم ماجد الزهدي الذي نقله إلى العراق.

خط النسخ هو أحد أوضح الخطوط العربية على الإطلاق ويستخدم في كتابة المطبوعات اليومية والكتب التعليمية والمصاحف والمواقع اللإلكترونية، ويعتبر أول خط يتعلمه النشء في العالم العربي والإسلامي

ويعتبر أسهل الخطوط قراءة وكتابة. وهو من الخطوط العربية الستة، ويجمع بين الرصانة والبساطة ومثلما يدل عليه إسمه فقد كان النسّاخون يستخدمونه في نسخ الكتب.

الخط المصحفي

كتبت المصاحف بحروف خط الثلث، وبعد العناية والاهتمام به وتجويده سُمي بالمحقق، ثم تطورت الكتابة لتكون على صورة أخرى سميت بالخط المصحفي جمعت بين خط النسخ والثلث.

خط الإجازة والتوقيع (الرياسي)

وضع أساسه يوسف الشجري في عهد المأمون وأطلق عليه الخط الرياسي إذ أصبح لتحرير الرسائل السلطانية وهو خط مشترك بين الثلث والنسخ. ولقد أجاده وطوّره في فارس الخطاط الرسّام مير علي سلطان (ت ٩١٩هـ ـ ١٦٠٨م).

الخط الفارسي

ظهر الخط الفارسي في بلاد فارس في القرن السابع الهجري (١٣م). ويسمى خط التعليق وهو خط جميل تمتاز حروفه بالدقة والإمتداد. كما يمتاز بسهولته ووضوحه وإنعدام التعقيد فيه. يعد من أجمل الخطوط التي لها طابع خاص يتميز به عن غيره، إذ يتميز بالرشاقة في حروفه فتبدو وكأنها تنحدر في إتجاه واحد، وتزيد من جماله الخطوط الليّنة والمدوّرة فيه، لأنها أطوع في الرسم وأكثر مرونة لاسيما إذا رسمت بدقة وأناقة وحسن توزيع. وقد يعمد الخطاط في

إستعماله إلى الزخرفة للوصول إلى القوة في التعبير بالإفادة من التقويسات والدوائر، فضلًا عن رشاقة الرسم، فقد يربط الفنان بين حروف الكلمة الواحدة والكلمتين ليصل إلى تأليف إطار أو خطوط منحنية وملتفة.

كان الإيرانيون قبل الإسلام يكتبون بالخط «البهلوي»، فلما جاء الإسلام وآمنوا به، إنقلبوا على هذا الخط فأهملوه، وكتبوا بالخط العربي. وقد طوّر الإيرانيون هذا الخط، فإقتبسوا له من جماليات خط النسخ ما جعله سلس القياد، جميل المنظر، لم يسبقهم إلى رسم حروفه أحد. وقد وضع أصوله وأبعاده الخطاط البارع الشهير مير علي الهراوي التبريزي المتوفي سنة ٩١٩ هـ.

نتيجة لإنهماك الإيرانيين في فن الخط الفارسي الذي مارسوه وإختصوا به، فقد مرّ بأطوار متعددة، إزدادت جذوره وأصالته، وإخترعوا منه خطوطًا أخرى مأخوذة عنه، أو هي إن صح التعبير إمتداد له لتطويره.

أنواع الخط الفارسي:

١ ـ خط الشكستة (أي الخط المكسور): إخترعوه من خطي التعليق والديواني. وفي هذا الخط شيء من صعوبة القراءة، فبقي بسبب ذلك محصورًا في إيران، ولم يكتب به أحد من خطاطي العرب أو ينتشر بينهم. كتب الفرس رسائلهم العادية ونقشوا الزخارف بخط دارج مكسر أطلقوا عليه خط الشكسته وهو أقدم الخطوط نشأةً وتداولاً في فارس. في أواخر القرن السابع الهجري ظهر خط فارسي جديد هو خط التعليق وفي القرن التاسع عُرف بخط النستعليق.

كثر إستخدامه في كتابة المخطوطات حياةً وحركةً نتجتا من تعويجاته وإستداراته بخلاف خط الشكسته المتكسّر الذي تمحى فيه الحيوية.

٢ ـ الخط الفارسي المتناظر: كتبوا به الآيات والأشعار والحكم المتناظرة في الكتابة، بحيث ينطبق آخر حرف في الكلمة الأولى مع آخر حرف في الكلمة الأخيرة، وكأنهم يطوون الصفحة من الوسط ويطبعونها على يسارها. ويسمى «خط المرآة الفارسي».

٣ ـ الخط الفارسي المختزل: كتب به الخطاطون الإيرانيون اللوحات التي تتشابه حروف كلماتها بحيث يقرأ الحرف الواحد بأكثر من كلمة، ويقوم بأكثر من دوره في كتابة الحروف الأخرى، ويكتب عوضًا عنها. وفي هذا الخط صعوبة كبيرة للخطاط والقارئ على السواء.

٤ ـ خط التعليق: إستخلصه حسن الفارسي في القرن٤ هـ من أقلام النسخ والرقاع والثلث ثم أصبح له أشكال وأنواع. كُتبت به اللغات الفارسية والهندية والتركية إضافة إلى العربية ولكل كتابة نسبة في الدقّة والغلظة. وبصورة عامة فإن هذا لا يشكّل ولا يجمّل ويمتاز بدقة بعض الحروف في بدايتها أو نهايتها، ويميل هذا الخط إلى اليمين. ولقد طوّر هذا الخط مير علي التبريزي (ت٩١٩هـ ـ ١٥١٣م) ويسمّى نستعليق أي نسخ تعليق.

٥ ـ خط النستعليق: من وجوه تطور الخط الفارسي، التعليق مع خط النسخ، أن إبتدعوا منهما خط «النستعليق». وقد برع الخطاط عماد الدين الشيرازي الحسني في هذا الخط وتفوق به على غيره، ووضع له قاعدة جميلة، تعرف عند الخطاطين باسمه، وهي «قاعدة عماد». أشهر الخطاطين الإيرانيين محمد هاشم الخطاط البغدادي

والمرحوم محمد بدوي الديراني بدمشق، ولكن يبقي السبق للخطاطين الإيرانيين بلا منازع.

ظهر خط النستعليق في إيران في القرنين الثامن والتاسع هجريين (١٤ ـ ١٥م)، على يدي مير علي التبريزي بدمج خطي النسخ والتعليق ومن هنا جاءت تسميته نسخ التعليق أو النستعليق، ثم ساهم خطاطون آخرون في تطويره ومن بينهم مير عماد حسني قزويني وميرزا غلام رضا أصفهاني الذي طوّعه لآلات الطباعة، بما ساهم في نشره.

إنتشر خط النستعليق خاصة في تركيا وفي أفغانستان، كما إنتشر في الباكستان والهند وبنغلاديش وخاصة في كتابة اللغتين الفارسية والأوردية؛ كما يستعمل أيضاً في الكتابة العربية. وهو عادة ما يستعمل في كتابة العناوين.

لخط النستعليق قواعد واضحة للكتابة مثل بقية الخطوط المشرقية عموما. وهو يتميز بمرونته. وتبدو الكلمات فيه وكأنها أكثر إرتفاعا من الجهة اليمنى، ثم تنحدر قليلا نحو اليسار. ويكون الإعجام واضحاً بحيث لا يعمد الكاتب إلى دمج النقاط إلى بعضها.

من أشهر خطّاطي الفرس في القرن الثالث عشر الميلادي محمد بن علي الراوندي، وفي القرن الرابع عشر عبد الله بن محمد بن محمود الهمذاني وكانا خطاطين ومذّهبَيْن معاً.

تبادل الترك والفرس الدراية بالخطوط، فأخذ الترك عن الفرس خط التعليق وبرعوا في إجادته، كما أخذ الفرس عن الترك الخط الديواني ولكنه لم يأخذ المكانة التي أخذها خط التعليق عند الترك ذلك لأنّ

الفرس كانوا أكثر تعصّبًا لخطوطهم على أنها مظهر من مظاهر القومية. برع الفرس في تذهيب المخطوطات وهم أساتذة الأتراك في هذا المضمار؛ وكانت منزلة المذهّب تلي منزلة الخطاط، والكثير من الخطاطين كانوا مذّهبِيْن في نفس الوقت.

صناعة التذهيب ملازمة في الفنون الإيرانية لصناعة الخط ملازمةً جعلت دراسة الخط في تركيا، ومصر من بعدها، لا تستغني عن هذا الفن التكميلي.

الخط الديواني (السلطاني أو الغزلاني)

هو أحد أجمل الخطوط العربية يتميز بالحيوية والطواعية وكأن حروفه تتراقص على الورق. يقال إن أول من وضع قواعده وحدد موازينه الخطاط إبراهيم منيف (٨٦٠ه ـ ١٤٥٥م). وقد عرف هذا الخط بصفة رسمية بعد فتح السلطان العثماني محمد الفاتح للقسطنطينية عام ٨٥٧ ه. وكان حصراً على ديوان السلطان ثم إنتشر وتنوّع. يكتب على السطر كالرقعي بشكل مائل وفي بعض الخطوط دورات في الحروف وإتصال، وكثيراً ما تحتضن الحروف الممدّدة كلمات بعدها.

كان يستعمل في كتابة الأوسمة والنياشين والتعيينات ولهذا سمي بالديواني نسبة إلى الدواوين الحكومية.

كان في أول أمره سر من أسرار القصور في الدوله العثمانية وقد كانت له صورة معقّدة تزدحم فيها الكلمات وتزدحم أسطره إزدحاما لا يترك بينها فراغ يسمح بإضافة أي حرف أو كلمة إليها. هذا التعقيد كان مقصودا لذاته منعا من تغيير النص في تلك الأوراق الرسمية. من أشهر

خطاطي هذا النوع الخطاط مصطفى غزلان بك حتى سمي بالخط الغزلاني نسبة له حيث خرج به من مرحلة التعقيد والإزدحام إلى مرحلة السهولة في الكتابة.

خط الجلي الديواني ظهر أولاً في عهد السلطان مصطفى وكان خطاطاً وكان وزيره شهلا باشا مبدع هذا الخط ثم قام الخطاط راقم (١٢٤١هـ ـ ١٨٢٥م) فجمّله وحسّنه. أما الخط السنبلي فهو مأخوذ عن الديواني إبتكره عارف حكمت عام ١٩١٤م في إسطنبول.

وضع قواعد الخط الديواني الخطاط التركي إبراهيم منيف، في القرن السادس عشر للميلاد في عهد السلطان محمد الثاني. وقد كان يستعمل في كتابة الفرمانات السلطانية. ومن أشهر الخطاطين الأتراك الشيخ حميد الله الذي لقب بقبلة الكتاب.

للخط الديواني جماليته التي يستمدها من حروفه المستديرة والمتداخلة، إلاّ أن ذلك قد يكون على حساب سهولة القراءة، حتى أنه ليصعب أحيانا التمييز بين الألف واللام إن كانا في بداية الكلمة. كما قد يلجأ الخطاط إلى ربط الحروف المنفصلة مثل الراء والواو والألف والدال بالحروف التي تأتي بعدها.

هذا الخط هو خط التمايل والتراقص والتناغم؛ لأنه أكثر الأنواع طواعية للتركيب بسبب المرونة الشديدة في حروفه، وشدة إستدارتها، وسهولة تطويرها. كما أن حرف الألف له مميزات كثيرة من حيث إتصاله باللام وتكوين شكل حلزوني جميل، كما أن الألف واللام يمكن إتصالهما بكثير من الحروف لتكوين أشكال لعديدة.

و بالجملة، فإنه يمكن للخطاط البارع تكوين أي شكل بالخط الديواني.

تفرّع الخط الديواني إلى نوعين من الخط:

ـ الديواني العادي، وهو خال من الزخرفة.

ـ الديواني الجلي. وتكثر فيه العلامات الزخرفية لملء الفراغات بين الحروف، وهو يستعمل في الزخارف أساسا. وهو الخط الذي عُرف في نهاية القرن العاشر الهجري وأوائل القرن الحادي عشر. إبتدعه «شهلا باشا». وقد روّج له أرباب الخط في أنحاء البلاد العثمانية وأولوه العناية بكتابته في المناسبات الجليلة الرسميّة. يمتاز على أصله الذي تفرّع منه ببعض حركاتٍ إعرابيةٍ ونقطٍ مدوّرةٍ زُخرفيّة رغم أنّ حروفه المفردة بقيت مشابهة أصلها الديواني كما تبدو للناظر لأول وهلة. ضُبط هذا الخط بقواعد ميزان النقط على غرار حروف الخط الثلث.

الخط الديواني الجلي يكتب بين خطين متوازيين، العرض بينها هو طول الألف، ثم تتحاشى الكتابة بين الخطين؛ ويكتب بقلمين الأول عريض والثاني ربع عرض الأول، وتُملأً الفراغات بين الحروف بالتشكيل ونقط مدورة وزخارف عديدة، وهو خط نادر ما يكتب به الخطاطون، ولذا فلوحاته قليلة وليست بكثرة اللوحات الأخرى. للخط الديواني الجلي نفس خصائص الخط الديواني من حيث إعتماده على إستدارة الحروف وتداخلها إلا أنه يتميز بكثرة علامات الزخرفة التي تملأ ما بين الحروف، وهو بذلك خط زخرفي بالأساس.

ظهر الخط الديواني الجلي في نهاية القرن ١٠هـ/١٦م وبداية القرن ١١هـ/١٧م وقد أبدعه الخطاط التركي شهلا باشا.

خط الطُغراء

«الطرة» أو «الطغراء» أو «الطغرى» هو شكل جميل يكتب بخط الثلث على شكل مخصوص. خط الطغراء هو تزاوج بين خطي الديواني والإجازة. إستعمل السلاطين العثمانيون الختم على شكل الطغراء عند توقيع البراءات والمنشورات وكان السلطان المملوكي الناصر حسن منذ عام ٧٥٢ه ـ ١٣٥١م أول من إستعمل الطغراء. هذا الخط هو شبيه بأن يكون شارةً أو ختماً أو توقيعاً للملك أو السلطان أو الحاكم، ويتمثل في إدخال الكتابة في الرسم بشيء من التصرف في شكل الخط والخروج على قواعده أحياناً؛ ولا يكتب به إلا نادراً إذ أصبح خطاً مندثراً.

إستمرت الطغراء عند العثمانيين من عهد السلطان سليمان إلى آخر عهد عبد الحميد.

أصلها علامة سلطانية تكتب في الأوامر السلطانية أو على النقود الإسلامية أو غيرها ويذكر فيها إسم السلطان أو لقبه. قال البستاني: «و إتخذ السلاطين والولاة من الترك والعجم والتتر حفاظا لأختامهم، وقد يستعيض السلاطين عن الختم برسم الطغراء السلطانية على البراءات والمنشورات ولها دواوين مخصوصة، على أن الطغراء في الغالب لا تطبع طبعا بل ترسم وتكتب وطبعها على المصكوكات كان يقوم مقام رسم الملوك عند الإفرنج».

قيل أن أصل كلمة طغراء كلمة تترية تحتوى على إسم السلطان الحاكم ولقبه وأن أول من إستعملها السلطان الثالث في الدولة العثمانية مراد الأول. ويروى في أصل الطغراء قصة مفادها أنها شعار قديم لطائر

أسطوري مقدس كان يقدسه سلاطين الأوغوز، وأن كتابة طغراء جاءت بمعنى ظل جناح ذلك الطائر.

لقد إختلطت بهذه الرواية قصة طريفة للطغراء ونشوئها عند العثمانيين وهي أنه لما توترت العلاقات بين السلطان المغولي تيمورلنك حفيد جنكيزخان وبين بايزيد إبن مراد الأول العثماني، أرسل تيمورلنك إنذارا للسلطان بايزيد يهدده بإعلان الحرب، ووقع ذلك الإنذار ببصمة كفه ملطخة بالدم. وقد طوّرت هذه البصمة فيما بعد وإتخذت لكتابة الطغروات بالشكل البدائي الذي كتبه العثمانيون. أقدم ما وصل إلينا من نماذج شبيهة بالطغرواوات ما كان ليستعمل في المكاتبات بإسم السلطان المملوكي الناصر حسن بن السلطان محمد بن قلاوون ٧٥٢ هـ. الطغراء في الغالب مزيجا من خط الديواني وخط الثلث.

خط الرقعة

هو خط عربي سهل يتميز بالسرعة في كتابته ويجمع في حروفه بين القوة والجمال في آن واحد. لا يُهتم بتشكيله إلا في الحدود الضيقة بإستثناء الآيات القرآنية. وهو من الخطوط المعتادة التي تكتب في معظم الدول العربية.

تكتب جميع حروف الرقعة فوق السطر ما عدا الهاء الوسطية والجيم والحاء والخاء والعين والغين المنفصلات وميم آخر الكلمة أو الميم المنفصلة. بشكل عام يميل القلم إلى الأسفل عند التحرك من اليمين إلى اليسار في الكتابة. الخط العربي المكتوب من العامة هذه الأيام يكون غالبا مزيجا بين النسخ والرقعة. وضع قواعد هذا الخط ممتاز بك في عهد السلطان عبد المجيد عام ١٢٨٠هـ ـ ١٨٦٣ م.

نشأة وإنتشار خط الرقعة

١ ـ خط الرقعة الأول

كانت تسمية خط الرقعة في بادئ الأمر تطلق على خط ظهر في بلاد المشرق الإسلامي (العالم الإسلامي باستثناء المغرب العربي والأندلس)، وهو شبيه بالخط الكوفي إلا أنه ليس متطوراً عنه. ولكن دقّة الخطاطين الكوفيين ومقاييسهم التي إستعملوها للحروف والنقط والتلوين أعاقت الكتّاب عن إخراج هذا الخط بصورة خطيّة هندسيّة دقيقة. صاحب الفضل في تجويد هذا الخط هو إبن مقلة الأندلسي في القرن الرابع الهجري، ثم جاء بعده إبن البواب فثبّت قواعده وأصله.

خط الرقعة الأول ليس هو خط الرقعة المعروف بهذا الإسم في القرون المتأخرة بل هو خط عربي عملي إخترع ليستخدم في الأغراض التحريرية والإدارية وليس لكتابة القرآن، فكانت تكتب به الرقاع أي الأوراق أو الرسائل ومن هنا جاءت تسميته.

٢ ـ خط الرقعة الحديث

نشأ خط الرقعة الحديث من خلال خطي النسخ وخط الثلث. يعتقد أن أول من طوّره وإستخدمه الخطاط التركي محمد عزت أفندي. تطوّر خط الرقعة تطوّرا كبيراً في عهد السلطان سليمان القانوني وعبد الحميد الأول ١٢٠٠ هـ.

وضع قواعد هذا الخط ومقاييسه الخطاط التركي أبو بكر ممتاز بن مصطفى أفندي (ممتاز بك) في عهد السلطان عبد المجيد (١٢٨٠ هـ ـ ١٨٦٣ م)، مسميا إياه خط همايون. وقد إنتشر في الدولة العثمانية

إنتشارا كبيراً حتى حلّ محل خط النسخ الذي أصبح خطا مقدّسا يختص بكتابة المصاحف والأحاديث الشريفة.

الخط المغربي

دخلت الكتابة العربية إلى بلاد المغرب منذ القرن الأول هـ/ ٧م مع الفتوحات الإسلامية الأولى وقد وقع تبني كل ما ورد من المشرق، من أساليب كتابية ومن بينها الخط الكوفي، حيث ورد على مدينة القيروان عاصمة المنطقة ومنها انتشر إلى بقية أرجاء بلاد المغرب. وفي القيروان ما لبث الخط الكوفي أن تطور ليتخذ أساليب وخصائص جديدة حتى تسمّى بالخط القيرواني الذي كان يستعمل لكتابة المصاحف، ومنه تولد الخط الإفريقي. كما تطوّر خط نسب إلى مدينة المهدية عاصمة الفاطميين.

فكان كلما دخل منطقة سمي بإسمها، وعلى هذا المنوال جاءت تَسمية هذا الخط بالخط القيرواني؛ ولما دخل إلى المغرب سمي بالخط المغربي وهنا بدأ الإبداع فيه وتجويد أنواعه وسمي الخط الفاسي والخط المراكشي.

أما في الأندلس، فقد تطور فيها الخط الكوفي أيضاً، وظهر نوعان أساسيان تكثر في أحدهما الزوايا سمي بالكوفي الأندلسي، وتكثر في الآخر الإنحناآت والإستدارات وسمي بالقرطبي أو الأندلسي، وقد إستخدم في نسخ المصاحف والكتب.

أما عن أنواع الخطوط المغربية فيقول إبن خلدون: «حصل في دولة بني مرين بالمغرب الأقصى لون من الخط الأندلسي» ثم يوضح أن هذا اللون من الخط إنما هو الأندلسي المتمغرب، حيث أخذت الكتابة تكتمل مغربيتها من عصر بني مرين إلى أن صارت متميزة عن الخط

الأندلسي في وضعها وفي إغفال نقط الحروف الأخيرة وفي عدم تقطيع حروف الكلمة الواحدة بين أخر السطر وأول السطر التالي.

ينسب الخط المغربي إلى مدن أو بلدان معينة:

- القيرواني: يمتاز بحروفه القصيرة والقريبة من بعضها.
- الأندلسي: هو من بين أنواع الخط المغربي أسهلها تعرفاً، حيث أن السطر العمودي هو عامة أدق من السطر الأفقي، وتتجمع الأحرف القصيرة والمستديرة على شكل كثيف، وتكون مجموعات الأسطر غالبًا ما تأتي متقاربة، فـ «ياء» آخر الكلمة توضع نقطة فوق جزئه النهائي بدلاً من أن توضع تحته. تجمّع الكلمات هنا أكثر إلتحاماً مما هو في القيرواني والفاسي.
- الفاسي: يمتاز بطول الأسطر العمودية حيث يبدو أنيقاً وعلى تناسق كبير.
- السوداني أو التمبكتي: نسبة إلى بلاد السودان (أي إفريقيا جنوب الصحراء) أو مدينة تمبكتو (بمالي الحالي)، ويمتاز بكبره وغلظه. شكله جاف، أشكال الحروف الثقيلة هي نهاية في عدم التناسق، الأسطر كثيفة أحياناً ودقيقة أحياناً أخرى، ترتفع الأسطر العمودية إلى علو كبير لا تناسب بينه وبين غلظة الكتابة وشكل القفلات وإنحدار الكتابة العام، قوي البروز.

إستقر الخط الأندلسي المتمغرب في خمسة أنواع، وأشكال:

- o المبسوط: سمي بهذا الإسم لبساطته وسهولة قراءته، وبه تطبع المصاحف المغربية الشريفة.
- o المجوهر: أكثر الخطوط المغربية إستعمالاً، به تحرر الرسائل

الخصوصية والعمومية والمراسيم السلطانية والظهائر الملكية. يكثر إستعماله حيث طبعت به الكتب العلمية في المغرب. نُعت بالمجوهر نسبة لعقد الجوهر لجماله وتناسب حروفه وتناسق سطوره.

o المسند أو الزمامي: خط خاص بالوثائق العدلية والمذكرات الشخصية والتقييدات الذاتية.

o المشرقي: خط مقتبس من الكتابة المشرقية وبخط الثلث خاصة، ولكن اليد المغربية تصرفت فيه ومغربته فكان الذوق المغربي قد أضفى عليه مسحة محلية، بهذا الخط تزخرف عناوين الكتب وتكتب عادة الحروف غليظة متداخلة بعضها في البعض، وأحيانًا يكتب به بماء الذهب، ولا تزال إلى اليوم نماذج منه في الوقفيات الرخامية على جدران المدارس المرينية بفاس ومكناس وسلا، وسمي بالمشرقي لأن أصله من بلاد المشرق.

o الكوفي: خط وجد في المصاحف القديمة منقوشاً على الحجر وأبواب بعض قصبات المغرب وفي المساجد القديمة. هذا الخط تكيّف مع الوضع المغربي، وهذا الخط ورثه المغاربة في جملة ما ورثوه عن الحضارة الأندلسية.

بعض خصائص الخط المغربي

ليس للخط المغربي قواعد محددة أو موازين كما هو الحال بالنسبة للخطوط العربية الأخرى. لذلك فإن الحرف الواحد قد يكتب بأكثر من طريقة في نفس الوثيقة.

- يحتفظ الخط المغربي ببعض الرواسب التي ورثها من الخط الكوفي ذلك أن الألف المتصلة تنحدر قليلا عن مستوى السطر بزائدة

كوفية، كما أن حروف الكاف والصاد والضاد والطاء والظاء تكون ممتدة بما يذكر بالخط الكوفي.

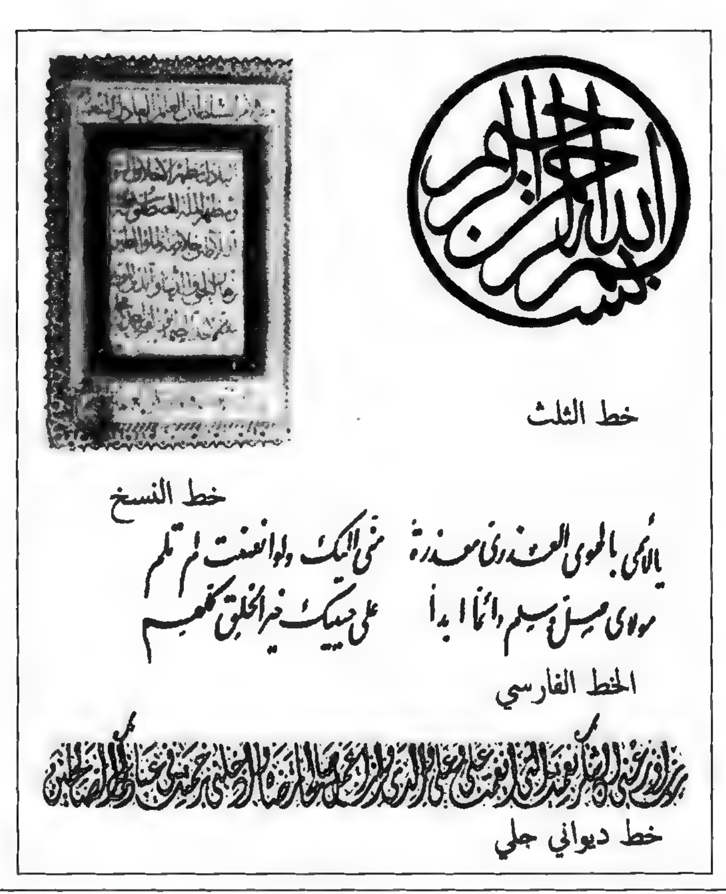
- قلّما تحتفظ حروف الألف واللام والطاء والظاء بشكلها العمودي إذ كثيراً ما تكون في شكل منحني وتحمل في أعلاها ما يشبه النقطة الغليظة. أما بالنسبة لحرف الظاء قد ترسم النقطة على يسار الشلة.
- لا ترسم عادة السنينة بعد حرفي الصاد والضاد، وقد ترسم نقطة الضاد داخل الحرف.
- تتخذ بعض الحروف إمتدادا مبالغا فيه إذا كانت في آخر الكلمة وأساسا منها س، ش، ي، ل، ون.
- كما قد لا تكتب نقط الحروف النهائية في ف، ق، ون.
- يتميز الخط المغربي فيما يتعلق بإعجام حرفي الفاء والقاف، حيث ترسم الفاء بنقطة من أسفل والقاف بنقطة واحدة من فوق.

خط المسلسل

خط المسلسل هو شكل من أشكال خط الثلث تكون الكلمات فيه مرتبطة الواحدة بالأخرى فلا يوجد فراغات بين الكلمات إلا ما ندر، لذا سمي بالمسلسل لشبهه الكبير بالسلسلة.

خط التاج

خط جميل ممتاز، إبتدعه الخطاط المصري محمد محفوظ أيام الملك فؤاد الأول بإقتراح منه وسمّاه الخط التاجي نسبة إلى صاحب التاج وذلك سنة ١٣٤٩ هـ.



خط التاج

سُئل بزرجمهر: "ما العقل، وما الحلم؟" فقال: "ترك ما لا يعني، والعفو عند المقدرة".

خط الرقعة

بالعلمِ ترقى الأُمم وبالأخلاقِ تسود

اللغة العربيّة
والأمم المتحدة

حيث أن تعدد اللغات هو عنصر أساسي في الإتصال المتناسق بين الشعوب، أعطت منظمة الأمم المتحدة أهمية خاصة جداً له. تعدد اللغات يشجع على التسامح، ويكفل أيضاً مشاركة فعالة ومتزايدة للجميع في سير عمل المنظمة، وكذلك فعالية أكبر ونتائج أفضل ومشاركة أكبر. لذا وجب الحفاظ على تعدد اللغات وتشجيعه بإجراءات متعددة داخل منظمة الأمم المتحدة، بروح الإشراك والإتصال.

كان التوازن بين اللغات الرسمية الست ـ الإنجليزية والعربية والصينية والإسبانية والفرنسية والروسية، شغلا شاغلا لكل الأمناء العامين. إتُّخذت عدة إجراءات، منذ عام ١٩٤٦ إلى يومنا هذا، لتعزيز إستعمال اللغات الرسمية حتى تكون أهداف وأعمال الأمم المتحدة مفهومة لدى الجمهور على أوسع نطاق ممكن.

في إطار دعم وتعزيز تعدد اللغات وتعدد الثقافات في الأمم المتحدة، إعتمدت إدارة الأمم المتحدة لشؤون الإعلام قرارا عشية الإحتفال باليوم الدولي للغة الأم الذي يُحتفل به في ٢١ شباط/ فبراير من كل عام بناء على مبادرة من اليونسكو، للإحتفال بكل لغة من

اللغات الرسمية الست للأمم المتحدة. وتقرر الإحتفال باللغة العربية في ١٨ كانون الأول/ديسمبر كونه اليوم الذي صدر فيه قرار الجمعية العامة ٣١٩٠ (د ـ ٢٨) المؤرخ في ١٨ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٣. قررت الجمعية العامة بموجبه إدخال اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية ولغات العمل في الأمم المتحدة.

الغرض من هذا اليوم هو زيادة الوعي بين موظفي الأمم المتحدة بتاريخ كل من اللغات الرسمية الست وثقافتها وتطورها. لكل لغة من اللغات الحرية على إختيار الأسلوب الذي تجده مناسبا في إعداد برنامج أنشطة لليوم الخاص بها، بما في ذلك دعوة شعراء وكتاب وأدباء معروفين، بالإضافة إلى تطوير مواد إعلامية متعلقة بالحدث.

تشمل الأنشطة الثقافية فرق العزف الموسيقية، والقراءات الأدبية، والمسابقات وإقامة المعارض والمحاضرات والعروض الفنية والمسرحية والشعبية. كما تشمل أيضاً تجهيز وجبات طعام تعبير عن التنوع الثقافي للدول الناطقة باللغة، وإقامة عروض سينمائية وحلقات دروس موجزة للراغبين في استكشاف المزيد عن اللغة.

تأثير اللغة العربيّة
على اللغات الأخرى

كان التكلم باللغة العربية قبل الفتح الإسلامي لا يتجاوز سكان الجزيرة العربية، إضافةً إلى أجزاء يسيرة من العراق والشام، ولكن ما أن إمتد الفتح الإسلامي وإتسع حتى حلّت اللغة العربية محل اللغات السائدة آنئذٍ؛ فلقد حلّت محل الفارسية في العراق وبلاد فارس، والروميّة بالشام، والقبطيّة بمصر، واللاتينية بالشمال الإفريقي.

يقول المستشرق رنان في كتابه «تاريخ اللغات السامية»: «إن انتشار اللغة العربية يُعتبر من أغرب ما وقع في تاريخ البشر، كما يُعتبر من أصعب الأمور التي إستعصى حلّها؛ فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ ذي بدء، فبدت فجأة على غاية الكمال سلسة أية سلاسة، غنية أي غنى، كاملة بحيث لم يدخل عليها منذ ذلك العهد إلى يومنا هذا أدنى تعديل مهم، فليس لها طفولة ولا شيخوخة... ظهرت لأول أمرها تامّة مستحكمة، ولا أدري هل وقع مثل ذلك للغة من لغات الأرض قبل أن تدخل في أدوار متعددة... فإن العربية ـ ولا جدال ـ قد عمّت أجزاء كبرى من العالم».

ذكر المستشرقان أنجلمان ودوزي في كتابهما «معجم المفردات

الإسبانية والبرتغالية المشتقّة من اللغة العربية» بأن الكلمات العربية الموجودة في اللغة الإسبانية تعادل ربع كلمات اللغة الإسبانية، وأن في اللغة البرتغالية ما يربو على ثلاثة آلاف كلمة عربية!

كما أبان المستشرق لامانس في كتابه «ملاحظات على الألفاظ الفرنسية المشتقة من العربية» ما يربو على سبعمائة كلمة عربية دخلت اللغة الفرنسية. وقدّم الأستاذ تايلور بحثًا عنوانه «الكلمات العربية في اللغة الإنجليزية Arabic Words In English»، ذاكرًا فيه ما يزيد على ألف كلمة عربية في الطب والكيمياء والفلك والبيولوجيا والجراحة التي دخلت اللغة الإنجليزية.

أما عن تأثير اللغة العربية في اللغة الإيطالية، فيقول رينالدي: «لقد ترك المسلمون عددًا عظيمًا من كلماتهم في اللغة الصقليّة والإيطالية، وإنتقل كثير من الكلمات الصقليّة العربية الأصل إلى اللغة الإيطالية. ولم تكن الكلمات فقط هي التي دخلت إيطاليا، وإنما تسرّبت أيضًا بعض جداول من الدم العربي في الجالية العربية التي نقلها معه. الملك فريدريك الثاني إلى مدينة لوشيرا... ولا يزال الجزء الأعظم من الكلمات العربية الباقية في لغتنا الإيطالية التي تفوق الحصر دخلت بطريق المدنيّة لا بطريق الإستعمار... إن وجود هذه الكلمات في اللغة الإيطالية، يشهد بما كان للمدنيّة العربية من نفوذ عظيم في العالم المسيحي».

لقد كانت نشأة اللغة العربية في شِبه الجزيرة العربية حيث توفَّر لها أسباب صيانتِها والمحافظة على كيانِها لعدَّة قرون قبل الإسلام. وسرْعان ما إنتشر العرب آنذاك في المناطق المجاوِرة، فدخلوا سورية والعراق،

وحلَّت العربيَّة محلَّ اللَّهجات الآراميَّة والسّريانيَّة واللغتَين اليونانيَّة والفارسيَّة فيهما، وكان لها من الخصائص ما ميَّزها عن أخواتها الساميَّات جميعًا، ففيها من عدد أصوات الحروف ما ليس في أيٍّ من اللغات البابليَّة والآشوريَّة والفينيقيَّة والعِبريَّة والسّرْيانيَّة والمندائيَّة والآراميَّة والحميريَّة والحبشيَّة، بل إنَّها تفوق أكثر لغات العالم الحيَّة في هذا الخصوص. فضلاً عن ذلك، تُعد اللغة العربيّة من أغْنى اللُّغات في تعداد أصول ألفاظها، وفي ثرائِها بمفرداتها، وكثرة مترادفاتِها، ودقَّة قواعدها، وأحكام نحوها وصرفها، وفي وفرة أبنيَتها الإشتقاقيَّة وإطراد قياسها لدلالات كثيرة، وفي طواعيتها للمجاز، وإيجاز عبارتها، وجمال أسلوبها وبيانها وبلاغة تعابيره.

لغات الأمة الإسلامية على تنوع أعراقها تحتوي في ثناياها على نسبة بين ٥٠ و٨٠ ٪ من المفردات العربية. ولدينا منها لغات تمثّل ثقافات واسعة الإنتشار كالإسبانية التي ترد كلمة عربية من كل خمس كلمات فيها أي ٢٠٪، وتشمل تجمعات اللغات الفارسية والتركية والهندية والأفريقية والبلقانية. فنجدها مثلا في لغات وسط آسيا القازانية والتترية والقرمية والكاراسية والأذرية والداغستانية والجركسية والقرغيزية والجغتائية والتكية والأوزبكية والكشغيرية.

أما في اللغات الهندية فنجدها في الهندستانية والأوردية والدكنية والكشميرية والسندهية والجادكية والملقية ولسان الجاو أو البيجون. وفي اللغات الفارسية نجدها بالفارسية الحديثة والأفغانية أو البنبتوية (البشتون) والكردية بلهجاتها البادنانية والسورانية والفيلية وكذلك في البلوشية. أما في اللغات الأفريقية فنجدها في البربرية بلهجاتها الشلحية

والقبائلية (الصغرى والكبرى) وكذلك النوبية والحوسية (الهاوسا) والسواحلية (خليط بين الباذبو الأفريقية والعربية تشكل ٧٠٪ منها) وكذلك في الملكاشية. وإنتشرت العربية وأثّرت في اللغات واللهجات الإندونيسية، التي تشكل ثقلاً ثقافياً عالميا كبيراً، وأثرت العربية في لغات أهل البلقان بمجموعها السلافية واللاتينية واليونانية والألبانية.

إستعراض بعض اللغات المتأثّرة باللغة العربيّة

١ ـ الألبانيّة
٢ ـ المالطيّة
٣ ـ الفارسيّة
٤ ـ اليونانيّة
٥ ـ الإيطاليّة
٦ ـ التركيّة
٧ ـ الإسبانيّة
٨ ـ الفرنسيّة
٩ ـ الإنجليزيّة
١٠ ـ اللغات الأفريقيّة

أثر اللغة العربيّة في اللغة الألبانيّة

بالمقارنة مع اللغات الأوروبية المجاورة تُعتبر اللغة الألبانية غنيّة بالمفردات العربية نتيجة للظروف التاريخية التي ربطت ألبانيا والألبان خلال القرون الستة الأخيرة بالشرق والإسلام. فقد إمتد الحكم العثماني في ألبانيا منذ مطلع القرن الخامس عشر، مع أن الصلات العثمانية ـ الألبانية، تعود إلى الربع الأخير للقرن الرابع عشر، وإنتشر الإسلام

بالتدريج وسط الألبان حتى أصبح يمثّل دين الغالبية في القرن السابع عشر. نتيجة لما يمكن تسميته بـ«تشرّق» الثقافة الألبانية دخلت المفردات العربية، بالإضافة إلى المفردات التركية والفارسية، وازدادت زيادة كبيرة حتى أصبحت النصوص الأدبية أيضاً مليئة بهذه المفردات.

تجدر الإشارة إلى أن المرحوم دزداري جمع على هذا النحو ٤٤٠٦ مفردة تعطى الجوانب الإدارية ـ التاريخية والحياتية ـ الثقافية، أي ما كان يُستخدم ولا يزال إلى حد ما في القاموس الشعبي في بعض المناطق الألبانية وما يستخدم الآن في اللغة الأدبية بعد أن استقر في المعاجم الحديثة. وفيما يتعلق بأصول هذه المفردات الشرقية فقد توزعت حسب دزداري كما يلي:

١٤٦٠ مفردة عربية.

١٧٣٢ مفردة تركية.

٥٠٥ مفردة فارسية.

٧٢ مفردة مركبة عربية ـ فارسية.

٤٣٣ مفردة مركبة عربية ـ تركية.

مع تطور الدراسات الألبانية أخذ بعض العلماء في الإهتمام بهذه المفردات ونشر الدراسات حولها من أمثال ف. ميكلوستيش (F. Miklosich) وأ. جوفاني (A. Xhuvani) وأ. دسنيكايا (A. Desinckaja) وإ. تشاباي (E. Qabaj) وأ. كوستالاري (A. Kostalari) ول. مولاكو (L. Mulako) وغيرهم.

أثر اللغة العربيّة في اللغة المالطيّة

إنتقلت إلى جزيرة مالطة عبر التاريخ عدة لغات من أقدمها الفينيقية وآخرها العربية. اللغة المالطية هي اللغة السامية الوحيدة التي تعتبر لغة رسمية في الإتحاد الأوروبي. المالطية مشتقة من العربية الصقلية التي إنشقّت عن اللغة العربية وتطورت في مالطا وصقلية وجنوب إيطاليا في الفترة الزمنية ما بين القرن التاسع والرابع عشر الميلادي.

من أمثلة الكلمات المشتقة من اللغة العربية:

الكلمات العربية	الكلمات المالطيّة
المنزل أو الدار	D id-dar
النار	N in-nar
كيف أنتَ أو كيف حالك أو كيفْ أنتِ	Kif inti
طيب	Tajjeb - tajba
فين	Fejn
متى	Meta
هل تتكلم الإنجليزية	bl-Ingliz Titkellem
أعطني	Aghtini
كم عمرك (كم عندك زمن)	kemm ghandek zmien
عندكم أطباق محلية	lokali Ghandkom platti
لا أستطيع النوم (ما نستطيع نرقد)	Ma nistax norqod
يوجعني هذا السن	Dis-sinna tugghani
الرجل	ir-ragel
المرأة	il-mara

أثر اللغة العربيّة في اللّغة الفارسيّة

دخل العرب بلاد فارس سنة ٣٠ هـ (٦٥١ م) بعد مقتل يزدجر الثالث في وقعة نهاوند التي سُمّيت فتح الفتوح وقد إنتشر الإسلام في ربوع إيران إنتشاراً سريعاً وأسلم الكثير من الفرس في مدة وجيزة. وبإنتشار الإسلام إنتشرت العربية في أنحاء إيران وأصبحت اللغة البهلويّة وخطها مهجورين لأن البهلوية إرتبطت في أذهان الفرس المسلمين بالديانة الزرادشتية فنفروا منها، كما أن الكتابة البهلوية لم تكن شائعة بين الفرس بل كانت محصورة في طبقة خاصة منهم هي طبقة الكتّاب وهذا العامل سهّل على الفرس هجرها وإستعمال الكتابة العربية الجديدة.

وقد مّرت العلاقات اللغوية ومسار التأثير المتبادل بين اللغتين العربية والفارسية بمراحل عديدة، وحالات متعددة من التطوّر والتكامل، نتج عن ذلك تراث إنساني خصب وزاخر بالحيويّة والعطاء، بعد أن سرى التأثير في جميع نواحي اللغتين: ألفاظاً، وجملاً، وخيالاً وتعبيراً.

تُكتب اللغة الفارسية بالحرف العربي، وقد إهتم الفرس بهذا الخط بعد أن صارت تكتب به لغتهم، وإبتكروا أنواعاً جديدة من الخطوط العربية. كان لدراسة اللغة العربية وأدبها شأن عظيم في إيران منذ العصور الأولى للإسلام لكونها لغة الدين ولغة الدولة. وكانت اللغة العربية تُدرَّس في جميع المستويات من الكُتَّاب إلى المدارس العليا وكان يهتم بها طلبة علوم الدين المرشحون للمناصب الحكومية من الكُتاب والعمال، وكان الكُتاب في الغالب على جانب كبير من الثقافة الأدبية العربية بمقتضي مهنتهم.

الفارسية تحتوي على كثير من الألفاظ العربية. يؤكد العلامة حسين مجيب المصري أن كثرة الألفاظ العربية في الفارسية شيء مُلاحظ في النصوص القديمة والحديثة على حد سواء. إن هذه الكثرة تتفاوت، كما أن هذه الألفاظ منها ما دلّ على معنى جديد، لم يكن في العربية، أو منها ما استخدِم بمعناه في العربية. وفي الإمكان متابعة هذه الألفاظ العربية في تزايدها في الفارسية على إمتداد القرون.

إن اللغة الفارسية الجديدة وإن أصبحت لغة الفرس القومية إلا أنها مع ذلك عاشت مع العربية جنباً إلى جنب في تآلف وتعاون وتفاعل، وقد أثّرت كل منهما في الأخرى وتفاعلت معها، وقد أدّت هذه العلاقات الواسعة بين العرب والفرس إلى إنتشار لغتيهما وتبادل التأثير فيما بينهم.

ويمكن القول أن ٦٠٪ من الفارسية هي كلمات عربية الأصل. وكان إحتواء الفارسية على العديد من المفردات والمصطلحات العربية، جعل الفرس يلتزمون كثيراً بقواعد الصرف والنحو العربية كي يفهموا أصول تلك المفردات وإشتقاقاتها. تقوم قواعد العروض والبلاغة وبحور الشعر الفارسي على الأوزان وبحور الشعر العربي، كما أن البلاغة ومصطلحاتها مأخوذة من مثيلاتها العربية وهذا ما يؤكد قوة اللغة العربية وقوة تأثيرها، وقدرتها على التعبير. وقد إنصب إهتمام الناطقين بالفارسية في أول الأمر على تعلم العربية حتى أجادوها، وشاركوا في تطويرها لتتحول من لغة أدب وفصاحة وبيان إلى لغة فنية علمية وإصطلاحية دقيقة. ثم إتجهوا في الجانب الآخر إلى نقل ما كان كتب بالفهلوية إلى العربية والكتابة بها وأخذوا يشاركون أهل الحل والعقد فاتحي البلاد في

تولي المناصب والعمل في الدواوين حتى إستقرت العربية لغة للبلاد، وأصبح العلم بها ضرورة لا غنى عنها.

وكان أول إمتحان لدقة اللغة العربية في التعبير هو إستخدامها في المعاهدات والفصل في الأمر بين الغالب والمغلوب فكتبت بها العقود والشروط، وكانت غاية في الإحكام والإيجاز نظراً لطول المراس بهذا اللون من الأساليب قبل الإسلام وفي عهد الرسول. ثم شرعت العربية تأخذ عن الفارسية ما لا يقع تحت حصر من ألفاظ للطعام والشراب والنباتات والأدوات، وتبنت ألفاظاً جديدة إصطلاحية تتصل بالأرض وشؤونها من مساحة وري، ومن تقسيمات إدارية، ومن مصطلحات وألفاظ عسكرية وإدارية ودبلوماسية مثل: الطَسْق [ضريبة على الأرض نقدية أو عينية] والطَسُّوج [الناحية]، والكورة [الصقع والبقعة] والرستاق [الرُزداق والرُّستاق = السواد والقرى] والبقط [متاع البيت والفرقة من الناس] والبطريق [القائد عند الروم] والمرزبان [الرئيس من الفرس] والأردب [وحدة كيل] وغيرها مما لا إلف للعرب به، وإستقبلت طوفاناً من المصطلحات إستمدتها من علوم شتى ولا سيما خلال مرحلة الترجمة المنظمة التي تمتد من عهد هشام بن عبد الملك حتى عهد المأمون.

شملت الترجمة التي نشطت في العهد العباسي ولا سيما من اليونانية تعدد العلوم العقلية من طب وفلك وحساب وعلم صنعة وعلم حيل وفلاحة بل عرفت العربية مصطلحات أصبحت فروعاً للمعرفة قائمة بذاتها كالفلسفة والموسيقى والجغرافية وغيرها. إستمرت عملية نقل المؤسسات والنظم الخراجية والإدارية وإقتباس ما يتصل بهذا الجانب من المصطلح. كما إمتدت أنظار العرب إلى بعض الكتب الهندية

وبخاصة في الحساب والأزياج، وتعرفوا على عقائد الصابئة والمانوية ونقلوا مصطلحاتها إلى العربية.

إستمر تطور العربية على هذا النحو يشارك فيه العرب وغير العرب على السواء، وإستمرت سيطرتها طويلاً حتى بعد نشأة الدويلات الفارسية على أيام العباسيين، فقد كان ملوك الدولة البويهية (٣٢٠ ـ ٤٤٧ ـ ٩٣٢ ـ ١٠٥٦ م) ينظمون الشعر بها، وكان وزراؤهم من عظماء أدباء العربية مثل ابن العميد وابن عباد وغيرهما.

عندما ظهرت الدويلات الفارسية إتجهت الرغبة إلى بعث مجد الأكاسرة وحضارتهم، فكان إحياء اللغة الفارسية أهم مظهر لهذه الحضارة. غير أن الفارسية التي تطورت في زمان تلك الدويلات كانت تأتي بعد العربية، فقد كانت الأخيرة أداة لكل من تعاطى الأدب واحترف الكتابة وشرطا لازما لكل من لحق بخدمة السلطان، كما كان لغير العرب وخاصة الفرس جانب كبير من التآليف العربية في التراث الأدبي.

هذه اللغة الفارسية الحديثة التي كتب بها الفرس منذ أواخر القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) قد نشأت بجوار العربية، فترعرعت في سلطانها وكتبت بالخط العربي، وإشتملت بالتالي على الألفاظ والمصطلحات العربية، إذ كانت العربية قد تسربت إلى لغة الخطاب في إيران كلها، وغلبت عليها في الحواضر الكبرى وإستأثرت بإصطلاحات العلوم والفنون زمناً طويلاً. فقد كان للقاء العرب بالفرس أثر عظيم في ظاهرة التأثير والتأثر بين اللغتين. وهذه الفارسية التي إنبعثت هي غير الفارسية في عهد الساسانيين.

لما إنتقلت الخلافة العباسية من بغداد إلى مصر في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) طرأ تحول كبير على اللغة الفارسية، التي أصبحت تتمتع بقواعد خاصة بها وبدأت تتخلص من طريقة تركيب الجملة العربية، وتعود إلى أساليب التعبير في الفارسية الوسطى (الفهلوية)، وقام بعض المفكرين والعلماء من الناطقين بالفارسية بوضع تراكيب جديدة.

تأثير اللغة العربية يتجلى في أربعة جوانب:

١ ـ الخط: تكتب اللغة الفارسية بالحرف العربي، وقد إهتم الفرس بهذا الخط بعد أن صارت تكتب به لغتهم، وإبتكروا أنواعاً جديدة من الخطوط العربية.

٢ ـ المفردات والمصطلحات: إن نسبة المفردات التي دخلت من كل من اللغتين في الأخرى، وخاصة المفردات العربية التي دخلت في اللغة الفارسية، هي نسبة عالية لا نجدها في أية لغة عالمية أخرى عرفت كلمات دخيلة، بحيث يمكن القول إن الفارسية اليوم تشتمل على ما يقرب من ٦٠ ٪ كلمات عربية الأصل، مع الإشارة إلى أن أغلب هذه المفردات والمصطلحات العربية التي دخلت الفارسية بقيت على حالها دون تغيير أو تبديل.

٣ ـ النحو: إن احتواء الفارسية على العديد من المفردات والمصطلحات العربية، جعل الفرس يلتزمون كثيراً من قواعد الصرف والنحو العربية كي يفهموا أصول تلك المفردات وإشتقاقاتها.

٤ ـ العروض والبلاغة: تقوم قواعد العروض والبلاغة وبحور الشعر

الفارسي على الأوزان وبحور الشعر نفسها، كما أن البلاغة ومصطلحاتها مأخوذة من مثيلاتها العربية.

وبعد، فإن التشابه بين اللغتين الذي أوهم كثيرين أن اللغة الفارسية لغة سامية، هو في الحقيقة تشابه تأثير وليس تشابه أصل. وهذا ما يؤكد قوة اللغة العربية وقوة تأثيرها، وقدرتها على التعبير.

أثر اللغة العربيّة في اللغة الأرديّة (الأورديّة)

فتح محمد بن القاسم الثقفي السند عام ٩٣ (٧١١ ـ ٧١٢ م). وكان التجار العرب والإيرانيون يردون السواحل الغربية للهند قبل فتح السند، فكانت الروابط التجارية قائمة بين المسلمين وأهل الهند.

ظهرت في شبه القارة الهندية عدة دول إسلامية، مثل الدولة الغزنوية في شمال الهند التي إتخذت لاهور عاصمة لها، ثم أعقبها ظهور السلطنة التركية في دلهي، ثم ظهور الدولة المغلية. وكانت هذه الدول تستخدم اللغة الفارسية لغة رسمية ولغة للآداب والعلوم بجانب العربية التي كان مجالها العلوم الدينية. وعلى الرغم من أن السلطان محمود الغزنوي وقادته وخلفاءه كانوا من الأتراك فانهم كانوا متأثرين بالثقافة الفارسية في الآداب والإدارة، وكان بلاطهم يكتظ بالشعراء الفرس وبعض العلماء العرب أو من يكتبون بالعربية كأبي الريحان البيروني والعتبي وغيرهما.

كانت القوات الإسلامية تضم الترك والأفغان والفرس والعرب، وكان العرب هم الأقل عدداً وخاصة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين بينما كانت القيادة معقودة للأتراك والأفغان. وقيل إن

الجيش الغزنوي في عهد السلطان محمود بن سبكتكين وإبنه السلطان مسعود كان يضم فرقة من الجنود الهندوس المحليين مع قادتها، وهؤلاء الجنود كانوا يحاولون التفاهم بطريقة ما مع عناصر الجيش الأخرى من الأتراك والفرس والعرب، بينما كان الجنود من الأتراك والأفغان والفرس يحتكون بالناس في لاهور ودلهي من منطقة البنجاب ويحاولون الحديث معهم بالتركية وبالفارسية المتأثرة بالعربية. أما الأهالي المحليون فكانوا يتحدثون البنجابية القديمة أو الباشا أو الهندية، فلما طالت المدة وإمتد الزمن حاولوا إيجاد لغة مشتركة يقضون بها لوازم حياتهم اليومية فبرزت لغة جديدة أخذت مفرداتها من التركية والفارسية والعربية والبنجابية والباشا. وهي اللغة الأردية التي عرفت آنذاك باسم (زَبَان أُرْدو معلّى). ويقرر مؤرخو الأدب الأردي واللغة الأردية أنها كانت تعرف في البداية باسم (الهندية أو الهندوية)، ثم تحول هذا الإسم إلى «ريخته»، ثم إستقر الإسم على «أردو» في القرن الثامن عشر الميلادي، وهي كلمة تركية تعني الجيش أو المعسكر.

رغم إختلاف النقاد في الأرض التي ظهرت عليها اللغة الأردية داخل الهند فإنهم يتفقون على أن أتباع الصوفية الذين اتشروا في أرجاء الهند هم الذين لعبوا دوراً كبيراً في الترويج للغة الأردية وتنميتها، وكانوا همزة الوصل بين الإسلام وعامة الناس من الشعب الهندوسي الوثني، فاستخدموها في الدعوة، وألفوا بها كتباً ورسائل كثيرة حتى إشتد عودها وإرتقت وظهر فيها الشعراء، كما جعلها المسلمون وسيلتهم لتحقيق متطلباتهم الدينية والسياسية والإجتماعية والثقافية، وترجموا إليها فيما بعد أهم كتب العربية والفارسية والتركية والإنجليزية.

لأن موطن اللغة الأردية هو شبه القارة الهندية فإن قواعدها وتراكيبها وأفعالها وضمائرها كانت هندية خالصة، أما ألفاظها ومصطلحاتها فقد استمدت من العربية والتركية والفارسية، ثم استبدلت الأفعال الهندية بالأفعال الفارسية، أما العروض ببحوره وقوافيه فهو العروض العربي، وأبجديتها هي الأبجدية العربية مع بعض الحروف الزائدة.

أثر اللغة العربيّة في اللغة البنغاليّة

كان للعرب قبل الإسلام علاقات تجارية بحرية مع الهند بما فيها منطقة البنغال، وإستمرت تلك العلاقات بعد الإسلام، وكان للتجار العرب المسلمين دور كبير في حمل رسالة الدعوة إلى تلك البلاد، فوصل الإسلام إلى سواحل البنغال عن طريقهم منذ أوائل القرن السابع الميلادي، وأخذ ينتشر بالتدريج في أرجاء البلاد الأخرى.

في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي أسس المسلمون الأتراك والأفغان سلطنة دلهي في الهند، وقام القائد الأفغاني باختيار الدين محمد بن بختيار خلجي بفتح بلاد البنغال عام ١٢٠٤ م وجعلها تابعة لسلطنة دلهي، ومن ثم خضعت البنغال للحكم الإسلامي لأول مرة. ومنذ ذلك بدأ الدور الجديد للغة البنغالية، فحكام البنغال المسلمون في هذا العصر، وإن كانوا أتراكاً أو أفغاناً، إتخذوا اللغة الفارسية لغة رسمية للدولة إلا أنهم منحوا اللغة البنغالية حريتها الكاملة ونظروا إليها نظرة تقدير لكونها لغة الشعب، فنهضت وتطورت وبدأت تتأثر بالثقافة الإسلامية، كما دخلتها الألفاظ العربية والفارسية. فلما إستقلت أسرة

حسين شاه بحكم البنغال عن السلطنة في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي حظيت اللغة البنغالية بدعمهم، وإستمرت تنمو وتزدهر حتى مجيء الإستعمار البريطاني للهند.

أما الكتابة والتأليف باللغة البنغالية فقد تأخرا لفترة نظراً لأن اللغة الفارسية، وبجانبها العربية، كانت اللغة الرسمية للدولة الإسلامية ولغة التعليم. ومن ثم فلا نجد للمسلمين أعمالاً أدبية بالبنغالية قبل القرن السادس عشر الميلادي إلا لشاعرين فقط هما: شاه محمد صغير، صاحب منظومة «يوسف وزليخا» وأمير زين الدين صاحب «رسول فيجاني» أي فتوحات الرسول.

أثر اللغة العربيّة في اللغة الملايويّة

إنتشر الإسلام في جنوب شرقي آسيا عن طريق التجارة مع العرب أو الهنود الذين أسلموا من سكان كوجارات. ونشطت الدعوة الإسلامية منذ القرن الخامس عشر الميلادي. ثم تضاعف عدد المسلمين القادمين مع تزايد النشاط التجاري وعقب الحروب المغولية الطاحنة، فعايشوا شعبها وإمتزجوا به وأثروا فيه وتأثروا به، فنشروا الإسلام بين أهله، ونقلوا إليه حضارتهم والكثير من عاداتهم وتقاليدهم.

ومن سومطرة إنتشر الإسلام في أرجاء الملايو، إذ صاهر حاكمها حاكم ملجا (ملقا) على الساحل الغربي لشبه جزيرة الملايو، فأسلم وشكّل مملكة إسلامية واسعة، وأخذ الإسلام ينتشر حيث ينتشر نفوذه حتى أصبحت القوة الإسلامية الكبرى هناك، فإعتنق حكام البلاد في المنطقة الدين الجديد، وإنتشر في البلاد المجاورة.

تنحدر اللغة الملايوية من أسرة الملايوية البولينيسية أو أسرة اللغات الأوسترونيسية. وتتكون من حيث البناء من مجموعة لغات في عدة جزر تقع في مضيق ملجا ، وهي منطقة حيوية بين شبه جزيرة الملايو وجزيرة سومطرة، واللغة الملايوية هي اللغة الرسمية والشعبية ولغة الأدب والعلم في إندونيسيا وماليزيا وسلطنة بروني، ولغة خُمس شعب سنغافورة، كما يستخدمها الملايويون في جنوب تايلاند في منطقة فطاني وفي جنوب الفلبين، فهي لغة تنطق بها شعوب يبلغ تعدادها مائتي مليون نسمة، ويستخدمها الناس في الشؤون الإدارية والتعليمية في معظم المراحل.

تأثرت تلك اللغة بالعربية كثيراً، إذ تشكل ثلث مفرداتها، كما كانت تكتب، حتى الإستعمال الأوروبي، بالحروف العربية مع بعض التعديلات. وكان للدين الإسلامي دور عظيم في نشأة الأدب الملايوي، فلا يكاد يوجد أثر أدبي باللغة الملايوية قبل وصول الإسلام اللهم إلا بعض القصص المتعلقة بالديانة الهندوسية أو البوذية، يروجها الناس مشافهة. تأثّر الشعب الملايوي المسلم بالثقافة الإسلامية يبدو جلياً في العبارات والمفردات العربية الإسلامية على ألسنتهم خلال التعامل اليومي، مثل: سبحان الله، الحمد لله، ما شاء الله، وغير ذلك. كما دخلت لغتهم الألفاظ والمصطلحات الإسلامية التي دخلت لغات المسلمين الأخرى.

عندما وصل الإسلام إلى تلك البلاد، وبدأت كتابة اللغة الملايوية بالحروف العربية أخذت تنهض حتى بدأت حركة الترجمة ونقل المصنفات الإسلامية من العربية إلى الملايوية، فهي من أكثر اللغات

الإسلامية ثراءً بالكتب الإسلامية المترجمة، وعلى رأسها ترجمة معاني القرآن الكريم وكتب التفسير المعتبرة والحديث وأصول الفقه والسيرة النبوية. وزاد إتصالهم بالعالم الإسلامي، فنقلوا القوانين الإسلامية التي عملت بها الخلافة العثمانية.

أثر اللغة العربيّة في اللغة الماليزيّة

كشف أكاديمي ماليزي في دراسة احصائية عن عدد الألفاظ العربية في اللغة الملايوية والتي بلغت ٣٣٠٣ كلمة إستنادا إلى مصادر معتبرة في دول اندونيسيا وماليزيا وبروناي وسنغافورة وجنوب تايلند وذلك بالتعرف على تلك الألفاظ الدخيلة ثم التأكد من أصلها في المعاجم العربية والقيام بتصنفيها وتحليلها بالنظر إلى بنية الكلمة ودلالتها ثم ترتيبها حسب حروف الهجاء.

قال رئيس قسم اللغة العربية وأدابها في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا الدكتور عبدالرحمن بن شيك الكلنتني في تصريح لوكالة اللأنباء الكويتية (كونا) «تعرف هذه الظاهرة بالقرض اللغوي أو الإستعارة اللغوية وهي ظاهرة طبيعية لكل لغة حية لأنها قائمة على مبدأ التأثر والتأثير».

وأضاف بأن اللغة الحية هي التي تأخذ ما تراه مناسبا لها في الوقت الذي تعطي ما تحتاجه للغات الأخرى مشيراً إلى أن ما اخذته اللغة العربية من اللغات الأجنبية منذ عصر ما قبل الإسلام وإلى يومنا هذا يعد قليلا جداً إذا ما قيس باللغات التي تأثرت باللغة العربية وأخذت منها.

أثر اللغة العربيّة في اللغة اليونانيّة

عدد كبير من الكلمات اليونانية أصلها عربية ومن أمثلة هذه الكلمات:

جيد ـ بخير من كلمة خير	KHARA
وفي التقرب من الله تعالى كلمة، قربان	KORBANI
خزنة	KHASNES
بقال	BAKALIS
ريق من كلمة اراق الماء	BRIKI
الدنيا	DOUNIAS
خبر	KHABARI
حبس	KHAPSI
خنجر	KHANDZARI
قماش	KOUMACI
مسافر ـ ضيف	MOUSAFIRIS
مفلس	MOUFLOUZIS
ميدان	MEYDANI
بخير	KHARA
طلاسم	TELASMAS
صابون	SAPON
فنار	FANARION
قانون	KANON

تأثير اللغة العربية في اللغة الإيطالية

أول مطبعة عربية في أوروبا كانت تلك التي أمر بإنشائها الكردينال فرناندو دي مدتشي (Ferdinando de Medici)، كبير دوقات توسكانا (Toscana) وكان يرأس هذه المطبعة، التي كان مقرها في روما، شاب إيطالي من بلدة كريمونا، يدعى جيوفاني بتستا رايموندي، الذي أقام في المشرق فترة طويلة، ويحتمل أنه تعلّم العربية. إهتم جيوفاني بالحروف والخطوط العربية وخصائصها. إستطاع أن يصنع حروفا عربية متعددة الأوضاع: مفردة، متصلة بما قبلها، متصلة بما بعدها، في آخر الكلمة، وأتم حفر وتقطيع هذه الحروف العربية المتحركة المرسومة رسما جميلا. وإبتداء من ٦ أيلول (سبتمبر) ١٥٨٦ بدأت المطبعة في جمع وطبع أول إنتاج لها، وهو كتاب القانون لإبن سينا، ومعه كتاب النجاة الذي هو مختصر الشفاء، وتم إنجاز طبعهما، بعد سبع سنوات، في عام ١٥٩٣.

من أمثلة الكلمات العربية التي دخلت الإيطالية كلمة قالب نجدها في الإيطالية calibro، كلمة مرتبة materasso بمعنى فراش، كلمة الكحول نجدها في الإيطالية alcol، كلمة chitarra من العربية قيثار، كلمة مملوك نجدها في الإيطالية mamelucco وسلطان sultano وزرافة giraffa وقيراط carato، الخ...

كان إهتمام الإيطاليين باللغة العربية لأسباب عديدة، منها التجارة والترجمة؛ وقد تم إفتتاح مدرسة للغة العربية في مدينة جنوى الإيطالية سنة ١٢٠٧ م. ومن الطبيعي أن تترسّب كلمات ذات أصول عربية في اللهجات الإيطالية العامية، نتيجة لتأثير هذه المدرسة وبسبب ما تمت

ترجمته من الكتب العربية ومنها الشعر العربي، ولأن التجار الإيطاليين تاجروا مع العرب فدخل كل منهم موانئ الأخر وربما مدنه ليشتري ويبيع. اللغات كائن حي سريع التفاعل قابل للأخذ والعطاء ودليل ذلك الكثير من الكلمات العربية التي دخلت اللغات الأجنبية.

تأثير اللغة العربيّة في اللغة التركيّة

اللغة دوماً وأبداً، إلى جانب كونها وسيلة إتصال بين البشر، كانت ولا تزال، جسر التواصل الأول بين الحضارات عبر العصور.

التركية	العربية	التركية	العربية	التركية	العربية
FARE	فأرة	KITAP	كتاب	KALELM	قلم
SAHIL	ساحل	MAALA-SAF	مع الأسف	SAAT	ساعة
CUMLE	جملة	KELIME	كلمة	HARIC	خارج
MISAL	مثال	FIIL	فعل	VAKIT	وقت
FEN	فن	ILIM	علم	SABAH	صباح
SIYESE	سياسة	ASK	عشق	IFADE	افادة
Ebeveyn	أبوين	Ebedi	أبدي	TAMAM	تمام
Ehil	أهل	Efkar	أفكار	Efdal	أفضل
Ekmel	أكمل	Ekber	أكبر	Ehli zevk	أهل ذوق
Yntizar	إنتظار	Enfes	أنفَس	Elfaz	ألفاظ
Evham	أوهام	E°καλ	أشكال	Esas	أساس
Ezhan	أذهان	Ezeli	أزلي	Evset	أوسَط

أصيل	Asil	إصلاح	Islah	أية	Ayet
أذان	Ezan	أحوال	Ahvâl	إحياء	Yhya
ألة	Alet	أمل	Emel	آمين	Amin
أمين	Emin	أمر	Emir	أصَالة	Asalet
أصحاب	Ashap	أراضي	Arazi	إكتِفاء	İktifa
إكتِشاف	İktiçaf	إكتِساب	İktisap	أنفِعَال	İnfiâl
إمكان	Ymkan	أوهام	Evham	إقرار	İkrar
إفتراء	İftira	إتّفاق	İttifak	أجَل	Ecel
آداب	Adab	إختِلاف	İhtilaf	إمكان	İmkan
باطِل	Batìl	باطِنيّة	Batìniye	بَدَاهَة	Bedâhet
بَلدة	Belde	بُرهَان	Burhan	بَركة	Bereket
بَيان	Beyan	بَيتُ المَال	Beytülmal	بُخار	Buhar
باقي	Baki	تَبَسُّم	Tebessüm	تَدبير	Tedbir
تدارُس	Tedarüs	تَداوي	Tedavi	تكبير	Tekbir
تَكليف	Teklif	تَلافي	Telâfi	تَمليك	Temlik
تَنزيلات	Tenzilat	تَربية	Terbiye	تَردّد	Tereddüt
تَعليق	Talik	تَنظيم	Tanzim	تَرك	Terk
تَعزية	Taziye	تَبريك	Tebrik	تَبرُّك	Teberrük
تَعصّب	Taassup	تَعيين	Tayin	تاج	Taç
تَعديل	Tadil	تحكُّم	Tahkim	تخيّل	Tahayyül
تَقديم	Takdim	تَقدير	Takdir	تَقيّة	Takìya
تعمّق	Taammuk	تعرّض	Taarruz	تَحقيق	Tahkik

تَابِع	Tabi	تَحليل	Tahlil	تَبليغ	Tebli
جَسَد	Ceset	جَواب	Cevap	جَزاء	Ceza
جِهاد	Cihat	جِهاز	Cihaz	جِسم	Cisim
جمهورية	Cumhuriyet	جُثة	Cüsse	جَاهِل	Cahil
جائِز	Câiz	جَامِع	Cami	جَاذِب	Cazip
جَاسُوس	Casus	جَلَّاد	Cellat	جِوار	Civar
جَمع	Cemi	جَاني	Cani	جُمعة	Cuma
حَقيقة	Hakikat	حَق	Hak	حَكيم	Hakim
حَاكِم	Hakim	حَقير	Hakir	حَال	Hâl
حَلاوة	Halavet	حَلوَة	Havle	حَرب	Harp
حَركة	Hareket	حَريص	Haris	حَسَن	Hasan
حَسَد	Haset	حِس	His	حَشَرة	Ha°ερε
حِكاية	Hikaye	حُقوق	Hukuk	حَافِظة	Hafîza
حُرية	Hürriyet	حُزن	Hüzün	حِساب	Hesap
خِدمة	Hizmet	خَلاص	Halas	خَالق	Hâlik
خَريطة	Harita	خَزينة	Hazine	خُرافات	Hurafât
خَطأ	Hata	خَــــارِق العَادة	Harik-ul ade	خَائِن	Hain
خَطَاط	Hattat	خَارجِية	Hariciye	دَاخلِيّة	Dahiliye
دَائِم	Dâim	دَائِرة	Dâire	دَائِما	Dâima
دُكان	Dükkan	دَرس	Ders	دُعَاء	Duâ
دَقيقة	Dakika	دَقيق	Dakik	دَواء	Devâ

دُنيا	Dünya	دَليل	Delil	دفعَة	Defet
ذَكاء	Zeka	ذِكر	Zikir	ذَكي	Zeki
ذَوق	Zevk	ذِهن	Zihin	ذليل	Zelil
رَقَم	Rakam	رزّاق	Rezzak	رأي	Rey
رَائِج	Râyiç	رَاحَة	Rahat	رَاضي	Razi
رِضاء	Rıza	رَئيس	Reis	رَب	Rab
رَسم	Resim	رَحمان	Rahman	رُطُوبَة	Rutubet
رَغبَة	Rabet	رَهْن	Rehin	رُوح	Ruh
رُؤيا	Rüya	رِياء	Riya	رَحيم	Rahim
رَسُول	Resul	رُشوَة	Rü°ϖετ	زُجاجية	Zücaciye
زَيتُون	Zeytin	زَوجَة	Zevce	زَلزَلَة	Zelzele
زُرافة	Zürafa	سَعيد	Sayıt	سَعادة	Saadet
سَاعة	Saat	سَاحِل	Sahil	سُرعة	Sürat
سَاحَة	Saha	سَاكِن	Sakin	سَبب	Sebep
سِحر	Sihir	سِر	Sır	سَراب	Serap
سَطر	Satır	سُلوك	Suluk	سَفارة	Sefaret
سَهل	Sehl	سَفير	Sefir	سَفيه	Sefih
سِلسِلة	Silsile	سُلطان	Sultan	سَماء	Sema
سَلام	Selam	سَابقة	Sabıka	سُنَة	Sünnet
شَرح	ªerh	شَرط	ªart	شَرَف	ªeref
شَرق	ªark	شَرِكة	ªirket	شَوق	ªevk
شُورى	ªura	شَيطان	ªeytan	شَمسيّة	ªemsiye

شَهادة	ªahadet	شِفاء	ªifa	شَامِل	ªamil
صَابون	Sabun	صَافي	Safi	صَباح	sabah
صَبر	Sabìr	صُحبة	Sohbet	صِحّة	Sìhhat
صَدَاقَة	Sadakat	صَراحَة	Sarahat	صَاحِب	Sahip
صَرّاف	Sarraf	صَريح	Sarih	صِناعي	Sìnai
ضَروري	Zaruri	ضَعيف	Zayìf	ضِيافَة	Ziyafet
ضلالة	Dalalet	ضَربة	Darbe	طَبيب	Tabip
طَبيعَة	Tabiat	طَبيعي	Tabi	طَمَع	Tamah
طُوفان	Tufan	طَيّارة	Tayyare	طَاغي	Tai
ظَرف	Zarf	ظَالِم	Zalim	ظَاهِر	Zahir
عَاجِز	Aciz	عَاجِل	Acil	عَادِل	Adil
عَاصي	Asi	عِبادَة	Ybadet	عَافية	Afiyet
عَالم	Alim	عَسكَر	Asker	عَشق	A°ĸ
عَصر	Asìr	عَصبي	Asabi	عَامِل	Amil
عَزيز	Aziz	عَاصِي	Asi	عُنصر	Unsur
عِناد	Ynat	عَائِق	Aik	عَائِلة	Aile
عَضلة	Adale	عَدالة	Adalet	عَذاب	Azap
عَربة	Araba	عَرض	Arz	عَزم	Azim
عَزيز	Aziz	عِفّة	Yffet	عَقد	Akit
عَقرب	Akrep	عَقيدة	Akide	عَلاقَة	Alaka
عَلامَة	Alamet	عَمليّة	Ameliyat	عُود	Ut
عَودة	Avdet	عَيب	Ayìp	غاية	Gaye

غَريب	Garip	غَضَب	Gazap	غَازي	Gazi
غَرض	Garaz	غَالِب	Galip	فَصيح	Fasih
فَلَك	Felek	فِكر	Fikir	فِرار	Firar
فرصَة	Fìrsat	فَساد	Fesat	فِيل	Fil
فَضاء	Feza	فَعالية	Faaliyet	فِعلاً	Fiilen
فِكر	Fikir	فَرَح	Ferah	قِياس	Kìyas
قَلَم	Kâlem	قَبُول	Kabul	قَبر	Kabir
قَاتِل	Katil	قَاعِدة	Kaide	قِرطاسيّة	Kìrtasiye
قَافِلة	Kafile	قَانُون	Kanun	قُبّة	Kubbe
قَصد	Kasìt	قَفَص	Kafes	قَلب	Kalp
كِتاب	Kitap	كَفالَة	Kefalet	كُفْر	Küfür
كَافِر	Kafir	كَفِيل	Kefil	كَلِمَة	Kelime
كَميَة	Kemiyet	كَيفيّة	Keyfiyet	كِيمياء	Kimya
كِبر	Kibir	كائِنات	Kainat	لِسان	Lisan
لَكِن	Lakin	لَوحَة	Levha	لِياقَة	Liyakat
ليمون	Limon	لازِم	Lazim	لَحِن	Lehin
مَعدَن	Maden	مَعدني	Madeni	مَعذَرَة	Mazeret
مَعذور	Mazur	مَعلوم	Malûm	مَعلومات	Malûmat
مُقدّسات	Mukaddesat	مُكافئة	Mükafat	مَكان	Mekan
مِلَّة	Millet	مُلتَجي	Mülteci	مُمَثّل	Mümessil
مُمكن	Mümkün	مَمنون	Memnun	مَهارَة	Maharet
مَاهِر	Mahir	مُهندس	Mühendis	مُوافِق	Muvafik

مُوافَقَة	Muvafakat	موجود	Mevcut	مُوز	Muz
مَيدان	Meydan	مِيراث	Miras	مُعتبر	Mutеber
مَال	Mal	مَالِك	Malik	مُوظف	Muvazzaf
مُبالَغة	Mübalaa	مَبلَغ	Mebla	مَطبَعة	Matbaa
مُنجّم	Müneccim	مُتَجاوِز	Mütecaviz	مُتخصّص	Mütehassis
مُتردِّد	Mütereddit	مُتَرجم	Mütercim	مَتروك	Metruk
مُجادَلة	Mücadele	مُعامَلة	Muamele	مَجلِس	Meclis
مَجهُول	Meçhul	مُحَاسِب	Muhasip	مُحَاسَبة	Muhasebe
مُحاكَمة	Muhakeme	مُحَبّة	Muhabbet	مُحتاج	Muhtaç
مُحترم	Muhterem	مُحتشَم	Muhte°εμ	مُحتَمل	Muhtemel
مَرحَبا	Merhaba	مَرحَلة	Merhale	مَركَز	Merkez
مِزاح	Mizah	مَزاد	Mezat	مُسابَقة	Müsabaka
مَسافَة	Mesafe	مُسافِر	Misafir	مَسألة	Mesele
مُستشار	Müste°αρ	مُستقبل	Müstakbel	مَسجِد	Mescit
مَسؤول	Mesul	مَسؤولية	Mesuliyet	مِسوَدّة	Müsvedde
مَعبَد	Mabet	مَقام	Makam	مُغلق	Mulak
مَعلوم	Malum	مُطيع	Muti	مُطلق	Mutlak
مُقيم	Mukim	نَباتات	Nebatat	نَتيجة	Netice
نُسخة	Nüsha	نَصيحَة	Nasihat	نِظام	Nizam
نَفيس	Nefis	نَقد	Nakit	نُقصَان	Noksan
نِيّة	Niyet	نَادِر	Nadir	نَادِم	Nadim
هَدَف	Hedef	هَدية	Hediye	هَضم	Hazim

هُوية	Hüvıyet	هَيْبَة	Heybet	هَيكل	Heykel
هَواء	Hava	هِلال	Hilal	هُجوم	Hücum
هَيئَة	Heyet	وَصيت	Vasiyet	وَاقِعة	Vakìa
وَدَاع	Veda	وَصِيَة	Vasiyet	وَطَن	Vatan
وَفاء	Vefa	وَقت	Vakit	وَلاية	Velayet
وَهْم	Vehim	وَارِث	Varis	ياقُوت	Yakut
يَتيم	Yetim	يَمين	Yemin	يأس	Yeis

تأثير اللغة العربيّة في اللغة الإسبانيّة

إسبانيا ترتبط بقوّة بالعالم الإسلامي، وليس لدى إسبانيا فقط علاقاتٌ دبلوماسية قوَّية بعددٍ كبير من الدول العربيَّة لكن لديها أيضًا الوجود الحقيقي للحضارة الإسلامية بشبهِ الجزيرة الأيْبيريّة على مدى قُرابة ثمانيةِ قرون منذ العهد الأندلسي.

الأندلسُ، التي كانت تسمَّى أيضًا «أَيْبيرية المُوروِيّة»، يمكن وصفُها بإعتبارها الأمَّةَ والمنطقةَ التي حكمها المسلمون منذ بداية الخلافة في قرطبة عام ٧١١م إلى سقوط غرناطةَ عام م ١٤٩٢.

ظلَّت المنطقة تتغيَّر بصورة ثابتةٍ طوال هذه الفترة، حتى بلغت الأندلسُ أكبرَ توسُّعاتِها في القرن العاشر، عندما شكّلت ثلاثةَ أرباعِ شبة جزيرة أَيْبريا.

بعد سقوط غرناطة حاول الحكّام الإسبانُ محوَ آثار مسلمي أَيْبيريا، ولعدَّة قرون كان لدى إسبانيا موقفٌ مزدوج تجاه الوجود الممتدِّ زمنًا طويلاً لمسلمي أَيبيريا على أراضيها.

بعض العلماء من ناحيةٍ أكدوا تفوُّق الحضارة الأندلسية على الحضارة الأوربية في ذلك الوقت، ومِنَ الناحية العقلية إزدهرتْ شبهُ الجزيرة تحت حُكم العرب الذين أنتجوا علومَ الفلسفة والرياضيَّات والهندسة المِعمارية الإسلامية، بالإضافة إلى المعارف اليونانية؛ مثل: الفلسفة والطب وعلم الفلك.

ومن ناحية أخرى طبَّق العرب دينًا مختلفًا، والدولة كانت منظَّمة بطريقة مختلفة، والثقافة إختلفتْ بصورةٍ كبيرة عن الثقافة الإسبانية؛ ونتيجة لذلك رأى كثيرٌ من العلماء الوجودَ الطويل لمسلمي أَيبيريا، في القرن الثامن على شبهِ الجزيرة الأَيْبيرية، إعاقةً لتطوُّر الثقافة الإِسبانية.

وسواء شكَّلت الأندلس إستمرارًا أم إعاقةً للثَّقافة والتاريخ الإسباني، فقد ترك الوجودُ الممتد للمسلمين إرثًا على شبه الجزيرة، يُرى أثرُه بوضوح في اللُّغة الإسبانية.

الإسبانية لغة رومانسية؛ فقد نشأتْ عن اللهجات الشعبية المحلِّية اللاتينية بشمال شبه الجزيرة. قُبيل هذا تأثرت اللاتينية بالعديد من اللُّغات الأيبيرية المحلية؛ مثل: الكلتية ولغةِ الباسك في الشمال، إلا أنها إكتسبت أكثرَ التأثيرات الخارجية أهميةً من فترة الأندلس في العصور الوسطى.

بالرغم من كون العربية الفصحى اللغة الرسمية للأراضي الإسلامية، إلا أنه قد وجد لغتانِ عامِّيتان إقليميتان: لهجةٌ عربية محلية مختلطة باللاتينية والكلمات الرومانسية، وكانت تُسمَّى أيضًا العربية الأندلسيَّة، التي كانت تستخدم من قِبَل المسلمين بصفة أساسية، ولهجة شعبية

رومانسية، كانت تُستخدم من قِبَل المستعرِبين أو المواطنين النَّصارى بالأراضي الإسلاميَّة.

بعد إستيلاءِ الملوك النصارى على الأراضي الَّتي كانت بين يدي حكَّام المسلمين، وإنهيارِ الإمبراطورية الإسلاميَّة في شبه الجزيرة الأيبيرية، إلاّ أن تأثير الكلماتِ العربيةَ على اللغة الإِسبانية المستخدَمة في مملكة قَشتالة الشَّمالية، والتي أصبحت اللَّهجةَ الغالبة في الدولة الإسبانية الموحَّدة حينها.

إنَّ تأثير اللغة العربية على اللغة الإسبانية في الغالب معجميّ؛ وهذا يعني أنه يُرى بصفة رئيسة في مفردات اللغة الإسبانية أكثر من قواعدها أو تراكيبها النحوية، وقد قُدِّر أن هناك ما يزيد على ٤٠٠٠ كلمة عربية مستعارة، وأكثر من ١٠٠٠ جذر لغوي عربي، وهما معاً يشكِّلان ٨ ٪ من المفردات الإسبانية.

الكلماتِ الإسبانيةَ المشتقَّة عن العربية توجد بصفةٍ أساسية في المجالات التي أدخلها العرب لشبه الجزيرة. أحد الأمثلة على ذلك القضاء، الذي إعتمد على الشريعة الإسلامية؛ فكلمات مثل «asesino» و«rehén»؛ أي المحبوس والرهينة، و«tarifa» التعريفة، كلّها دخلت الإسبانيَّةَ من خلال العربية.

ومن المجالات المهمّة الأخرى تلك التي تحتوي على كلمات تتعلَّق بالإدارة والأعمال؛ فالكلمة الإسبانية «alcalde» أي العمدة، إشتُقت من الكلمة العربيَّة «القاضي»، وكلمة «alguacil» إشتقت من كلمة الوزير، ونماذج أخرى، مثل «quilate» التي تعني القيراط.

يوجد العديد من المجالات الأخرى التي تحتوي على كلماتٍ مقترَضة من العربية: أسماء أطعمة؛ مثل: «aceite» الزيت، «arroz» الأرز، وكذلك مصطلحات علم الفلك والرياضيات؛ مثل: cenit سنتي، و«cero» الصفر، بالإضافة إلى كلماتٍ فنيَّة لمِهَنٍ متنوعة، مثل: «alfarero» خَاري، و«albañil» البناء، «alberca» المخزن أو المستودَع.

يوجدُ حالاتٌ قليلة لتأثير العربية على اللغة الإسبانية غيرُ متعلِّقة بالمفردات، وأكثر هذه التعبيرات شهرة «ojalá» التي اشتُّقت من الجملة العربية «إن شاء الله»، وهذه الكلمة لا تزال تستخدَمُ كثيرًا عبر إسبانيا وأمريكا اللاتينية.

يتراوح عدد الكلمات من أصل عربي في نطاق اللغة الإسبانية بين ٣٠٠٠ و٤٠٠٠ كلمة.

إن بقايا تأثير أيبيريا الإسلامية في «أيبيريا المورو» لا تزال مشاهدةً اليوم، ليس فقط في الأندلس؛ ولكن في سائرِ الدولة، والأكثر شهرة هي Giralda المئذنة التي تحوَّلت إلى برج كنيسة في إشبيلية Sevilla، والمسجد الكبير بقرطبة، وبالطبع قصر الحمراء بغرناطة.

أسماء أماكن ومدن في إسبانيا والبرتغال مشتقّة من العربيّة

Andalucia ـ مشتقّة من الإندلوس؛ الإسم الذي كان العرب يطلقونه على إيبيريا.

Albacete ـ بمعنى السهل. إسم مدينة إسبانيّة مشتق من «الباسط».

Algarve ـ الغربز

Algeciras ـ الجزيرة الخضراء.

Almeria ـ المرايا (برج المراقبة).

Guadalajara ـ وادي الحجارة.

Lisboa ـ الأشبونة (عاصمة البرتغال).

Madrid ـ المجريط (مصدر الماء).

Tarfia ـ نسبة إلى طريف إبن مالك، قائد عربي يعتبر أول من قاد حملة في فتح الأندلس، وهنالك جزيرة في الأندلس سميت على إسمه طريف، كما أنه هناك مدينة تحمل إسمه وهي «تاريفا» في أقصى جنوب إسبانيا.

Guadalquivir ـ الوادي الكبير

Mulhacen ـ أعلى جبل في إسبانيا (٣٤٧٧ متر)، نسبة إلى أبو حسّان علي مولاي الحسن حاكم غرناطة في القرن الخامس عشر.

الكلمات الإسبانيّة المشتقّة من العربيّة

A	ababol	abacero	abadí
abalorio	abarraz	abasí	Abelmosco
abencerraje	abenuz	abismal	abitaque
acebibe	Acebu -chea-ceche	aceifa	aceite
aceituna	aceituní	acelga	acémila
acemite	aceña	acequia	acerola
acetre	aciar	acíbar	acicalar
acicate	acidaque	acimut	ación

acirate	acitara	achacar	adafina
adalid	adaraja	Adargaa — dárgama	adarme
Adarvara — darve	adaza	adefera	adehala
adelfa	adema	ademe	adermar
aderra	adiafa	adivas	adive
adobe	adoquín	ador	adra
aduana	aduar	adúcar	adufa
adufe	adul	adula	adunia
adutaque	afán/afanar	afice	aguajaque
agüela	ajabeba	ajaquefa	ajaraca
ajarafe	ajebe	ajedrea	ajedrez
ajenuz	ajimez	ajomate	ajonjolí
ajorca	ajorrar	ajuagas	ajuar
Alá	alacena	alacet	alacrán
aladar	aladroque	alafa	alafia
alahílca	alajor	alajú	alamar
alambor	alamín	alamud	alaqueca
alárabe	alarde	alarido	alarife
alarije	alaroz	alaroza	alatar
alatrón	alazán	alazor	albacara

albaida	albahío	albahaca	albadena	albacora	albacea
albaquia	albañil	albañal	albaní	albanega	albanar
albardín	albardán	albarda	albarazo	albarrán	albarán
albayalde	albatoza	albarra-na	albarrán	albarra-da	albarico-que
albihar	albérchi-go	alberca	albengala	albenda	albéitar
albohol		alboheza	albogue	alboaire	albitana
albornoz	albornía	alborga	albórbo-la	albóndi-ga	albollón
albudeca	albricias	albotín	alborozo	alboro-que	alboro-nía
alcacel	alcabtea	alcabor	alcabala	albur	albufera
alcaicería	alcahuete	alcahaz	alcafar	alcaduz	alcacho-fa
alcamo-nías	alcamiz	alcaller	álcali	alcalde	alcaide
alcan-dora	alcandía	alcán-dara	alcancía	alcaná	alcana
alcara-ván	alcaparra	alcantar-illa	alcántara	alcanfor	alcanería
alcatara	alcatanes	alcarria	alcarraza	alcarceña	alcaravea
alcazaba	alcavela	alcaucil	alcatraz	alcatifa	alquitara
alcoholar	alcohol	alcohela	alcoba	alcazuz	alcázar

alcorza	alcorque	alcorcí	alcora	alcor	alcolla
alcuña	alcubilla	alcuacil	alcrebite	alcotana	alcotán
aldeano	aldea	aldaba	alchub	alcuzcuz	alcuza
alerce	alema	alejija	aleja	alefriz	aldiza
alfaba	aleya	alevosía	alevoso	aleve	aletría
alfaida	alfahar-ería	alfahar	alfaguara	alfadía	alfábega
alfaquí	alfaque-que	alfaque	alfane-que	alfalfa	alfajeme
alfarje	alfareme	alfardón	alfarda	alfaraz	alfaquín
alfeñique	alféizar	alfazaque	alfayate	alfaya	alfarra-zar
atahor-ma	alficoz	alferza	alferraz	alferez	alferecía
atanor	atambor	atalvina	atalaya	ataire	ataifor
atarraga	atarjea	atarfe	ataraza-na	ataracea	atanquía
atijara	atifle	ataurique	ataujía	ataúd	atarraya
atríaca	atoque	atracae	atocha	atoba	atíncar
avería	aulaga	auge	atutía	atún	atriaca
azache	azacaya	azacán	azabara	azabache	ayatolá
azándar	azamboa	azalá	azafrán	azafata	azafate
azarja	azarcón	azarbe	azar	azaquefa	azaque

azogue	azofrar	azofra	azófar	azarote	azarnefe
azoya	azotea	azote	azorafa	azor	azolvar
azufaifa	azud	azuche	azucena	azucarí	azúcar
azumbre	azúmbar	azulejo	azulaque	azul	azufaifo
badana	badán	badal	babucha	babismo	B
baída	baharí	bagarino	badial	badén	badea
balda	balate	balaje	balaj	baladí	bajá
barbaca-na	baraka	baño	bancal	balde	baldar
batán	bata	barrio	barragán	bardaje	barcino
belez	bazar	baza	bayal	baurac	batea
berberís	berberí	benjui	benimer-ín	ben	bellota
bocací	bezoar	bezaar	berenje-nal	berenje-na	bereber
boronía	borní	bórax	bófeta	bodocal	bodoque
C	buzaque	buz	burche	bulbul	botor
cáfila	café	cadira	cadí	cachera	cabila
cala	caimacán	cáid	caftán	cafre	cafiz
calibre	cálibo	calí	calahorra	calafa-tear	calafate
cáncano	cancanil-la	cáncana	canana	camocán	cambuj

caracoa	cárabo	cárabe	caraba	canfor	cande
carcajear	carcajada	caravasar	caravana	caramu-zal	caramida
carraca	carmín	carmesí	carmen	carme	carcax
cazurro	catifa	catán	cártamo	cártama	carrafa
cegrí	cegatero	cedoaria	ceca	cebtí	cebiche
cendolil-la	cenacho	celemi-nero	celemín	celemí	ceje
cequí	cenit	cenia	cení	ceneque	cenefa
chafarote	chafariz	ceutí	cetís	cero	cerbata-na
chiquero	chilaba	chiísmo	chifla	charrán	chaleco
cianí	chupa	choz	chivo	chisme	chirivía
ciclán	cicatero	cicatear	cicalar	cica	cibica
címbara	cifra/ci-frar	cifaque	cid	ciclatón	ciclar
civeto	civeta	citara	circón	cimitarra	cimboga
colcótar	coime	coima	cofa	cobista	coba
jabeque	jabeca	jabalón	jabalí	J	cora
jaez	jadraque	jacerino	jácena	jácara	jabí
jalma	jaique	jaima	jaharrar	jaharral	jaharí
jaqueca	jaque	japuta	jámila	jametería	jaloque
jareta	jarcha	jaraíz	jarabe	jara	jáquima

jatib	jarra	jarquía	jarifa	jarifo	jaricar
jemesía	jeliz	jebe	jazmín	jazarina	jazarino
jirafa	jinete	jifa	jeta	jerife	jeque
jorro	joroba	jorfe	jofor	jofaina	jirel
laca	L	kermes	K	jurdía	juba
leila	lebení	lebeche	laúd	latón	lapislá-zuli
macabro	M	loco	limón	lima	lelilí
maharo-na	maharon	maglaca	magacén	madraza	macsura
majzén	majareta	maimón	marrano	marrana	maharra-na
marabú	maquila	mandil	mandeís-mo	mamola	mamelu-co
margo-mar	marfuz/a	marfil	marcha-mo	marcasi-ta	maravedí
Marro-quí	marras	maroma	maroja	marlota	marjal
mauraca	matula	matraca	matarife	matafa-lúa	masamu-da
mazorca	mazmor-ra	mazmo-dina	mazar-rón	mazarí	mazapán
mengana	mengano	mejunje	mejala	mechinal	Meca

mía	mezquito	mezqui-no	metical	mercal	meque-trefe
moharra	mogate	mogataz	moaxaja	Miramamolín	mihrab
momia	mojí	mohino	mohedal	mohatra	moharra-cho
mozár-abe	morapio	moraga	morabito	monfí	mona
muslime	muslim	mulquía	mujalata	muftí	mudéjar
nádir	nadir	nácara	nacar	nabí	N
natrón	narguile	naranja	naipe	naife	nagüela
O	nuca	noria	nesga	nenúfar	nazarí
Q	ox	orozuz	oque	omeya	ojalá
quintal	quina	quilma	quirate	quilate	quermes
rábida	rabel	rabazuz	rabal	rabadán	R
rambla	ramadán	rahez	ragua	rafe	rafal
recamar	rebite	rebato	real	rauta	rauda
rejalgar	rehén	rehalí	rehala	redoma	recua
robo	robda	rincón	retama	resma	requive
Saharaui	S	roque	ronzal	rumí	romí
secácul	sebestén	sarrace-no	sandía	salema	sajelar
soltaní	soldán	sófora	sofí	siroco	serafín

tabefe	tabaque	tabal	T	sura	sufi
tagarina	tagarino	tafurea	taca	tabique	tabica
tajea&za-lear	Taifa	tahona	tahalí	taha	tagarni-na
zanahor-ia	zambra	zamacu-co	zalona	zalmedi-na	zalema/zalama
zaratán	zarandil-lo	zaranda	z a r a - güelles	zaquiza-mí	zaque
zoco	zéjel	zatara	zarzahán	zarraca-tín	zarco
zumaque	zulla	zulaque	zubia	zorzal	zofra
			zurriaga	zuna	zumo

أثر اللغة العربية في اللغة الفرنسية

لقد إهتم بعض الباحثين الأوروبيين بدراسة الكلمات العربية الدخيلة في المعجمات وتتبُع تاريخ دخولها فيها، فالكاتب الفرنسي بيير جيرو أقرّ بتأثير اللغة العربية في اللغة الفرنسية وقدّم قائمة من مائتين وثمانين كلمة خلت من العربية إلى الفرنسية في عصور متعددة من التاريخ. وعني فريق آخر بدراسة هذه الكلمات العربية الدخيلة بإظهار الوسائل والطرق التي دخلت من خلالها إلى فرنسا ولغتها مؤكداً على توثيق تلك المعلومات وإسنادها بالدليل العلمي المتوفر، وقدّم قائمة حوَت أكثر من ستمائة كلمة. كما أبان المستشرق لامانس في كتابه «ملاحظات على الألفاظ الفرنسية المشتقة من العربية» ما يربو على سبعمائة كلمة عربية.

وكذلك ذكرت السيدة هـ. والتر (Henriette Walter) في مقدمة كتابها «L'aventure Des Mots Francais Venus D'ailleurs» أن مـن بـيـن ٤١٩٢ كلمة فرنسية ذات أصل أجنبي، هناك ٢١٤ كلمة عربية، أي بنسبة ٥,١ ٪.

(A) abricot	alambic	alchimie	alcool	alcôve
alezan	algèbre	algorithme	alidade	almanach
amalgame	ambre	amiral	aniline	arcane
arrobe	arsenal	artichaut	assassin	aubergine
aval	avarie	azimut	azure	(B)
babouche	baldaquin	banane	barkhane	baobab
barda	baroque	baroud	benjoin	benzine
bergamote	bled	Blouse	borax	bougie
(C)	cabas	câble	cafard	café
caïd	calfeutrer	calibre	calife	camaïeu
camélia	camelot,	camelote	camphre	
candie	carafe	caravelle	carat	carmin
caroussel	carvi	chèque	chiffre	chimie
chouia	civette	c l e b s (chien, en argot)	coton	couffin
coupole	cramoisi	cravache	cumin	cuscute
(D)	dame	divan	douane	drogue

drogman	(E)	écarlate	échec	(jeu
d'échecs)	éden	élixir	émir	épinard
erg	estragon	(F)	fakir	fanfare,
fanfaron	fardeau	fenec	felouque	flouze
fondouk	(G)	gabelle	gala	gaze
gazelle	gazette	genette	gerboise	gilet
girafe	goudron	goule	guitare	guitoune
(H)	hammam	harem	hasard	haschisch
henné	(J)	jaquette	jarre	jasmin
jupe,	jupon	(K)	Kif-Kif	kermès
kohol	(L)	laiton	laque	lascar
lilas	lime,	limón	limonade	loukoum
luth	(M)	maboule	macramé	magasin
marabout	marcassite	maroquin	massepain	massicot
matelas	matraque	méchoui	mesquin	mohair
moire,	moiré	momie	mosquée	mousseline
mousson	mulâtre	Muscade	(N)	nabab
nacre	nadir	naphte	natron	nénuphar
noria	nouba	(O)	orange	ouate
(Q)	quetsche	(R)	ramdam	raquette
razzia	récif	risque riz roque	(S)	saccharine

sarba-cane	saphir	santal	salama-lec	safran	safari
soude	sorbet	sofa	sirop	savate	satin
taboulé	(T)	sultan	sucre	smala	souk
tarif	tare	talisman	talc	taffetas	tabouret
vizir	varan	(V)	truche-ment	toubib	timbale
			zéro zouave	zénith	(Z)

أثر اللغة العربية في اللغة الإنجليزية

قد يظن البعض أنّ اللغة الإنجليزية كانت بعيدة عن تأثير العربية فيها لأن الجزر البريطانية كانت بمنأى عن موجة الفتح العربي الإسلامي لجنوب أوروبا وحوض البحر المتوسط، ولكن الفتح العلمي العربي لم يترك مكانا في أوروبا دون أن يبلغه. وهكذا وجدنا في الإنجليزية قدرا كبيراً من الكلمات ذات الأصول العربية يصل بها بعض الباحثين إلى بضع مئات، دخلت إلى الإنجليزية مباشرة أو بالواسطة.

خلال إجتماع الجمعيّة الخيريّة التي كنت أرأسها، في أوائل عام ١٩٩٩، في مدينة مانشستر في بريطانيا، طلب مني صديقي الكاهن تشارلز باريت بتقديم نبذة عن تأثير العرب على الحضارة البريطانية في المؤتمر السنوي للكهنوت البريطاني في شهر حزيران (يونيو). الغرض من المحاضرة كان توضيح التفاعل الأدبي والعلمي بين العرب

والبريطانيين وبين الإسلام والمسيحيّة. بعد مناقشة وجيزة إتفقنا على مناقشة دور اللغات في التفاعلات الدينيّة والإجتماعيّة والثقافيّة.

بحثت في الموضوعات المتعلّقة بذلك الغرض لمدة أربعة أشهر متواصلة... دُهشت جداً بالمعلومات التي حصلت عليها ولا سيما في تأثير اللغة العربيّة على اللغة الإنجليزيّة. عندها تابعت بحث ودراسة هذا الأثر اللغوي.

في الصفحات التالية دوّنت ملخّص البحث الذي قدّمته في المؤتمر المذكور وتحت العنوان التالي «English Words from Arabic».

العربي	المفرد الإنجليزي	العربي	المفرد الإنجليزي
Adobe	الطوب	Azimuth	الصمت
Alfalfa	الفصفصة	Azure	لازورد
Algebra	جابر بن حيّان	Average	عوريّة
Albatross	القطرس	Balm	بلسم
Alchemy	الكيميا	Balsam	بلسم
Alcohol	الكحول	Bedouin	بدوي
Alcove	القبّة	Benzoin	لُبان جاوي
Alkali	القِلي	Borax	بُراق
Almanac	المناخ	Bwana	أبونا
Amber	عنبر	Banana	بنان
Antimony	إثمد	Calibre	قالب
Apricot	برقوق	Caliph	خليفة

جمل	Camel	دار صناعة	Arsenal
كافور	Campher	زرنيخ	Arsenic
قناية	Canyon	الخرشوف	Artichoke
قبطان	Captain	حشّاشين	Assassin
غرّاف	Carafe	عِطر	Attar
كراويه	Caraway	الباذنجان	Aubergine
حشيش	Hashish	خرّوب	Carob
الزهر	Hazard	شاه مات	Check mate
حُقّة	Hokkah	صفر	Cypher
إيوانا	Iguana	شروقي	Cirocco
ياسمين	Jasmin	قهوة	Coffee
جن	Jinn	قرق	Cork
جُبّه	Jumper	قطن	Cotton
جربوع	Jerboa	قرمز	Crimson
كافر	Kaffir	دمشق	Damask
كباب	Kebab	دواء	Dhow
قسمة	Kismet	الإكسير	Elixir
لك	Lacquer	أمير	Emir
لازورد	Lapis lazuli	فقير	Fakir
ليمون	Lemon	غفير	Gaffer
ليلك	Lilac	غزال	Gazelle
ليم	Lime	ظِراف	Giraffe

جيبس	Gypsum	لوف	Loofa	قيثارة	Guitar
مخازن	M a g a - zine	حريم	Harem	عود	Lute
مسخرة	Mascara	سرندب	Serendip	موثبان	M a r z i - pam
شيخ	Sheikh	مسّ	Massage	سمسم	Sesame
مأذن	Mizzen	شراب	Sherbet	منارة	Minaret
سوق	Souk	مخيّر	Mohair	صوفة	Sofa
مسجد	Mosque	سكّر	Sugar	موسم	M o n - soon
شراب	Syrup	مر	Myrrh	سلطان	Sultan
تنوين	N u n e a - tion	طلسم	Talisman	نادر ـ نظير	Nadir
تنّور	Tandoori	الله	Ole	طمبور	Tamboor
Tariff	ÆÃîõè	Safari	T a n g e r - ine	نارنج	Orange
Sahib	طون	Tuna	زعفران	Saffron	تعريف
Zenith	سلام	Salaam	طوفان	Typhoon	صاحب
Sequin	صفر	Zero	شاش	Sash	صمت
			زرقم	Zircon	سكّة

أثر اللغة العربية في اللغات الأفريقيّة

كان عرب شبه الجزيرة العربية عامة وعرب اليمن وحضرموت وعُمان خاصة هم أول من عرف منطقة شرق أفريقيا قبل غيرهم من الأمم الأخرى وحتى قبل ظهور الإسلام بعدة قرون. فقد إستطاع العرب من خلال رحلاتهم البحرية أن يعبروا مضيق باب المندب منذ أقدم العصور وأن يكتشفوا البلاد الواقعة على الساحل الشرقى الأفريقي من بلاد الدناقلة والحبشة شمالاً وحتى موزمبيق ومدغشقر جنوباً.

كان التبادل التجاري وتسويق منتجات المنطقة فى الأسواق الخارجية حين ذاك مثل بلاد الشام والهند هو الأساس الحقيقى لترسيخ الإتصال العربي الأفريقي، وهو ما دفع بالعرب إلى الإستقرار في مناطق الساحل الشرقي الأفريقي حيث أصبحت لهم تجارة مزدهرة وكونوا إمارات شهد بتحضرها كل من زارها من الرحالة العرب والأجانب.

كانت هناك عدّة عوامل ساعدت على إستقرار العرب ودعم تجارتهم من أهمها:

١ ـ القرب المكاني فيما بين المناطق المطلة على ساحل المحيط الهندي من كلا الجانبين العربي والأفريقي، وأيضاً الساحل الغربي لشبه الجزيرة العربية وشرقي الساحل الأفريقي.

٢ ـ المناخ الجغرافي المتمثل في نظام الرياح الموسمي المنتظم والذي ساعد على سهولة الملاحة البحرية بين سواحل شبه الجزيرة العربية المطلة على ساحل المحيط الهندي وبين سواحل شرق أفريقيا. كانت هناك رحلات منتظمة ينظمها العرب بحسب المواسم المعروفة لديهم تذهب بهم خلال فصل الشتاء إلى ذلك الساحل

وتعود بهم مرة أخرى إلى بلادهم خلال فصل الصيف.

٣ ـ ظهور الإسلام وهجرة أفواج متتالية من المسلمين إلى بلاد الحبشة والساحل الأفريقي فراراً بدينهم.

مما لاشك فيه أن العرب، من قبل ظهور الإسلام، كانوا أصحاب ثقافة وحضارة إستطاعوا أن ينقلوها معهم إلى بلاد الساحل الأفريقي الشرقي التي تأثر سكانها بتلك الثقافة، ومع إنتظام رحلات التجارة بدأ العديد من التجار العرب في الإستقرار لفترات طويلة في شرق أفريقيا مما دفع ببعضهم إلى التزاوج والانصهار في المجتمع الأفريقي.

مع ظهور الإسلام وهجرة جماعات من المسلمين إلى بلاد الحبشة حيث وجدوا الرعاية والحماية في كنف النجاشي ملك الحبشة، وسادت بين العرب والأفارقة علاقات سلمية كانت دافعاً لإستقرار العرب فأصبح لهم منازلهم ومتاجرهم. كما أنشأوا مراكز تجارية في منطقة الساحل الأفريقي، وكثر عدد الوافدين العرب إليها سواء لأسباب اقتصادية كتجار من حضرموت وعمان والحجاز أو مزارعين من اليمن أو لأسباب سياسية.

إتسعت دائرة الإسلام بفضل جهود التجار والعلماء وإعتنقت بعض الجماعات الأفريقية الدين الإسلامي مثل الفالا في الهضبة الحبشية والتقرى في إريتريا، كما أدى توافد العرب من جنوب الجزيرة العربية ومنطقة الخليج العربي إلى إختلاطهم بالوطنيين وقيام عدد من المراكز التجارية العربية في زنجبار وكلوه وممباسا.

ومن الساحل الشرقي لأفريقيا توغلت المؤثرات العربية الإسلامية

إلى منطقة البحيرات الإستوائية التي تضم تنجانيقا (تنزانيا حالياً) وكينيا وأوغندا ورواندا وبوروندي والكونغو؛ وكان لها نفوذاً كبيراً خاصة في منطقتي تنجانيفا وزنجبار والتي ظل العُمانيون يستمتعون بنفوذ كبير بها بل وأيضاً بحكمها حتى عام ١٩٦٤.

دفع هذا التعايش إلى الإنصهار العربي الأفريقي في تلك المناطق على مدى قرون طويلة وإلى وجود أجيال تحمل سمات عربية أفريقية بعقيدة واحدة تمارس العادات والتقاليد العربية بجانب العادات والتقاليد الأفريقية؛ وتكوِّن حلقة الوصل بين العرب والأفارقة أبناء هذه المناطق. هذا ساعد أيضاً على تضمن اللغات الأفريقية للعديد من مفردات اللغة العربية التي أُطلق عليها فيما بعد اللغة السواحيلية.

تركت اللغة العربية وثقافتها أثراً بالغاً في اللغات الأفريقية وفي الثقافة الأفريقية خاصة في منطقتي الساحل الشرقى لأفريقيا وحوض النيل وذلك من خلال منفذين أساسيين عبرت منهما إليها وهما:

ـ المنفذ الأول:

المنفذ الشمالي الأفريقي من خلال مصر، حيث إهتم المصريون القدماء منذ ما يزيد على ٣٠٠٠ عام قبل الميلاد بالإبحار جنوباً في محاولات إستكشافية لمنابع النيل وأيضاً جنوباً في البحر الأحمر وعلى طول سواحل شرق أفريقيا لما كان بينهم وبين أهالي هذه البلاد من تبادل تجاري يرجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد. وظلّت علاقات مصر وطيدة بهذه المناطق حتى عهد الخديوي إسماعيل مما ترك أثراً لغوياً مصرياً في اللغة السواحيلية. ولأن مصر من أول الأقطار الأفريقية

إعتناقاً للعقيدة الإسلامية وتأثراً باللغة العربية وثقافتها، فقد إستطاعت بما لها من صلات قوية بالأقطار الأفريقية وموقع جغرافي متميز يربطها إرتباطاً وثيقاً بالكيان الأفريقي أن تكون منفذاً تتدفق منه المؤثّرات العربية الإسلامية وبقوة إلى السودان ودول حوض النيل بشكل خاص.

ـ المنفذ الثاني:

هو المنفذ الغربي العربي حيث إستطاعت اللغات السامية عبور البحر الأحمر ومنه إلى بلاد الهند وباكستان ومن بين تلك اللغات: الأوردية والفارسية والعربية. إلاّ أن اللغة العربية كانت أكثر اللغات السامية تفاعلاً مع اللغات الأفريقية مثل الصومالية والهوسا والفولانى والبانتو والتجرينية والعفرية والأمهرية والأورومية وغيرها من اللغات الأفريقيةالتي يقدرها علماء اللغة بما بين ٧٠٠ إلى ١٠٠٠ لغة محلية.

لغة البانتو هي لغة أم ينحدر منها عدد من اللغات الأفريقية الأخرى. عندما قدم العرب إلى الساحل الشرقي لأفريقيا لم يكونوا ليعلموا شيئاً عن لغة البانتو وكذلك السكان الأصليين من قبائل البانتو ما كانوا ليعرفوا شيئاً عن اللغة العربية، وكان لابد من وجود لغة للتواصل والتفاهم بين العرب وأبناء قبائل البانتو، ومن ثم بدأت اللغة السواحيلية بمفرداتها البانتوية والعربية تأخذ قالباً خاصاً حاملاً سمات وأصوات اللغة البانتوية والحرف العربي.

كان للإحتكاك المستمر بين التجار العرب ولغتهم وبين قبائل البانتو في شرق أفريقيا ولغتهم عظيم الأثر في إقتراض اللغة السواحيلية للعديد من المفردات العربية والتي بلغت نحو ٢٥٪ من مفرداتها خاصة في

مناطق الساحل والجزر القريبة منه.

اللغة السواحيلية هي لغة من فصيلة لغات البانتو الأفريقية، وتعتبر وسيلة إتصال لأكثر من خمسين مليون نسمة يعيشون في مناطق متعددة من سواحل أفريقيا الشرقية وجزرها ووسط القارة. وكلمة سواحيلي لفظ مشتق من الكلمة العربية «سواحل» وتعنى الشواطئ ومعنى ذلك أن السواحيلية هي لغة الشعب الذي يقطن سواحل شرق أفريقيا. السواحيلية الآن هي اللغة الرسمية في تنزانيا والثانية في كينيا وتستخدم بصورة كبيرة في أوغندا وبعض البلاد الأخرى. وقد إرتبطت السواحيلية بالعربية إرتباطا كبيراً، حيث لعبت اللغة العربية دوراً غير قليل في تطوير اللغة السواحيلية وتنميتها وحفظ تاريخ القارة، ففي حين كانت اللغة السواحيلية لا تعدو أن تكون لغة منطوقة غير مكتوبة تتحدث بها مجموعة من قبائل البانتو، كانت اللغة العربية لغة مكتوبة لها أصولها اللغوية ذات الجذور العميقة وصاحبة ثقافة خاصة.

مع دخول العرب والإسلام للقارة الأفريقية، سواء من خلال هجرات المسلمين الأولى لبلاد الحبشة أو بقصد التجارة ونشر الدعوة الإسلامية، نشأت علاقة وطيدة بين السكان الأصليين والعرب وأصبح هناك تجذّر قوي للعرب وإنتشر الإسلام بين القبائل الأفريقية. وبدأ المهتمون بعلم اللغة من العرب في كتابة السواحيلية بحروف عربية. رغم أنه لا يوجد تاريخ محدّد لبداية كتابة السواحيلية بالحرف العربي إلاّ أن الشواهد التاريخية تشير إلى أنه لم يمر القرن الأول من بداية التقويم الهجري إلا وكانت اللغة السواحيلية تكتب بالحرف العربي. معنى ذلك أن تطوّر اللغة السواحيلية إرتبط إرتباطاً وثيقاً باللغة العربية وحرفها

وبإنتشار الإسلام فعندما وصل إبن بطوطة منطقة شرق القارة عام ١٣٢٩م (٧٢٩هـ)، قال عن أهلها «أنهم سواحيليون شافعيون مخلصون».

يظهر تأثير اللغة العربية على تطور اللغة السواحيلية بحرفها العربي في عدة مجالات:

ـ اللغة والأدب

إرتبطت اللغة العربية إرتباطاً وثيقاً بالحرف والخط العربي الذي إنتشر إنتشارا كبيراً في منطقة شرق ووسط أفريقيا. وهذا ما تؤكده المخطوطات السواحيلية الشعرية ذات الطابع الإسلامي، ويعود ذلك إلى أن حكّام منطقة شرق أفريقيا في تلك الفترة كانوا من العرب العُمانيين وهو ما تشير إليه النسبة العالية للمفردات العربية في اللغة السواحيلية خاصة في المجال الأدبي فيما يتعلق بالمصطلحات الأدبية المتعلقة بالأساليب اللغوية المرتبطة بالشعر وأنماطه، وكذلك مصطلحات العلوم البلاغية والعروض حيث كان الشعر أهم الأنماط الأدبية التي تستحوذ على إهتمام الصفوة من المثقفين في تلك الفترة. هذا بدوره أدّى إلى إنتشار الشعر السواحيلي بقصائده الطويلة ذات الحرف العربي، وتلك المخطوطات التراثية ما زالت موجودة في مكتبتي لندن وجامعة دار السلام بتنزانيا.

ـ الدين

يعد المجال الديني من أكثر المجالات تأثيراً في اللغة السواحيلية، إذ أن الإحتكاك الحقيقي بين العرب والسواحيليين زاد بشكل ملحوظ مع ظهور الإسلام خاصة مع لجوء العرب إلى منهج الدعوة إلى الإسلام

بجانب نشاطهم التجاري، وهو ما حذا بهم إلى المكوث لفترات أكبر بين الأفارقة السواحيليين لتعليمهم أمور دينهم. بالتالي إكتسبت اللغة السواحيلية المفردات الدينية الإسلامية من اللغة العربية حيث أصبحت مع مرور الوقت جزءً لا يتجزأ من مفردات اللغة السواحيلية. ومما يدل على ذلك أقدم أثر تاريخي معماري تم العثور عليه وهو محراب منحوت بالحرف العربي لمسجد كيزيمكازي بجزيرة زنجبار ويرجع تاريخه لعام ١١٠٧م (٥٠٠هـ)، وكذلك ما تضمنه معرض حول الكتابة والخط في الفنون الأفريقية أقيم في واشنطن في يونيو ٢٠٠٧ تضمن ألواحاً للكتابة من السودان ونيجيريا تستخدم لتعلّم القرآن الكريم، وأحجبة من سيراليون تحتوى على آيات قرآنية وأيضاً قطع كتبت عليها لغات أفريقية بالأبجدية العربية. ومن بين القطع التي عُرضت بالمعرض أيضاً رداء محارب من ليبيريا مع غطاء رأسه زيّن بمخالب النسور وبأحجبة جلدية صغيرة تحمل آيات من القرآن الكريم باللغة العربية.

ـ السياسة والإقتصاد

يرجع تأثير اللغة العربية في اللغة السواحيلية في المجال الإقتصادي إلى أن معظم العرب الذين كانوا يترددون على السواحل الشرقية لأفريقيا كانوا من التجار مما إستدعى وجود مفردات لغوية تجارية وإقتصادية مثل: تاجر، تجارة، وإقتصاد. وبعد أن استقر العرب وإشتد نفوذهم وأصبحوا حكاماً لإمارات على سواحل شرق أفريقيا وفي الداخل إزداد الأثر اللغوي ليشمل أيضاً كلمات مثل: ملك، سلطان، مملكة، رئيس، وزير.

أيضاً إقترضت السواحيلية من العربية مجموعة من المفردات في مجالات الحساب والتقويم والكيمياء والجغرافيا وإن لم تكن بحجم المفردات الدينية والأدبية.

العربية ولغات أفريقية أخرى

لم يقتصر تفاعل وتأثير اللغة العربية على اللغة السواحيلية فقط وإنما إمتد إلى لغات أخرى بعضها يتحدث به في شرق أفريقيا مثل الصومالية التي هي من مجموعة لغات الكوشية وتعد اللغة الرسمية التي يتحدث بها سكان الصومال، وقد كانت تكتب بالحرف العربي حتى وقت قريب.

وفي وسط وغرب أفريقيا نجد لغة الهاوسا وهي لغة تشادية تنتمي لعائلة اللغات الأفروآسيوية، التي سبق وكتبت بحروف عربية يتحدث بها نحو ٢٤ مليون شخص كلغة أولى، و١٥ مليون كلغة ثانية، وأغلب متحدثيها موجودون في النيجر وشمال نيجيريا وغانا وتوجو وبنين بالإضافة إلى السودان وتشاد والكاميرون وبوركينا فاسو. وهي كلغة تستخدم بين متحدثي لغات أخرى في أغلبية أفريقيا الغربية، وخاصة بين المسلمين. والهاوسا لغة رسمية في شمال نيجيريا، وقد أصدر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ترجمة قرآنية لمعاني القرآن بهذه اللغة، وكان ملوك الهوسا قد أعلنوا في عام ١٨٠٠ م إعتناقهم الإسلام وإعتبروه الدين الرسمي. تعد لغة الهوسا اللغة الثانية بعد العربية من حيث عدد الناطقين بها في أفريقيا.

وفي أقصى غرب أفريقيا نجد من بين اللغات الأفريقية التي كتبت بحرف عربي لغة الولوف، وهي لغة قبائل الولوف الذين يشكلون ٢٦٪

من عدد سكان السنغال و١٥٪ من سكان جامبيا وموريتانيا، وهي اللغة الثانية في السنغال حيث يتحدث بها نحو ٣٠٪ آخرون لأنها تعد لغة تجارة. أبناء قبائل الولوف جميعهم مسلمون فيما عدا قلّة مسيحية لذلك تنتشر بينهم اللغة العربية إنتشارا كبيراً ولا نجد لديهم ترجمة كاملة لمعاني القرآن الكريم بلغتهم. هذا إلى جانب العديد من اللغات الأفريقية الأخرى التي كتبت بالحرف العربي، مثل التجرينية والعفرية والأورومية وغيرها من بين ٧٠٠ إلى ١٠٠٠ لغة أفريقية محلية بحسب تقدير علماء اللغة في العالم. ومما تجدر الإشارة إليه هنا أنه تمت ترجمة كاملة لمعاني القرآن الكريم لست لغات أفريقية وهي: الهوسا، السواحيلية، الزولو، الأفريكان، موريشو بوس، الكريول (فى جزر موريس)، بالإضافة إلى ترجمة جزئية في كل من الولا واللوجاندا والولون.

المراجع

المراجع الأجنبيّة الأوليّة

المراجع الأجنبيّة الثانويّة

المراجع العربيّة

المراجع الأوليّة

1. Man, John, Alpha Beta. Headline Book Publishing. London 2000. ISBN 0-7472-6447-3.

2. Daniels, Peter, The World's Writing Systems, Oxford 1996.

3. Ullman, B. L., The Origin and Development of the Alphabet, American Journal of Archeology 31, No. 3, July 1927.

4. Diringer, David, History of the Alphabet,1977. ISBN 0-19-507993-0.

5. Davies, Lyn, A is for Ox - A short history of the alphabet. The Folio Society, UK. 2006.

6. Jean, George, Writing The Story of Alphabets and Scripts, London 1992. ISBN-13: 987-0-500-30016-9. ISBN-10: 0-500-30016-X

7. Naveh, Joseph, Origins of the Alphabets, London 1975. ISBN: 0-304-293369

8. Hooker, J. T., C. B. F. Walker, W. V. Davies, John Chadwick, John F. Healey, B. F. Cook, and Larissa Bonfante. Reading the Past: Ancient Writing from Cuneiform to the Alphabet. Berkeley: University of

California Press. 1990.

9. Robinson, Andrew. The Story of Writing: Alphabets, Hieroglyphs & Pictograms, New York: Thames & Hudson Ltd. 1995.

10. Diamond, Jared. Guns Germs and Steel, London: Vintage 1998. ISBN 0 09 930278 0

11. Diringer, David. The Alphabet: A key to the history of mankind. London: Hutchinson. 1968.

12. Driver, G. R. Semitic Writing: From Pictograph to Alphabet. London: OUP. 1954.

13. Robinson, Andrew. The Story of Writing: Alphabets, Hieroglyphs & Pictograms, New York: Thames & Hudson Ltd. 1995. ISBN 0-500-28156-4

14. Millard, A. R., The Infancy of the Alphabet, World Archaeology 17, No. 3, Early Writing Systems (Feb., 1986): 390-398. page 395.

15. Harris, Roy. The Origin of Writing. London: Duckworth. 1986.

16. Ouaknin, Marc-Alain, Mysteries of the Alphabet, 1999.

17. Taylor, Isaac. The History of the Alphabet: An Account of the Origin and Development of Letters. New York: C. Scribner's, 1899.

18. Herodotus on the origins of the Greek Alphabet (5. 58-61) from Herodotus, The Histories, transl. Audrey de Selincourt, Penguin Books, 1972. ISBN 0-14-044034-8

19. Bermant, C. & Weitzman, M., Ebla, An Archaeological

Enigma. London, 1978.

20. Parkinson, Richard, Cracking Codes: The Rosetta Stone and Decipherment, London, 1999.

21. Petrie, W. M. Flinders, Researches in Sinai, London, 1906.

22. Markoe, Glenn E., Phoenicians, London, 2000.

23. Healey, John, The Early Alphabet, London, 1990.

المراجع الثانوية

1. Dussaud, R., L'art phenicien de II[e] millenaire. Paris 1949.
2. Eiselen, F. C. Sidon A Study in Oriental History. New York 1907.
3. Harden, D., The Phoenicians. London 1963.
4. Ward, W. A., The Role of the Phoenicians in the Interaction of Mediterranean Civilizations. Beirut 1967.
5. Renan, E., Mission de Phenicie, I - II, Paris 1864 - 1874.
6. Armstrong, Karen, The History of God. London. 1993 ISBN 0 09 927367 5
7. Empires of the Plain: Henry Rawlinson and the Lost Languages of Babylon, New York, St. Martin's Press. 2003. ISBN 0-312-33002-2
8. Davy, Charles. Conjectural Observations on the Origin and Progress of Alphabet Writing. London. Cadell & Elmsly. 1772.
9. Geoffrey Sampson, Writing Systems: a Linguistic Intro-

duction, Stanford University Press, 1990

10. Houston, Stephen D. (2004). The First Writing: Script Invention as History and Process. Cambridge University Press. pp. 245-6. ISBN 978-0-521-83861-0

11. Coulmas, Florian. The Blackwell Encyclopedia of Writing Systems. Oxford: Blackwell Publishers Ltd.. 1996. ISBN 0-631-21481-X

12. F. F. Bruce, "The Origin of the Alphabet," Journal of the Transactions of the Victoria Institute 80 (1948): 1-11.

13. Bakalla, Muhammad Hasan, Arabic Culture Through its Language and Literature. London: Kegan Paul International, 1984.

المراجع العربيّة

١ ـ تاريخ لبنان القديم. كارل هينز برنهردت. ترجمة ميشيل كيلو. سوريا ١٩٩٩. Karl-Heinz Bernhardt. Der Alte Libanon. (ميونيخ ١٩٧٦)

٢ ـ الحروف الأولى ـ دراسة في تاريخ الكتابة. د. خلف طايع. مصر ٢٠٠٧.

٣ ـ مراحل تطور الكتابة العربيّة حتى نهاية القرن الثاني عشر. د. أمان الدين محمد حتحات. الإمارات العربية المتحدة.

٤ ـ رحلة الخط العربي من المسند إلى الحديث. أحمد شوحان. سوريا ٢٠٠١.

٥ ـ الجذور التاريخيّة والمعمارية التي أثّرت على التشكيل الفنّي

للحروف العربيّة منذ نشأتها حتّى الآن. د. علي فايز الغول. الأردن ٢٠٠٥.

٦ ـ تاريخ اللغة العربيّة في مصر. د. أحمد مختار عُمر. مصر ١٩٧٠.

٧ ـ تاريخ اللغات الساميّة. جودة محمد الطحلاوي. مصر ١٩٣٢.

٨ ـ الزمن واللغة. د. مالك يوسف المطلبي. مصر ١٩٨٦.

٩ ـ العربيّة تاريخ وتطوّر. د. إبراهيم السامرّائي. لبنان ١٩٩٣.

١٠ ـ فن الخط العربي. عفيف بهنسي. دمشق ٢٠٠٥

ISBN: 1-57547-725-4.

١١ ـ الخط والكتابة في اللغة العربيّة. د. يحي وهيب الجبّوري. لبنان ١٩٩٤.

١٢ ـ أصل الخط العربي وتطوّره إلى ما قبل الإسلام. خليل يحي نامي. مصر ١٩٣٥.

١٣ ـ تاريخ العرب قبل الإسلام. جواد علي. مصر ١٩٥٠.

١٤ ـ النبط أصلهم ودولتهم. طه الراوي. مصر ١٩٤٥.

١٥ ـ الحياة الإجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية، في الفترة ما بين القرن السادس ق م والقرن الثاني الميلادي. هتون أجواد الفاسي. الرياض.

١٦ ـ تاريخ اليمن الإجتماعي، أندريه كاراطائف. موسكو ٢٠٠٦.

ISBN 5-484-00529-9.

١٧ ـ اللغة العربية جذورها ـ إنتشارها ـ تأثيرها في الشرق والغرب.

ماجد خير بك. دار سعد الدين. دمشق.

١٨ ـ كذبة الساميّة وحقيقة الفينيقيّة، فرج الله صالح ديب. لبنان ١٩٩٨.

١٩ ـ تاريخ آداب اللغة العربيّة. جرجي زيدان. دار الهلال. مصر.

٢٠ ـ العربية تاريخ وتطور. الدكتور إبراهيم السامرائي

٢١ ـ موجز تاريخ علم اللغة في الغرب. تأليف ر. ه. روبنز وترجمة د. أحمد عوض

٢٢ ـ أسرار العربيّة. تأليف عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) دراسة وتحقيق محمد حسين شمس الدين. بيروت ١٩٧٩

٢٣ ـ الشامل في اللغة العربيّة. د. عبد الله محمد النقراط. ليبيا. ٢٠٠٣.

ISBN 9959-22-289-6

٢٤ ـ موجز تاريخ اللغة العربيّة (محاضرة). د. موسى حامد موسى خليفة.

٢٥ ـ الخط والكتابة في الحضارة العربيّة. د. يحي وهيب الجبّوري. بيروت. ١٩٩٤

٢٦ ـ اللسان الأكَادي. د. عيد مرعي. دمشق. ٢٠٠٠

٢٧ ـ الخط والكتابة في الحضارة العربية، يحيى وهيب الجبوري

٢٨ ـ دراسات في علم الكتابة العربية، محمود عباس حمودة

٢٩ ـ الخط العربي جذوره وتطوره، إبراهيم حمزة

٣٠ ـ الخط العربي: أصوله، نهضته، انتشاره، عفيف بهنسي، دار الفكر، دمشق.

٣١ ـ الخط العربي: رحلة التحسين والتجويد، باسم ذنون، دار الكتاب، القاهرة.

٣٢ ـ الخط والكتابة في الحضارة العربية، يحيى وهيب، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٣٣ ـ الخط العربي جذوره وتطوره: إبراهيم صخره، مكتبة المنار، الأردن.

٣٤ ـ نشأة الخط العربي وتطوره: محمد شكر الجبوري، مكتبة الشرق، بغداد.

٣٥ ـ نشأة وتطوير الكتابة الخطية العربية ودورها الثقافي والإجتماعي: فوزي سالم عفيف، الكويت، ١٩٨٠.

المحتويات